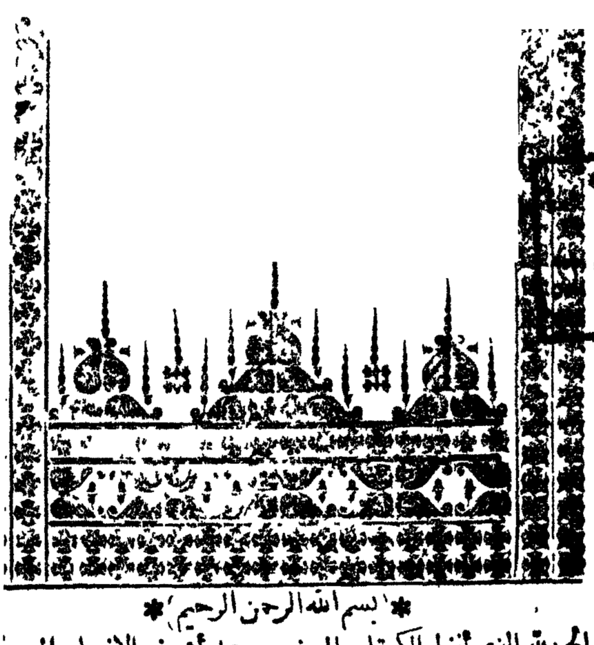
هذا كتاب اعلام الناس بما وقع
للبرامكة مع بني العباس تأليف
الامام ابي اسماعيل محمد دياب
الاتليدي نفعنا الله
به والمسلمين
آمين



* بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله الذى أنزل الكتاب المبين * على أشرف الانبياء والمرس
وقص عليه أخبار المتقدمين والمتأخرين * وعلمه ما كان وما يك
الى يوم الدين * نحمده اذ جعلنا من أمته * ونشكره على عط
ومنته * ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اذ من علينا بمعر
أحوال من مضى من الامم * ولم يكشف عما ستره اذا زل منا الق
وجعلنا أمة عدولا وسطا وشهد لنا بذلك فى الكتاب المعظم المكرم
فقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون ع
المنكر * فظهر الفضل بما جاد به وتكرم * ونشهد أن سيدنا ونبينا م
عبده ورسوله الذى قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى فساد على جمي
الانبياء وعليهم تقدم * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وس

وبعد

(وبعد) فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز والتقصير والتفريط في أيامه وكثير التخليط وزيادة آثامه محمد يعرف بدياب الاتليدى من اقليم المنية الحصيبية سألني بعض الاخوان الموفقين من لا يسعني مخالفته أن أجمع له شيأ مما وقع في زمن الخلفاء المتقدمين من بني أمية والخلفاء العباسيين فاجبته لذلك مع علمي انى لست أهلا لذلك فقد قالوا الامتثال خير من الادب * وسميته اعلام الناس * بما وقع للبرامكة من بني العباس * وابتدأت في ذلك بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تبركا به وبذكره * قيل لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام الى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد أقبل من الشام سالما فقالت يا هذا لا جزاه الله خيرا عني قال ولم قالت لانه ما أنالني من عطاياه منذ ولي أمر المسلمين دينارا ولا درهما فقال وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع فقالت سبحان الله والله ما ظننت أن أحدا يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه وقال واعمراه كل أحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا أمة الله بكم تبيعيني ظلامتك من عمر فاني أرحمه من النار فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر رضي الله عنه لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم * هذا ما اشترى عمر

من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا مما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى فعمر برىء منه شهد على ذلك على وابن مسعود ثم دفعها الى ولده وقال اذا أنا مت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى * وقال شرف الدين حسين بن ريان أغرب ما نقلته من الاخبار وأعجب ما عقلته عن الاخيار ممن كان يحضر مجلس عمر بن الخطاب خليفة الاسلام ويسمع كلامه قال بينما الامام جالس فى بعض الايام وعنده أكابر الصحابة واهل الرأى والاصابة وهو يفصل فى القضايا ويحكم بين الرعايا اذ أقبل شاب حسن الشباب نظيف الاثواب يكتنفه شابان من أحسن الشباب نظيفا الثياب قد جذباه وسحباه وأوقفاه بين يدى امير المؤمنين ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه فامرهما بالكف عنه وأدنوه منه فقالوا يا أمير المؤمنين نحن أخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان كان لنا أب شيخ كبير حسن التدبير معظم فى قبائله منزه عن رذائله معروف بفضائله ربانا صغارا وأعزنا كبارا وأولانا نعما غزارا كما قيل

لنا والد لو كان للناس مثله * أبا آخرا أغناهم بالمناقب

خرج اليوم الى حديقة له يتنزه فى أشجارها * ويقطف يانع ثمارها فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسألك القصاص عما جناه والحكم فيه بما أراك الله (قال الراوى) فنظر عمر الى الشاب وقال له قد سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجأش خال من الاستيحاش * قد خلع ثياب الهلع * ونزع جلباب الجزع * فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بأفصح لسان وحياه بكلمات حسان * ثم قال يا أمير المؤمنين والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى * وعبرا بما طرى * وسأنهى قصتى بين يديك * والامر

فيها الليث * اعلم يا أمير المؤمنين أني من العرب العربا * نبت في منازل البادية وصبحت على أسود السنين العاديه وأقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بي بعض طرائقها الى المسير بين حدائقها * بنياق حبيبات الى * عزيزات على * بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل * حسن النتاج * يمشي بينهن كأنه ملك عليه تاج * فدنت بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها وتناولته بمشفرها * فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزمر * وتسور الحائط وظهر * وفي يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر * فضرب الفحل بذلك الحجر فقتله * وأصاب مقتله * فلما رأيت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب * توقدت في جمرات الغضب * فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به * فكان سبب حينه * ولقي سوء منقلبه * والمرء مقتول بما قتل به * بعد ان صاح صيحة عظيمه وصرخ صرخة أليمه فاسرعت من مكاني فلم يكن بأسرع من هذين الشابين فامسكاني وأحضراني كما تراني * فقال عمر قد اعترفت بما اقترفت وتعذر الخلاص ووجب القصاص ولات حين مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت بما اقتضته شريعة الاسلام لكن لي أخ صغير كان له أب كبير خصه قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل وأحضره بين يدي وأسلم أمره الى وأشهد الله على وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه جهدك فاتخذت لذلك مدفنا ووضعته فيه ولا يعلم به الا أنا فان حكمت الآن بقتلي ذهب الذهب وكنت أنت السبب وطالبك الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان أنظرتني ثلاثة أيام أقمت من يتولى أمر الغلام وعدت وافيا بالزمام ولي من يضمنني على هذا الكلام *

فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على ضمانه والعود الى مكانه قال فنظر الغلام الى وجوه أهل المجلس الناظرين وأشار الى أبي ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويضمني قال عمر يا أبا ذر تضمنه على هذا الكلام قال نعم أضمنه الى ثلاثة أيام فرضي الشابان بضمانة أبي ذر وأنظراه ذلك القدر فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها يزول أو قد زال حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابوذر قد حضر والخصم ينتظر فقالا أين الغريم يا أباذر كيف يرجع من فر لا تبرح من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال أبوذر وحق الملك العلام ان انقضى تمام الايام ولم يحضر الغلام وفيت بالضمان وأسلمت نفسي وبالله المستعان فقال عمر والله ان تأخر الغلام لامضين في أبي ذر ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الناظرين اليه وعلت زفرات الحاضرين عليه وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة على الشابين أخذ الديه واغتنام الاثنيه فاصرا على عدم القبول وأبيا الا الاخذ بثار المقتول وبينما الناس يموجون تلهفا لما مر ويضجون تأسفا على ابي ذر اذ أقبل الغلام ووقف بين يدى الامام وسلم عليه أتم السلام ووجهه يتهلل مشرقا ويتكلل عرقا وقال قد أسلمت الصبي الى اخواله * وعرفتهم بخفي أحواله وأطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال من غدر لم يعف عنه من قدر ومن وفا رحمه الطالب وعفا وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كي لا يقال ذهب الوفاء من الناس فقال أبوذر والله يا أمير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم أعرفه من اى قوم ولا رأيته قبل ذلك اليوم

ولكن نظر الى دون من حضر فقصدنى وقال هذا يضمننى فلم أستحسن
رده وأبت المروءة أن تخيب قصده اذ ليس فى اجابة القصد من باس
كى لا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان عند ذلك يا أمير
المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم أبينا فبدل وحشته بايناس كى لا يقال
ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وصدقه
ووفائه واستغزر مروءة ابى ذر دون جلسائه واستحسن اعتماد
الشابين فى اصطناع المعروف واثنى عليهما أحسن ثنائه وتمثل بهذا
البيت من يصنع الخير لم يعدم جوائزه * لا يذهب العرف بين الله
والناس ثم عرض عليهما أن يصرف من بيت المال دية أبيهما اليهما فقالا
انما عفونا ابتغاء وجه ربنا الكريم ومن نيته هكذا لا يتبع احسانه منا
ولا أذى * قال الراوى فاثبتها فى ديوان الغرائب وسطرتها فى عنوان
العجائب انتهى * وأحضر الهرمزان بين يدى أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رضى الله عنه مأسورا فدعاه الى الاسلام فابى فامر بضرب
عنقه فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلنى اسقنى شربة من الماء ولا تقتلنى
ظمآنا فامر له عمر بقدح مملوء ماء فلما صار القدح فى يد الهرمزان قال أنا
آمن حتى اشربه قال نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من
يده فاراقه ثم قال الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر رضى الله عنه دعوه
حتى أنظر فى أمره فلما رفع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأن
محمدا رسول الله قال عمر رضى الله عنه لقد أسلمت خيرا لاسلام فما أخرك
قال خشيت أن يقال انى أسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك
لفارس حكيم استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر رضى الله عنه
بعد ذلك كان يشاوره فى اخراج الجيوش الى أرض فارس ويعمل برأيه
انتهى * وسيأتى نظير ذلك فى أخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد

الملك بن بدرون شارح قصيدة عبد المجيد بن عبدون عما وقع لجبلة بن الايهم حين لطم الفزارى على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر رضى الله عنه دعه يقتص منك أو ما هذا معناه فقال لعمر وهل أستوى أنا وهو فى ذلك فقال له نعم الاسلام ساوى بينكما فقال أجلنى الى غد فلما أصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد ثم ندم وقال أبياتا وهى هذه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها لجاج ونخوة * فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى الامر الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة بن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية أقطعه هرقل بالاموال والضياع وبقى ماشاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام أو الى الجزية فلما أراد الانصراف قال هرقل للرسول ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال لا قال فالقه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهبت الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم أزل اتلطف بالاذن حتى أذن لى فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به أسود اللحية والرأس فانكرته فاذا هو قد دعا بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى أصهبت وهو قاعد على سرير من قوارير على قوائمه اربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسألنى عن المسلمين فذكرت له خيرا وقد أضعفوا أضعافا على ما تعرف

فقال وكيف تركت عمر بن الخطاب فقلت بخير قال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا فقال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبال على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله فقال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وخلفته بالمدينة مسلما وانما ذكرت له ان الذى فعل هذه الفعلة من فزارة وانه ضرب وجوه المسلمين بالسيف وارتد ورجع الى الاسلام لان الرجل الذى كان تنصر جبلة من أجله حين لطمه وأراد عمر أن يقتص منه كان فزاريا أيضا فقلت له أمرك أخف من أمره ان رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل فقال زدنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجنى عمر ابنته ويولينى الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم أضمن له تولية الامر قال ثم أوماء الى خادم كان على راسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم قد جاؤا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى آنية الذهب والفضة قال نعم نهى صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فأكل فى الذهب وأكلت أنا فى الخلنج ثم دعا بطسوت الذهب وأباريق الفضة فغسل يديه فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم اوما الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله

ثم جاءت الجوارى وعليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية أيضا كأنها الشمس حسنا على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها جامة فيها مسك فتيت وفى يدها الاخرى جامة فيها ماء ورد فأومأت تلك الجارية وصفرت بالطائر الذى على تاجها فوقع فى جامة المسك فاضطرب فيها ثم صفرت به ثانيا فوقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم أومأت اليه فطار ونزل على صليب فى تاج على جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما فى ريشه عليه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى اللواتى عن يمينه فقال لهن اضحكننا فاندفعن يغنين فجعلن تخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يسقون من برد الضريب نديمهم * راحا يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال فضحك جبلة حتى بدت أنيابه ثم قال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان بن ثابت شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجوارى اللواتى عن يساره وقال أبكيننا فاندفعن يغنين تخفق عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار أقفرت بالمعا * ن بين أعلى اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهـ * ـر محلا لحادث الازمان

قال فبكى جبلة حتى سالت دموعه على لحيته ثم قال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الابيات التى أولها انتصرت الاشراف الى آخرها ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى أيضا كذلك ثم أمر لحسان بمال ونوق موقورة برا ثم قال لى ان وجدته

حيا فادفع اليه الهدية وأقرئه مني السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره قال فلما أخبرت عمر رضي الله عنه بخبره وما اشترطه علي وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا أفاء الله بحكمه وقضى علينا بحكمته ما كان الا ما أراد ثم جهزني عمر ثانية الى هرقل وأمرني ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته فعلمت ان الشقاء غلب عليه في أم الكتاب * انتهى * وقيل انه قدم أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعد بن أبي وقاص فقال من يعذرني من أهل الكوفة ان وليتهم التقي ضعفوه وان وليتهم القوي فجروه فقال له المغيرة بن شعبة يا أمير المؤمنين ان التقي الضعيف له تقاه ولك ضعفه وان القوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره قال صدقت أنت القوي الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل عليهم أيام عمر وأيام عثمان رضي الله عنهما وأيام معاوية حتى مات المغيرة انتهى * وقيل دخل عمرو بن معدي كرب الزبيدي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر أخبرني عن أجبن من لقيت وأحيل من لقيت * وأشجع من لقيت قال نعم يا أمير المؤمنين خرجت مرة أريد الغارة فبينما أنا سائر اذا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا رجل جالس كأعظم ما يكون من الرجال خلقا وهو محتبي بحمائل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن أنت قلت أنا عمرو بن معدي كرب الزبيدي فشهق شهقة فمات فهذا يا أمير المؤمنين أجبن من رأيت * وخرجت مرة حتى انتهيت الى حي فاذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه في وهدة يقضي حاجته فقلت خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن أنت فاعلمته بي فقال يا أبا ثور ما أنصفتني أنت على ظهر فرسك وأنا على الارض فأعطني عهدا انك لا تقتلني حتى أركب فرسي

فأعطيته عهداً فخرج من الموضع الذى كان فيه واحتبى بحمائل سيفه وجلس فقلت ما هذا فقال ما أنا براكب فرسي ولا بمقاتلك فان نكثت عهدك فأنت أعلم بناكث العهد فتركته ومضيت فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت * وخرجت مرة حتى انتهيت الى موضع كنت أقطع فيه الطريق فلم أر أحداً فأجريت فرسي يميناً وشمالاً واذا أنا بفارس فلما دنا مني فاذا هو غلام حسن نبت عذاره من أجمل ما رأيت من الفتيان واحسنهم واذا هو قد أقبل من نحو اليمامة فلما قرب مني سلم علي فرددت عليه السلام وقلت من الفتى قال الحارث بن سعد فارس الشهباء فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال الويل لك فمن أنت قلت عمرو بن معدي كرب الزبيدي قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتالك الا استصغارك فتصاغرت نفسي يا أمير المؤمنين وعظم عندي ما استقبلني به فقلت له دع هذا وخذ حذرك فاني قاتلك والله لا ينصرف الا أحدنا فقال اذهب ثكلتك أمك فأنا من أهل بيت ما ثكلنا فارس قط قات هو الذى تسمعه قال اختر لنفسك فاما ان تطرد لي واما أن أطرد لك فاغتنمتها منه فقلت له اطرد لي فأطرد وحملت عليه فظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة راسي وقال يا عمرو خذها اليك واحدة ولولا اني أكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت نفسي عندي وكان الموت يا أمير المؤمنين أحب الي مما رأيت فقلت له والله لا ينصرف الا أحدنا فعرض علي مقالته الاولى فقلت له اطرد لي فأطرد فظننت أني تمكنت منه فاتبعته حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فاذا هو صار لبباً لفرسه ثم عطف علي فقنع بالقناة رأسي وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت علي نفسي جداً وقلت والله لا ينصرف

الا أحدناها طردلي حتى ظننت أني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاداهو على الارض فأخطأته فاستوى على فرسه وأتبعني حتى قنع بالقناة رأسي وقال خذهـا اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتي لقتـل مثلك لقتلتك فقلت اقتلني أحب الى ولا تسمع فرسان العرب بهذا فقال يا عمرو وانما العفو عن ثلاث واذا استمكنت منك الرابعة قتلتك وأنشد يقول

وكدت أغلاظا من الايمان * ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتجدن لهب السـنان * أولا فلست من بني شيبان

وهبته هيبة شديدة وقلت له ان لي اليك حاجة قال وما هي قلت أكون صاحبا لك قال لست من أصحابي فكان ذلك أشد علي وأعظم مما صنع فلم أزل أطلب صحبته حتى قال ويحك أتدري أين أريد قلت لا والله قال أريد الموت الاحمر عيانا قلت أريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا اجمع حتى أتانا الليل ومضى شطره فوردنا على حي من أحياء العرب فقال لي يا عمرو في هـذا الحي الموت الاحمر فامّا أن تمسك عـلى فرسي فأنزل وآتي بحاجتي وامّا أن تنزل وأمسك فرسك فتأتيني بحاجتي فقلت بل انزل أنت فانت اخبر بحاجتك مني فرمى الى بعنان فرسه ورضيت والله يا امير المؤمنين بأن اكون له سايسا ثم مضى الى قبة فاخرج منها جارية لم ترعيناي احسن منها حسنا وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو فقلت لبيك قال اما أن تحميني وأقود الناقة أو احميك وتقودها أنت قلت لا بل اقودها وتحميني انت فرمى الى بزمام الناقة ثم سرنا حتى اذا أصبحنا قال يا عمرو قلت ما تشاء قال التفت فانظر هل ترى احدا فالتفت فرأيت جمالا فقلت ارى جمالا قال اغرز السير ثم قال يا عمرو انظر فان كانوا قليلا فالجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانو

كثيرا فليسوا بشيء فالتفت وقلت هم اربعة أوخمسة قال اغرز السير ففعلت ووقف وسمع وقع حوافر الخيل عن قرب فقال يا عمرو كن عن يمين الطريق ووقف وحول وجه دوابنا الى الطريق ففعلت ووقفت عن يمين الراحلة ووقف عن يسارها ودنا القوم منا واذاهم ثلاثة نفر شابان وشيخ كبير وهو أبو الجارية والشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن الجارية يا ابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا أخذتها فقال لاحد ابنيه اخرج اليه فخرج وهو يجرر محه فحمل عليه الحارث وهو يقول

من دون ما ترجوه خضب الذابل * من فارس ملتثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وائل * ما كان يسرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قدّ منها صلبه فسقط ميتا وقال الشيخ لابنه الآخر اخرج اليه فلا خير في الحياة على الذل فاقبل الحارث وهو يقول

لقد رأيت كيف كانت طعنتي * والطعن للقرن الشديد الهمة
والموت خير من فراق خلتي * فقتلتي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة سقط منها ميتا فقال له الشيخ خل عن الظعينة يا ابن أخي فاني لست كمن رأيت فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن أخي اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى ونزل فنزل الشيخ وهو يقول شعرا

ما أرتجي عند فناء عمري * سأجعل التسعين مثل شهر
تخافني الشجعان طول الدهر * ان استباح البيض قصم الظهر

فاقبل الحارث وهو ينشد ويقول شعرا

بعد ارتحالي وطال سفري * وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس الغدر * والعار أهديه لحي بكر

ثم دنا فقال له الشيخ يا ابن أخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان أبقيت في بقية ضربتك فاغتنمها الفتى وقال أنا ابدأ فقال الشيخ هات فرفع الحارث يده بالسيف فلما نظر الشيخ أنه قد اهوى به الى رأسه ضرب بطنه بطعنة قدّ منها أمعاءه ووقعت ضربة الفتى على رأس عمه فسقطا ميتين فاخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف ثم أقبلت الى الناقة فقالت الجارية يا عمرو الى اين ولست بصاحبتك ولست لي بصاحب ولست كمن رأيت فقلت اسكتي قالت ان كنت لي صاحبا فاعطني سيفا أو رمحا فان غلبتني فأنا لك وان غلبتك قتلتك فقلت ما أنا بمعط ذلك وقد عرفت أهلك وجراءة قومك وشجاعتهم فرمت نفسها عن البعير ثم أقبلت تقول

أبعد شيخي ثم بعد اخوتي * يطيب عيشي بعدهم ولذتي
وأصحبن من لم يكن ذا همتي * فهل تكون قبل ذا منيتي

ثم أهوت الى الرمح كادت تنزعه من يدي فلما رأيت ذلك منها خفت ان ظفرت بي قتلتني فقتلتها فهذا يا أمير المؤمنين أشجع ما رأيت (قيل) أتى رجل الى عمر بن الخطاب يستحمله فقال له خذ لك بعيرا من ابل الصدقة فتناول ذنب بعير فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر رضي الله عنه من شدته وقوته فقال له هل رأيت أقوى منك من أحد قال نعم خرجت بامرأة من أهلي أريد بها زوجها فنزلت على حوض فأقبل رجل معه ذود فضرب ذوده الى الحوض فساررها يعني المرأة فنادتني فانتهيت اليهما حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فأخذ رأسي بين عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره فقالت أي فحل هذا لو كان منية فامهلته حتى امتلأ نوما فقمت له بالسيف فضربت ساقه فانتبه فتناول رجله فرماني بها فاهوانى أي فاتني وأصاب رأس بعير فقتله فقال عمر

رضي الله عنه مافعلت بالمرأة فقال هذا حديث الرجل فكرر عليه السؤال فلم يزده على هذا ففطن انه قتلها انتهى (ويحكى) أن عبدالله بن أبي رواحة رضي الله عنه كان عنده جارية جميلة وكان يحبها محبة شديدة ولم يتمكن منها خوفا من زوجته فضت يوما زوجته لحاجة ثم عادت فوجدته هو والجارية معتنقين نائمين فقالت أفعلتها قال لم أكن فاعلها قالت فاقرأ قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال

علمت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مسومينا

قالت صدقت وكذبت عيناي قال فذهبت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت انتهى

(أول دولة بني أمية معاوية بن سفيان رضي الله عنه)

جلس يوما في مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربع يدخل فيه النسيم من كل جانب قال فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان يوما شديدا الحر لا نسيم فيه قال وكان وسط النهار وقد لفحت الهواجر اذ نظر الى رجل يمشي نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل في مشيته حافيا فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله سبحانه وتعالى اشقى ممن يحتاج الى الحركة في هذا الوقت و في مثل هذه الساعة فقال بعضهم لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدي لاجل شيء لاعطينه وأستجلب الامر به أو مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فان طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول علي فخرج فوافاه فقال ما تريد قال أمير المؤمنين قال ادخل فدخل فسلم فقال له معاوية ممن الرجل قال من تميم قال فما الذي جاء بك في هذا الوقت قال جئتك مشتكيا

وبك مستجيرا قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول
معاوى ياذا الجود والحلم والبذل * وياذا الندى والعلم والرشد والنبل
أتيتك لما ضاق فى الارض مذهبى * فيا غوث لا تقطع رجائى من العدل
وجدلى بانصاف من الجائر الذى * بلانى بشئ كان أيسره قتلى
سبانى سعدا وانبرى لخصومتى * وجار ولم يعدل وأغصبنى أهلى
وهم بقتلى غير أن منيتى * تأنت ولم أستكمل الرزق من أجلى
قال فلما سمع معاوية كلامه والنار تتوقد من فيه قال له مهلا يا أخا العرب
أذكر قصتك وأبن لى عن أمرك فقال يا أمير المؤمنين كانت لى زوجة
وكنت لها محبا وبها كلفا وكنت بها قرير العين طيب النفس وكانت لى
جذعة من الابل كنت أستعين بها على قوام حالى وكفاف أودى
فأصابتنا سنة أذهبت الخف والحافر فبقيت لا أملك شيأ فلما قل
ما بيدى وذهب مالى وفسد حالى بقيت مهانا ثقيلا على الذى يألفنى
وأبعدنى من كان يشتهى قربى وأزور من كان يرغب فى زيارتى فلما
علم أبوها ما بى من سوء الحال وشر المآل أخذها منى وجحدنى وطردنى
وأغلظ على فأتيت الى عاملك مروان بن الحكم راجيا لنصرتى فلما أحضر
أباها وسأله عن حالى قال ما أعرفه قط فقلت أصلح الله الامير ان رأى
أن يحضرها ويسألها عن قول أبيها ففعل وبعث خلفها فلما حضرت بين
يديه وقعت منه مواقع الاعجاب فصار لى خصما وعلى منكرا وأظهر لى
الغضب وبعث بى الى السجن فبقيت كأنما خررت من السماء
واستهوى بى الريح فى مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك أن تزوجنيها
على ألف دينار وعشرة آلاف درهم وأنا ضامن خلاصها من هذا
الاعرابى فرغب أبوها فى البذل وأجابه الى ذلك فلما كان من الغد بعث
الى وأحضرنى ونظر الى كالاسد الغضبان وقال طلق سعدا فقلت لا

فسلط على جماعة من غلمانه فأخذوني يعذبوني بأنواع العذاب فلم أجد لي بدا من طلاقها ففعلت فأعادني الى السجن فكنت فيه الى أن انقضت عدتها فتزوجها وأطلقني وقد أتيتك راجيا وبك مستجيرا واليك ملتجئا وأنشد يقول

في القلب مني نار * للنار فيه استعار
والجسم مني سقيم * فيه الطبيب يحار
وفي فؤادي جمر * والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعا * فدمعها مدرار
وليس الا بربي * وبالامير انتصار

قال ثم اضطرب واصطكت لهاته وصار مغشيا عليه وأخذ يتلفف كالحية قال فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم في حدود الدين وظلم واجترى على حرم المسلمين ثم قال لقد أتيتني يا أعرابي بحديث لم أسمع بمثله ثم ادعى بدواة وقرطاس وكتب الى مروان بن الحكم كتابا يقول فيه انه قد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود الدين وينبغي لمن كان واليا أن يكف بصره عن شهواته ويزجر نفسه عن لذاته ثم كتب بعد كلام طويل اختصرته فقال وأنشد يقول

وليت أمرا عظيما لست تدركه * فاستغفر الله من فعل امرئ زاني
وقد أتانا الفتى المسكين منتحبا * يشكو الينا بيث ثم أحزاني
أعطي الاله يمينا لا أكفرها * نعم وأبرأ من ديني وايماني
ان أنت خالفتني فيما كتبت به * لأجعلنك لحما بين عقباني
طلق سعاد وعجلها مجهزة * مع الكميت ونصر بن ذبيان

ثم طوى الكتاب وطبعه واستدعى بالكميت ونصر بن ذبيان وكان

يستنهضهما فى المهمات لامانتهما فأخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة ودخلا على مروان بن الحكم وسلما عليه وسلما اليه الكتاب وأعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرأ ويبكى ثم قام الى سعاد وأعلمها ولم يسعه مخالفة معاوية فطلقها بمحضر الكميت ونصر بن ذبيان وجهزهما وصحبتهما سعدى ثم كتب مروان كتابا يقول فيه هذه الابيات

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد * أوفى بنذرك فى سر واعلان
ما أتيت حراما حين أعجبنى * فكيف أدعى باسم الخائن الزانى
اعذره نك لو أبصرتها لجرت * فيك الامانى على تمثال انسان
فسوف تأتيك شمس ليس يدركها * عند الخليفة من انس ومن جان

ثم ختم الكتاب ودفعه الى الرسولين وسارا حتى وصلا الى معاوية وسلما اليه الكتاب وقرأه فقال لقد أحسن فى الطاعة وأطنب فى ذكر الجارية ثم أمر باحضارها فلما رآها رأى صورة حسناء لم ير أحسن منها ولا مثلها فى الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فقال على بالاعرابى فأتى به وهو فى غاية من تغير الحال فقال يا أعرابى هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار نهد أبكار كأنهن الاقمار مع كل جارية ألف دينار وأقسم لك فى بيت المال كل سنة ما يكفيك وما يغنيك قال فلما سمع الاعرابى كلام معاوية شهق شهقة ظن معاوية أنه مات فقال له معاوية ما بالك بشر بال وسوء حال فقال الاعرابى استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن أستجير من جورك وأنشد يقول

لا تجعلنى فداك الله من ملك * كالمستجير من الرمضاء بالنار
أردد سعاد على حيران مكتئب * يمسى ويصبح فى هم وتذكار

اطلق وثاقى ولا تبخل على بها * فان فعلت فانى غير كفار
ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتنى الخلافة ما أخذتها دون سعدى وأنشد يقول
أبى القلب الاحب سعدى وبغضت * على نساء مالهن ذنوب
فقال له معاوية انك مقر بأنك طلقتها ومروان مقر بأنه طلقها ونحن نخيرها ان اختارت سواك زوجناها وان اختارتك حولناها اليك قال افعل فقال معاوية ماتقولين ياسعدى أيما أحب اليك أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره وسلطانه وأمواله وما أبصرتيه عنده أومروان بن الحكم فى تعسفه وجوره أوهذا الاعرابى فى جوعه وفقره فأنشدت تقول
هذاوان كان فى جوع واضرار * أعز عندى من قومى ومن جارى
وصاحب التاج أومروان عامله * وكل ذى درهم عندى ودينارى
ثم قالت والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لا تبلى وأنا أحق من صبر معه فى الضراء كما تنعمت معه فى السراء فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم ودفع مثلها للاعرابى وأخذها وانصرف انتهى
(ومن ثمرات الاوراق عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها فى المحل الرفيع) فى أجل ذلك انه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص رضى الله عنه والوليد بن عتبة وعتبة بن أبى سفيان والمغيرة بن شعبة فقالوا يا أمير المؤمنين ابعث الى الحسن بن على أحضره لنا قال لهم ولم قالوا كى نوبخه ونعرفه أن أباه قتل عثمان فقال لهم معاوية انكم لن تطيقوه ولا تنتصفوا منه ولا تقولوا له شيأ الا كذبكم ولا يقول لكم ببلاغته

شيأ الا صدقه الناس فقالوا ارسل اليه فانا نكفيه فأرسل اليه معاوية
فلما حضر قال يا حسن انى لم أرسل اليك ولكن هؤلاء أرسلوا اليك
فاسمع مقالتهم وقال الحسن رضى الله عنه فليتكلموا ونحن نسمع فقام
عمرو بن العاص رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا حسن هل
تعلم ان أباك أول من أثار الفتنة وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله
تعالى ثم قام الوليد بن عتبة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا بنى هاشم كنتم
أصهار عثمان بن عفان فنعم الصهر كان لكم لقربه من رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه وقتلتموه وقد أردنا
قتل أبيك فأنقذنا الله منه ولو قتلناه ما كان علينا من الله ذنب ثم قام
عتبة بن أبى سفيان وقال يا حسن ان أباك قد تعدى على عثمان فقتله
حسدا على الملك والدنيا فسلبهما الله منه ولقد أردنا قتل أبيك حتى
قتله الله تعالى ثم قام المغيرة بن شعبة وكان كلامه سبا لعلى وتعظيما
لعثمان وقام الحسن رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال بك ابدأ
يا معاوية لم يشتمنى هؤلاء ولكن أنت تشتمنى بغضا وعداوة وخلافا لجدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت الى الناس وقال أنشدكم الله
ان الذى شتمه هؤلاء أما كان أبى وهو أول من آمن بالله وصلى الى
القبلتين وأنت يا معاوية كافر تشرك بالله وكان مع أبى لواء النبى صلى
الله عليه وسلم يوم بدر ولواء المشركين مع معاوية ثم قال أنشدكم الله
تعالى أما كان معاوية يكتب لجدى صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه
يوما فرجع الرسول وقال هو يأكل فرد اليه الرسول ثلاث مرات كل
ذلك يقول هو يأكل فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أشبع الله بطنه
يا معاوية أما تعرف ذلك من بطنك ثم قال وأنشدكم الله أما تعلموا ان
معاوية كان يقود بأبيه وهو على جمل وأخوه هذا يسوقه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم ما قال وأنت تعلم ذلك هذا كله لك يا معاوية
وأما أنت يا عمرو تنازعك خمسة من قريش فغلب عليك شبه الأمهم
وهو أقلهم حسبا وأسوءهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت اني
شانىء محمد بثلاثين بيتا من الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اني لا أحسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل بيت
لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما عملت وعملت فكذبك وردك
لنا ثبا فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام فلا نلومك على
بغضك الآن وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف ألومك على سبك
لأبي وقد جلدك أبي في الخمر ثمانين جلدة وقتل أباك صبرا بأمر جدي
وقتله جدي بأمر ربي ولما قدمه للقتل قال من للصبية بعدي يا محمد
فقال جدي لهم النار فلم يكن لهم عند جدي غير النار ولم يكن لهم عند أبي
غير السوط والسيف وأما أنت يا عتبة فكيف تعيب أحدا بالقتل فلم
قتلت الذي وجدته على فراشك مضاجعا لزوجتك ثم أمسكتها بعد
ان بغت وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي شيء تسب عليا أفي بعده من
رسول الله صلى الله عليه وسلم أم الحكم جائر في رعيته في الدنيا فان
قلت في شيء من ذلك كذبت وكذبك الناس وان زعمت ان عليا
قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس وانما مثلك كمثل بعوضة
وقعت على نخلة فقالت لها استمسكي فاني أريد أن أطير فقالت لها
النخلة ما علمت بوقوعك فكيف يشق على طيرانك فكيف يا أعور
ثقيف يشق علينا سبك ثم نفض ثيابه وقام فقال لهم معاوية ألم أقل لكم
لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم على البيت حتى قام وروى ان معاوية
رضي الله عنه خرج يوما حاجا فقرب المدينة ففرق على أهلها أموالا جزيلة
ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما حضر قال له معاوية مرحبا

مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا وتعرض لما ليس له فقال له الحسن رضي الله عنه كيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال له معاوية قد أمرت لك بمثل ما أمرت به لأهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها * وقيل ان معاوية رضي الله عنه جلس يوما بين أصحابه اذ أقبلت قافلتان من البرية فقال لبعض من كان بين يديه انظروا هؤلاء القوم وائتوني بأخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا يا أمير المؤمنين احداهما من اليمن والأخرى من قريش فقال ارجعوا اليهم وادعوا قريشا يأتونا وأما أهل اليمن ينزلون في أماكنهم الى أن نأذن لهم بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم وقال أتدرون يا أهل قريش لما أخرت أهل اليمن وقربتكم قالوا لا والله يا أمير المؤمنين قال لأنهم لم يزالوا سخطا ولون علينا بالمعيار ويقولون ما ليس فيهم واني أريد اذا دخلوا غدا وأخذوا أماكنهم من الجلوس أقوم فيهم نذيرا وألقي عليهم من المسائل ما أقل به اكرامهم وأرخص به مقامهم فاذا دخلوا وأخذوا أماكنهم من الجلوس وسألوا عن شئ فلا يجيبهم أحد غيري قال الراوي وكان المقدم عليهم رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فأقبل على أصحابه وقال أتدرون يا أهل اليمن لم أخركم ابن هند وقدم قريشا قالوا لا قال لأنه في غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل ما يقل به اكرامكم ويرخص به مقامكم فاذا دخلتم عليه وأخذتم أماكنكم من الجلوس وسألكم عن شئ فلا يجيبه أحد غيري فلما كان من الغد دخلوا عليه وأخذوا أماكنهم فنهض معاوية قائما على قدميه وقال أيها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب وعلى من أنزلت العربية فقام الطرماح وقال يحن يا معاوية ولم يقل يا أمير المؤمنين فقال لماذا

فقال لانه لما نزلت العرب ببابل وكانت العبرانية لسان الناس كافة أرسل الله تعالى العربية على لسان يعرب بن قحطان الباهلي وهو جدنا فقرأ العربية وتداولتها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يامعاوية عرب بالجنس وأنتم عرب بالتعليم فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من أقرب العرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يامعاوية قال ولم قال لان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فكذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا ها وشاد ونصرناه فأنزل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا وكان النبي صلى الله وسلم محسنا لنا متجاوزا عن سيئاتنا فلم لم تفعل أنت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت زمانا ثم رفع رأسه وقال أيها الناس من أفصح العرب لسانا ومن شهد له بذلك قال الطرماخ نحن يامعاوية قال ولم ذلك قال لان امرء القيس بن حجر الكندي منا قال في بعض قصائده

يطعمون الناس غبا * في السنين المحلات
في جفان كالجواب * وقدور راسيات

وقد تكلم بالقرآن قبل أن ينزل وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال فسكت معاوية زمانا وقال أيها الناس من أقوى العرب شجاعة وذكرا ومن شهد له بذلك قال الطرماخ نحن يامعاوية قال ولم ذلك قال لان منا عمرو بن معدي كرب الزبيدي كان فارسا في الجاهلية وفارسا في الاسلام وشهد له بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له معاوية وأين أنت وقد أتى به مصفدا بالحديد فقال له الطرماخ ومن أتى به قال معاوية أتى به علي قال الطرماخ والله لو عرفت مقداره لسلمت اليه الخلافة ولا طمعت فيها أبدا فقال له معاوية أتحبني يا عجوز اليمن قال

نعم أجل يا عجوز مصر لان عجوز اليمن بلقيس آمنت بالله وتزوجت بنبيه سليمان بن داود عليهما السلام وعجوز مصر جدتك التي قال الله في حقها وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد قال فسكت معاوية زمانا ثم رفع رأسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب ووفر عقلك ورحم سلفك وأعطاه وأحسن اليه انتهى قال الراوي وخطب معاوية يوما فقال يا أيها الناس ان الله تعالى قال وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلى م تلومونني اذا قصرت عنكم في عطاياكم فقال له الاحنف بن قيس انا والله ما نلومك فيما في خزائن الله ولكن وضعت يدك على ما أنزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا وبينه ومما روى عن الشعبي قال استأذنت سودة بنت عمارة بن الاسد على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها فلما دخلت عليه قال لها يا بنت الاسد ألست القائلة شعرا

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة * يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه * واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد * علم الهدى ومنارة الايمان
وقد الجيوش وسر أمام لوائه * وارمي بأبيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاوية وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك على ذلك قالت حب علي واتباع الحق قال والله ما أرى عليك من أثر على شيأ قالت أنشدك الله يا معاوية لا تذكرا عادة ما مضى قال هيهات وما مثلك ومقام اخيك ينسى وما لقيت من أخيك قالت صدقت يا معاوية لم يكن اخي ذميم المقام ولا خفي وهو والله كقول الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

وأنا أسألك يا معاوية اعفاك مما استعفيت به قال قد فعلت فما حاجتك

قالت يامعاوية انك أصبحت للناس سيدا ولامورهم واليا والله سائلك عن أمرنا وماافترض عليك من حقنا ولاتزال تقدم علينا من يغرك ويبطش بسلطانك ويحصدنا حصد السنبل ويدرسنا درس العصفر ويسومنا الخسف ويسلبنا الخيل هذا ابن ارطاة قدم علينا فقتل رجالى وأخذ مالى ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فشكرناك واما أقررته فعرفناك فقال لها أبقولك تهدديني هممت أن أحملك على قتب جمل أشرس وأسيرك اليه لينفذ فيك أمره فأطرقت وبكت وأنشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه * قبر فأصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا * فصار بالحق والايمان مقرونا

قال ومن ذاك قالت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال ولم قالت أتيت فى رجل ولاه علينا ولم يكن بيننا وبينه الا كمابين الغث والسمين * فوجدته قائما يصلى فلما نظر الى انفلت من صلاته ثم قال برأفة ورحمة ألك حاجة فأخبرته فبكى ثم قال اللهم اشهد على وعليهم انى لم أولهم وآمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد كهيئة طرف الجراب فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ اذا قرأت كتابى هذا فاحتفظ بما فى يدك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فأخذته منه وأوصلته اليه فامتثل ورجع عما كان فيه فقال معاوية اكتبوا لها بردمالها والعدل فى أحوالها فقالت ألى خاصة أم لى ولقومى قال بل أنت قالت هى والله اذا الفحشاء واللؤم اماعدلا شاملا والا أنا كسائر قومى قال اكتبوا لها

بحاجتها

بجاحتها هي وقومها ولما اتصلت ميسون بنت بحدل بمعاوية رضي الله عنه ونقلها من البدو الى الشأم كانت تكثر الحنين على ناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها ذات يوم فسمعها تنشد وتقول

لبيت تخفق الارياح فيه * أحب الى من قصر منيف
وأكل كسيرة من قعر بيتي * أحب الى من أكل الصنوف
وأصوات الرياح بكل فج * أحب الى من نقر الدفوف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الى من لبس الشفوف
وكلب ينبح الطراق حولي * أحب الى من قط ألوف
وبكر يتبع الاظعان ظعنا * أحب الى من بغل زفوف
وخرق من بني عمي ضعيف * أحب الى من علج عنوف

قال الراوي فلما سمع معاوية الابيات قال مارضيت ابنة بحدل حتى جعلتني علجا عنيفا انتهى (حكاية اجنبية عن المقام) يحكى أن بهرام لما ولي الملك بعد أبيه اقبل على اللهو واللذات والتنزه والصيد ولا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خرجت البلاد عن يده وخربت في ايامه وقلت العمارة وخلت بيوت الاموال فلما كان في بعض الايام ركب الى بعض منازهه وصيده وهو يسير نحو المدائن وكانت ليلة مقمرة فدعا بالموبذ والموبذ عند المجوس كالحاخان عند اليهود والقسيس عند النصارى لامر خطر بباله فجعل يحادثه * فتوسطا في سيرهما بين خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها الا البوم واذا ببوم يصيح وصاحبه يجاوبه من تلك الخرابات فقال بهرام أترى ان أحدا من الناس اعطى فهم لغة هذا الطائر المصوت في الليل البهيم فقال الموبذ أيها الملك أنا ممن خصه الله بذلك قال فما يقول هذا الطائر وما يقول الطائر الآخر فقال الموبذ هذا بوم ذكر يخطب بومة

ويقول لها متعيني نفسك حتى يخرج من بيننا أولاد يسبحون الله ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فأجابت البومة ان الذي تدعونني اليه لي فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في العاجل والآجل الا أني أشترط عليك خصالا ان أعطيتها اجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبينه مني قالت ان تعطيني من خرابات امهات الضياع عشرين قرية مما خربت في ايام هذا الملك السعيد فقال له الملك فما الذي قال لها الذكر قال المؤبذ كان من قوله لها ان دامت أيام هذا الملك السعيد أقطعتك منها ألف قرية خراب فما تصنعين بها قالت في اجتماعنا يحصل ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من أولادنا ضيعة من هذه الخرابات فقال لها الذكر هذا أسهل أمر سألتنيه وانا ملي بذلك ما حيي هذا الملك فلما سمع الكلام من المؤبذ عمل في نفسه واستيقظ من نومه وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بين وله الناس وخلا بالمؤبذ فقال أيها القائم بامر الدين والناصح للملك والمنبه له عما أغفله من أمور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ما هذا الكلام الذي خاطبتني به فقد حركت مني ما كان ساكنا فقال المؤبذ صادفت من الملك السعيد وقت سعد العباد والبلاد فجعلت الكلام مثلا وموعظا على لسان الطائر عند سؤال الملك اياي عن ما سأل فقال له الملك أيها الناصح اكشف لي عن هذا الغرض ما المراد منه فقال أيها الملك أن الامر لا يتم الا بالشريعة والقيام لله بطاعته ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه الرب جل وعلا وجعل له قيما وهو الملك فقال الملك أما ما وصفت فحق فابن لي عما اليه تقصد وأوضح لي

فى البيان قال نعم أيها الملك انك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم وأهل البطالة فعمدوا الى ما تعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة والنظر فى العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا فى الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فانجلوا عن ضياعهم وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وتطمع فى ملك فارس من أطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بسببها تستقيم دعائم الملك فلما سمع الملك ذلك أقام فى موضعه ثلاثة أيام وأحضر الوزراء والكتاب وأرباب الدواوين فانتزعت الضياع من أيدى الخاصة والحاشية وردت الى اربابها وحملوا على رسومهم السالفة وأخذوا فى العمارة وقوى من ضعف منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء وأقبل الملك يباشر الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت أيامه بعده تدعى بالاعياد مما عم الناس من الخصب وشملهم من العدل اه *(حكاية اخرى أجنبية)* حكى عن الاصمعى انه قال دخلت البصرة أريد بادية بنى سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القشرى فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشاب ذى جمال وكمال وأدب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسألهم عن قصته فقالوا هذا لص أصبناه البارحة فى منازلنا فنظر اليه خالد فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال خلوا عنه ثم أدناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على ما ذكروه فقال له خالد ما حملك على ذلك وأنت فى هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملنى الشره فى الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك أمك أما كان لك فى جمال وجهك وكمال

عقلك وحسن أدبك زاجرا لك عن السرقة قال دع عنك هذا أيها الملك الامير وانفذ فى ما أمرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداى وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر فى أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له ان اعترافك على رؤس الاشهاد قد رابنى وأنا ما أظنك سارقا وان لك قصة غير السرقة فأخبرنى بها فقال أيها الامير لا يقع فى نفسك شئ سوى ما اعترفت به عندك وليس فى قصة اشرحها لك الا أنى دخلت دار هؤلاء فسرقت منها مالا فأدركونى وأخذوه منى وحملونى اليك فامر خالد بحبسه وأمر مناديا ينادى فى البصرة الا من أحب أن ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى فى الحبس ووضع فى رجليه الحديد تنفس الصعداء ثم انشأ يقول

هددنى خالد بقطع يدى * اذا لم أبح عنده بقصتها
فقلت هيهات أن أبوح بما * تضمن القلب من محبتها
قطع يدى بالذى اعترفت به * اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون فأتوا خالدا وأخبروه بذلك فلما جن الليل أمر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فرآه أديبا عاقلا لبيبا ظريفا فأعجب به فامر له بطعام فأكل وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت أن لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبهة تدرئ عنك القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة وأمر باحضار الفتى فأقبل يحجل فى قيوده ولم يبق أحد من النساء الا بكى عليه وارتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب فامر بتسكين الناس

ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول قال صدقوا أيها الأمير دخلت دارهم وسرقت مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصابا كاملا قال فلعلك سرقته من غير حرز مثله قال بل من حرز مثله قال فلعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما يريد

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين فبادرت جارية من صف النساء عليها آثار وسخ فصرخت وأرمت نفسها عليه ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر وارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منها فتنة ثم نادت بأعلى صوتها ناشدتك الله أيها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه رقعة ففضها خالد فاذا هو مكتوب فيها هذه الابيات

أخالد هذا مستهام متيم * رمته لحاظي من قسي الحمالق
فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه * حليف الجوى من دائه غير فائق
أقر بما لم يقترفه لانه * رأى ذاك خيرا من هتيكة عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه * كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الابيات تنحى وانعزل عن الناس وأحضر المرأة ثم سألها عن القصة فأخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه أراد زيارتها وأن يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع أبوها واخوتها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فأخذوه وقالوا هذا سارق وأتوا به اليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني

كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد انه خليق بذلك ثم استدعى الفتى اليه وقبل ما بين عينيه وأمر باحضار أبى الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم فى هذا الفتى بالقطع وان الله عز وجل عصمنى من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وانا أسألك أن تأذن لى فى تزويجها منه فقال الشيخ قد أذنت أيها الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى قد زوجتك هذه الجارية فلانة الحاضرة باذنها ورضاها واذن أبيها على هذا المال وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك هذا التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا فى الصوانى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق أحد فى سوق البصرة الا نثر عليهما اللوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال الاصمعى فما رأيت يوما أعجب منه أوله بكاء وترح وآخره سرور وفرح (وهذه حكاية تشابه ما تقدم) قال حماد الراوية كنت عند جعفر بن سليمان بالبصرة اذ أتى بشاب حسن الوجه ومعه جارية كأنها قضيب بان فقال صاحب الشرطة أصلح الله الامير انى وجدت هذا وهذه مجتمعين فى خلوة وليس لها محرم فقال جعفر للفتى ما تقول فقال صدق واتمطال والله غرامى بها منذ ثلاثة سنين والله ما أمكننى الخلوة بها الا فى هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من ربى أفوز بقربها ❊ فلما تهيأ لى المنا عاقه العسر
ووالله بل والله ما كان ريبة ❊ وما كان الا اللفظ والضحك والبشر
فدونكم جلدى ولا تجلدونها ❊ فكم من حرام كان من دونه ستر

قال فجعلت الجارية تبكى بكاء شديدا فقال لها وأنت لم تبكين فقالت

والله شفقة على ماحل بنا وكيف احتلت حتى خرجت وكيف بلينا بهذه البلية قال أتحبينه قالت فلم غررت بنفسي قال لها أنت حرة أم مملوكة قالت بل مملوكة فأمرها فدخلت الدار وأحضر مولاها فاشتراها منه بألفي دينار وأعتقها وزوجها الفتى ووهب له مائة دينار وكساها وأنشد الفتى يقول

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة * جمعت بها بين المحبين في ستر

فلا زلت بالاحسان كهفا وملجأ

وقد جل ماقد كان منك عن الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة وانصرفا مسرورين انتهى * وفي ايام دولة عبد الملك بن مروان وهو أول من تسمى عبد الملك في الاسلام وكان يلقب برشح الحجر ذكره في حياة الحيوان وذكره محمد بن واسع الهيتي ان عبد الملك بن مروان بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم الى الحجاج بن يوسف اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات نهدا أبكارا يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعا بالنخاسين أي الياسرجية ثم أمرهم بما امر به أمير المؤمنين وامرهم أن يغوصوا في البلاد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على الغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار نهد أبكار مولدات ليس لهن مثيل وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن وثمنها من المال فوجدهن لا يقومن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك ابن مروان يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين متعه الله ببقائه يقول فيه ان اشترى له ثلاث جوار مولدات نهد ابكار

وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها أما الجارية الاولى أطال الله بقاء أمير المؤمنين فانها الطيفة السوالف عظيمة الروادف كحلات العينين حلوة الوجنتين قد أنهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضاء في طرفها دعج يزينها * كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الجارية الثانية فانها فائقة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ثلاثون ألف درهم وأما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة لقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها خشف غزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون ألف درهم ثم أطنب في الشكر والثناء على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي أن اجهزه قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الاماكن فمن الجواري فهبت ريح فانكشفت احداهن وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها امكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا ففتن بها ساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

امكتوم عيني ماتمل من البكا * وقلبي باسهام الاسى يترشق
امكتوم كم من عاشق قتل الهوى * وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فأجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا * ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انتضى ابن النخاس بسيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة

تنتظر قدومه فأخذها وأراد الهرب بها فقفان به أصحابه وأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسوراً معهم الى أن قدموا على عبد الملك فلما قدموا بالجوارى بين يديه أخذ الكتاب وفضه وقرأه فوجد الصفة موافقة فى اثنين ولم توافق فى الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهى الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق عليها الصفة التى ذكرها الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها وهذا الانفعال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول وعلينا الامان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى الفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى أمير المؤمنين بكى بكاء شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول هذه الابيات

أمير المؤمنين اتيت رغما * وقد شدت الى عنقى يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلى * ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبى * وان تعفو فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت أاستخفافا بنا أم هوى للجارية فقال وحقك يا أمير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى بالجارية فقال هى لك بما عدلها وأخذ الغلام الجارية بكل ما أعدلها أمير المؤمنين من الحلى والحمان وسار بها فرحا مسرورا حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا منزلا ليلا فتعانقا فلما أصبح الصباح وأراد الناس الرحيل نبهوهما فوجدا ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما فى الطريق ومضى خبرهما الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما وتعجب من ذلك انتهى (وهذه حكاية تشابهها فى العشق) حكى عن عبد الله بن معمر القيسى أنه قال حججت سنة الى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا ذات ليلة جالس

بين القبر والروضة اذ سمعت أنينا عاليا وحنينا باديا فأنصت اليه فاذا هو يقول هذه الابيات

أشجاك نوح حمائم السدر * فاهجن منك بلابل الصدر
أم عز نومك ذكر غانية * اهدت اليك وساوس الفكر
ياليلة طالت على دنف * يشكو الغرام وقلة الصبر
أسلمت من يهوى لحرجوى * متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهدانني كلف * مغرا بحب شبيهة البدر
ما كنت أحسبني بها شجنا * حتى بليت وكنت لا أدري

قال ثم انقطع الصوت ولم أدر من أين جاءني فبقيت حائرا واذا به قد أعاد البكاء والحنين وأنشأ يقول هذه الابيات

أشجاك من ريا خيال زائر * والليل مسود الذوائب عاكر
واعتاد مقلتك الهوى برشيشة * واهتاج مقلتك الخيال الزاهر
ناديت ليلى والظلام كأنه * يم تلاطم فيه موج زاخر
والبدر يسري في السماء كأنه * ملك ترحل والنجوم عساكر
ياليل طلت على محب ماله * الا الصباح مساعد وموازر
فأجابني مت حتف أنفك واعلمن * أن الهوى لهو الهوان الحاضر

قال فنهضت عند ابتدائه الابيات أؤم الصوت فما انتهى لآخر الابيات الا وأنا عنده فرأيت غلاما ما كما بزل عذاره وقد خرق الدمع وجنتيه خرقين فقلت نعمت غلاما فقال وأنت فمن الرجل قلت عبدالله بن معمر القيسي قال أفلك حاجة قلت له كنت جالسا في الروضة فما راعني في هذه الليلة الا صوتك فبنفسي أفديك ما الذي تجده قال اجلس فجلست قال أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الانصاري غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت عن بعيد

واذ بنسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية بديعة الجمال كاملة الملاحة فوقفت علي وقالت يا عتبة ما تقول في وصل من يطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم أسمع لها خبرا ولا اقفوت لها أثرا فأنا حيران انتقل من مكان الى مكان ثم صرخ وانكب على الارض مغشيا عليه ثم أفاق كأنما صبغت ديباجتي خديه بورس ثم أنشد يقول هذه الابيات

أراكم بقلبي من بلاد بعيدة * تراكم ترونى بالقلوب على بعدى
فؤادى وطرفي يأسفان عليكمو * وعندكمو روحي وذكركمو عندى
ولست ألذ العيش حتى أراكمو * ولو كنت في الفردوس أو جنة الخلد

قال فقلت له يا ابن أخي تب الى ربك واستقل من ذنبك فان بين يديك هول المطلع فقال هيهات ما أنا بسال حتى يؤوب القارضان ولم أزل به حتى طلع الفجر فقلت قم بنا الى مسجد الاحزاب فقمنا اليه فجلسنا حتى صلينا الظهر واذا بنسوة قد أقبلن وأما الجارية فليست فيهن فقلن يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاشفة ما بك قال وما بالها قلن أخذها أبوها وارتحل الى السماوة فسألتهن عن الجارية فقلن هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع رأسه وأنشأ يقول

خليلي ريا قد أجد بكورها * وسار الى أرض السماوة عيرها
خليلي انى قد غشيت من البكا * فهل عند غيرى عبرة أستعيرها

فقلت له يا عتبة انى وردت بمال جزيل أريد به أهل الستر والله لابذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضا قم بنا الى مجلس الانصار فقمنا حتى أشرفنا على ملائهم فسلمت فأحسنوا الرد ثم قلت أيها الملأ ما تقولون في عتبة وأبيه قالوا من سادات العرب قلت فانه رمى بداهية من الهوى فأريد منكم المساعدة الى السماوة قالوا سمعا وطاعة وركبنا وركب القوم معنا حتى أشرفنا على منازل بني سليم فأعلم الغطريف

بمكاننا فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حييتم يا كرام قلنا وأنت حييت أما لك اضياف فقال نزلتم باكرم منزل ثم نادى يامعشر العبيد انزلوا نزل العبيد ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقين طعامك حتى تقضي حاجتنا فقال وما حاجتكم قلنا نخطب ابنتك الكريمة لعتبة بن الحباب بن المنذر العالى المفخر الطيب العنصر فقال يا أخي ان التي تخطبونها أمرها الى نفسها وأنا أدخل وأخبرها ثم نهض مغضبا ودخل الى ريا فقالت يا أبت مالى أرى الغضب بينا عليك فقال ورد على قوم من الانصار يخطبونك مني فقالت سادات كرام استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم فلمن الخطبة فيهم قال الفتى يعرف بعتبة بن الحباب قالت سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد ويدرك ما طلب قال أقسمت لا زوجتك به أبدا فقد نمى الى بعض حديثك معه قالت ما كان ذلك قال ولكن أقسمت أني ما أزوجك به قالت احسن اليهم فان الانصار لا يردون موردا قبيحا فأحسن الرد قال باى شئ قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال ما أحسن ماقلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاة الحي قد أجابت ولكن أريد لها مهر مثلها فمن القائم به قال عبد الله فقلت أنا فقال أريد لها ألف سوارة من ذهب أحمر وخمسة آلاف درهم من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد والحبر وخمسة أكرشة من العنبر قال قلت لك ذلك فهل أجبت قال اجل فانفذ عبد الله نفرا من الانصار الى المدينة المنورة وأتوا بجميع ما ضمنه وذبحت النعم والغنم واجتمع الناس لأكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال أربعين يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرف وسرنا حتى اذا بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة وأحسب انها من بني سليم

فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال وانحرف راجعا وبه طعنة ثم سقط الى الارض وأتتنا النصرة من سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبة نحبه فقلنا واعتبتاه فسمعتنا الجارية تقول واعتبتاه ألقت نفسها من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة هذه الابيات

نصبرت لاأني صبرت وانما * اعلل نفسي انها بك لاحقه
ولوانصفت روحي لكانت الى الردا * أمامك من دون البرية سابقه
فما أحد بعدي وبعدك منصف * خليلا ولانفس لنفس موافقه

ثم شهقت شهقة واحدة قضت نحبها واحتفرنا لهما قبرا واحدا وواريناهما التراب ورجعت الى ديار قومي واقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجار ووردت المدينة المنورة للزيارة فعلت والله لاعودن الى قبر عتبة فأتيت الى القبر فاذا شجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فأقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان آخر العهد به ومثل ماتقدم من العشق وماورد في كتمان الهوى مع تحقق النظر عندا على انه ماحكى عن بعض المعمرين من ذوي النعم قال بينما أنا في منزلي اذ دخل على خادم لي ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الى هذا الكتاب ففضته فاذا فيه شعر

تجنبك البلاء وناك خيرا * ونجاك المليك من الغموم
فعندك لومننت شفاء نفسي * واعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم أخرج وائتني به فخرج فلم ير أحدا فعجبت من أمره وأحضرت الجواري كلهن من يخرج منهن ومن لم يخرج منهن وسألتهن عن ذلك فحلفن أنهن لايعرفن من حديث هذا الكتاب

شيأ فقلت اني لم افعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن فمن عرفت بحال هذا الفتى فهي هبة مني له بمالها ومائة دينار وكتبت جوابه أشكره على ذلك وأسأله قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيأ فليأخذه فمكث الكتاب والذهب أياما لا يأخذه أحد فغمني ذلك وقلت هذا قبيح ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جواري من الخروج فما كان الا يوما أو بعض يوم اذ دخل على الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض أصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج وائتني به فخرج فلم يجده ففضضت الكتاب فاذا فيه هذه الابيات

ماذا اتيت الى روح معلقة * عند التراقي وحادي الموت حاديها
حثثت حاديها ظلما فجدبها * في السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لي تأتي بفاحشة * وان عقباك دنيانا وما فيها
لعلت لا والذي أخشى عقوبته * ولا بأضعافها ما كنت آتيها
لولا الحياء لبحنا بالذي سكنت * بيت الفؤاد وأبدينا أمانيها

قال فغمني أمره وقلت للخادم لا يأتينك أحد بكتاب الا قبضت عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما أنا قد أفضت من عرفة واذا بي الى جانبي على ناقة لم يبق منه الا الخيل فسلم علي فرددت عليه السلام ورحبت به فقال أتعرفني فقلت وما انكرك بسوء فقال أنا صاحب الكتابين فانكببت عليه فقلت له يا أخي لقد غمني أمرك واقلقني كتمانك لنفسك ووهبت لك طلبتك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما أتيتك مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله لك والجارية فسر معي الى منزلي لاسلمها اليك ومائة دينار ومثلها في كل سنة فقال لا حاجة لي بذلك فألححت عليه فلم يفعل فقلت له أما اذا أبيت فعرفني من هي من جواري لا كرمها من أجلك ما حييت

فقال

فقال ما كنت لاسميها لاحد وودعني وانصرف وكان آخر العهد به اه

(وعدنا الى الكلام على ماوقع فى زمان عبد الملك بن مروان)

روى انه لما ولى الحجاج الحرمين الشريفين حظى عنده ابراهيم بن محمد ابن طلحة فلما أراد الحجاج الرجوع الى الشام الى عبد الملك بن مروان وفد معه ابراهيم بن محمد بن طلحة وقال أتيتك برجل الحجاز فى الشرف والابوة والفضل والمروءة يا أمير المؤمنين مع ماهو عليه من حسن الطاعة وجميل المسامحة والله لم يكن فى الحجاز له نظير فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا فعلت معه من الخير ماهو مستحقه فقال عبد الملك من هو يا أبا محمد قال له ابراهيم بن محمد بن طلحة قال يا أبا محمد لقد ذكرتنا بحق واجب ئذن له فى الدخول ولما دخل على عبد الملك أمر بجلوسه فى صدر المجلس ثم قال ان أبا محمد الحجاج ذكر لنا مانعرفه من كمال مروءتك وحسن نصيحتك ولا تدع فى صدرك حاجة الا أعلمتنابها حتى نقضيها لك ولا نضيع شكر أبى محمد الحجاج فيك قال ابراهيم ان الحاجة التى ابتغى بها وجه الله تعالى والتقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم فى القيامة ونصيحة أمير المؤمنين فأنا أبديها يا أمير المؤمنين قال قل قال لا أقولها وبيني وبينك ثالث قال ولا صديقك الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا يعرف أين تطأ رجله فلما مضى قال لى هات نصيحتك فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين وفيهما من تعرف من أولاد المهاجرين والانصار وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ماتعلمه من ظلمه وعسفه وجوره وبعده عن الحق وقربه الى الباطل يسومهم الخسف ويطؤهم بالعسف فليت شعرى أى جواب اعددته لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألك فى عرصات القيامة عن ذلك فبالله عليك يا أمير المؤمنين الا عزلته وادخرتها قربة

الى الله تعالى فقال عبد الملك لقد ظن الحجاج الخير بغير أهله ثم قال
يا ابراهيم قم فقمت على أنحس حال وخرجت من المجلس وقد اسودت
الدنيا فى وجهى فتبعنى حاجبه وقبض على زندى وجلس بى فى الدهليز
ثم دعا عبد الملك بالحجاج فدخل فمكث طويلا فما شككت الا انهما
يتشاوران فى قتلى ثم دعانى فقمت ودخلت فوافانى الحجاج داخلا
فعانقنى وقال جزاك الله عنى خيرا فى هذه النصيحة أما والله لئن عشت
لارفعن قدرك وتركنى وخرج ودخلت وأنا أقول يهزأ بى وهو
معذور فدخلت على عبد الملك فأجلسنى مجلسى الاول ثم قال لى
قد علمت صدقك وقد عزلته عن الحرمين ووليته العراق وأعلمته أنك
استقللت له الحجاز واستدعيت له العراق وأنك تطلب له الزيادة
فى الاعمال وهو يظن أنك السبب فى توليته العراق وقد تهلل وجهه
وسر بذلك فسر معه أينما توجه يولك خيرا ولا تقطع نصيحتك عنا والله
أعلم وفى مروج الذهب للمسعودى وشرح السيرة وغيرهما ان أم الحجاج
ابن يوسف وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لادبر له فنقب دبره
وأبى أن يقبل ثدى أمه أو غيرها فأعياهم أمره فيقال ان الشيطان
تصور لهم فى صورة الحارث بن كلدة فقال ما خبركم فقالوا ولد ليوسف
الثقفى من الفارعة ولد وقد أبى ان يقبل ثدى امه فقال اذبحوا له تيسا
اسود والعقوه دمه ثم اذبحوا له اسود سالخا وأولغوه من دمه واطلوا به
وجهه ثلاثة أيام ففعلوا فقبل الثدى فى اليوم الرابع فكان لا يصبر عن
سفك الدم وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره انتهى من حياة الحيوان
فى حرف التاء وحكى ان الحجاج انفرد يوما من عسكره فلقى أعرابيا
فقال له يا وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غاشم قال هلا شكوته
الى عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم عليهما لعنة الله فبينما هو كذلك

اذ

اذ تلاحقت به عساكره فعلم الاعرابي انه الحجاج فقال الاعرابي أيها الامير السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه أحد الا الله وتبسم الحجاج وأحسن اليه وانصرف وذكر أهل التواريخ أن الحجاج بن يوسف الثقفي سهر ليلة وعنده جماعة منهم خالد بن عرفطة فقال ياخالد ائتني بمحدث من المسجد والناس اذ ذاك يطلبون المقام في المسجد فانتهى الى شاب قائم يصلي فجلس حتى سلم ثم قال أجب الامير قال أدعاك الامير الى قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد كيف أنت ومحادثة الامير قال سيجدني كما يحب ان شاء الله تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرأت القرآن قال نعم وقد حفظته قال فهل تروي شيأ من الشعر قال مامن شاعر الا وأروي عنه قال فهل تعرف من أنساب العرب ووقائعها قال لا يذهب عني شئ من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما أحب حتى اذاهم بالانصراف قال ياخالد مر للفتى ببرذون وغلام ووصيفة وأربعة آلاف درهم فقال الفتى أصلح الله الامير بقي من حديثي أطرفه وأعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال حدثني فقال أصلح الله الامير هلك والدي وأنا طفل صغير فنشأت في حجر عمي وله ابنة بسني وكان في الصبا من التصابي وما كنا فيه أعجوبة حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب فيها وبذلوا فيها أموالا لجمالها وكمالها فلما رأيت ذلك خامرني السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عدت الى خابية عظيمة فملأتها رملا وصفرا واقيرت رأسها ودفنتها تحت فراشي فلما تم على ذلك أيام بعثت الى عمي فقلت ياعم اني كنت أريد أسافر فوقعت على مال عظيم وخفت أن أموت ولا يعلمه أحد فان حدث بي أمر فأخرجه وأعتق عني عشر نسمات وأحجج عني عشر حجج وجهز عني عشر رجال بخيولهم وأسلحتهم وتصدق عني بألف دينار

ولا تبال يا عم فان المال كثير فلما سمع عمي مقالتي أتى امرأته فأخبرها بقولي فما كان بأسرع من أن أقبلت بجواريها حتى دخلت علي فوضعت يدها على رأسي ثم قالت والله يا ابن أخي ما علمت بسقمك وما حل بك حتى أخبرني أبو فلان الساعة وأقبلت تلاطفني وتعالجني بالادوية وحملت الى لطائف وردت الخطاب عن ابنتها فلما رأيت ذلك تحاملت ثم بعثت الى عمي فقلت يا عمي ان الله عز وجل قد أحسن الى وعافاني فابتغ لي جارية من خصالها وكمالها وجمالها كيت وكيت ولا يسألونك شيأ الا أعطيته فقال يا ابن أخي ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هي من أعز خلق الله تعالى علي غير أني قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع كان من قبل أمها وهي الآن قد سمعت ورضيت بذلك قلت شأنك فرجع الى امرأته فأخبرها بقولي فجمعت عشيرتها فزوجوني اياها فقلت عجل علي بابنة عمي كيف شئت ثم أريك الخابية فأهديت الي ولم تدع شيأ يصنع بأشراف النساء الا فعلته ثم زفت ابنتها علي وأحضرتها بكل ما وجدت اليه سبيلا وأخذ عمي متاعا من التجار بعشرة آلاف درهم وكان يأتينا في كل صباح من قبل أبويها لطائف وتحف مدة فلما كان بعد ذلك بأيام أتاني عمي وقال يا ابن أخي انا قد أخذنا من التجار متاعا بعشرة آلاف درهم وليسوا صابرين على حبس الثمن قلت شأنك والخابية فمر مسرعا حتى جاء بالرجال والحبال فاستخرجها وحملها ومر مسرعا بها الى منزله فلما بطحها كان فيها ما علمت فما كان بأسرع من أن جاءت أمها بجواريها فلم تدع في منزلي قليلا ولا كثيرا الا حملته فبقيت مهانا على الارض وجفتنا كل الجفا فهذا حالي أصلح الله الامير فأنا من خجلي وضيق صدري آوي المساجد فقال الحجاج يا خادم للفتى بثياب ديباج وفرس أرمنية

وجارية وبرذون وغلام وعشرة آلاف درهم وقال يافتى أغدالى خالد غداحتى تستوفى منه المال فخرج الفتى من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى تقول ليت شعرى ما أبطأ بابن عمى أقتل أم مات أم عرض له سبع قال فدخلت عليها وقلت يا ابنة عمى أبشرى وقرى عينا فانى أدخلت على الحجاج فكان من القصة كيت وكيت وحكيت لها ما كان من أمرى فلما سمعت الفتاة مقالتى لطمت وجهها وصاحت فسمع أبوها وأمها واخوتها صراخها فدخلوا عليها وقالوا لها ما شأنك فقالت لا بيها الا وصل الله رحمك ولا جزاك عنى وعن ابن أخيك خيرا أجفيته وضيعته حتى أصابته الخفة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم يا ابن أخى ما حالك فقلت والله ما بى من بأس الا أنى أدخلت على الحجاج وذكرله من أمره ما كان وأنه أمرله بمال جزيل فقال العم لما سمع مقالته هذه مرة صفراء ثائرة فباتوا يحرسونه تلك الليلة فلما أصبحوا بعثوا الى المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله أخرى فيقول الفتى والله ما بى من بأس وانما أدخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما رأى الفتى ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول فى الحجاج قال ما رأيته ثم خرج المعالج فقال لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا تعجلوا بحل قيده فبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان بعد أيام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل بالفتى فقال أصلح الله الامير ما رأيته منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه أحدا قال فبعث اليه خالد حرسيا فمر الحرسى على عم الفتى فقال له ما فعل ابن اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن أخى انى شغل عن الحجاج قد ابتلى ببلاء فى عقله قال لا أدرى ما تقول لابد من الذهاب به الساعة فدخل عليه العم فقال له يا ابن أخى ان الحجاج قد بعث فى طلبك

أو أحلك قال لا الا بين يديه فحمل فى قيوده وغله على ظهور الرجال حتى أدخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى اليه فكشف قيده وغله وقال أصلح الله الامير ان آخر أمرى أعجب من أوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد أضعف لافتى ما كنا قد أمرنا له فقبض المال أجمع وحسن حاله ولم يزل مسامر الحجاج حتى مات انتهى

* و حضر أعرابى عند الحجاج فقدم الطعام فأكل الناس منه ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابى حتى أكل منها لقمة ثم قال من أكل من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من أكلها وبقى الاعرابى ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال أيها الامير أوصيك بأولادى خيرا ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وأمر له بصلة انتهى

وحكى ان الحجاج أمر صاحب حراسته أن يطوف بالليل فمن وجده بعد العشاء ضرب عنقه وطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون وعليهم أثر الشراب فأحاط بهم وقال لهم من أنتم حتى خالفتم الامير فقال الاول

أنا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتى اليه الرقاب صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فأمسك عن قتله وقال لعله من أقارب أمير المؤمنين وقال الثانى

أنا ابن الذى لا ينزل الارض قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فأمسك عن قتله وقال لعله من أشراف العرب وقال الثالث

أنا ابن الذى خاض الصفوف بعزمه * وقومها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفك رجلاه منهما * اذا الخيل فى يوم الكريهة ولت

فأمسك عن قتله وقال لعله من شجعان العرب فلما أصبح رفع أمرهم الى الحجاج فأحضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثانى ابن

فوال والثالث ابن حائك فتعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه علموا أولادكم الادب فوالله لولا الفصاحة لضربت أعناقهم ثم أطلقهم وأنشد

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبي

وقيل أمر الحجاج بقتل أسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض للقتل يا حجاج ان كنا أسأنا في الذنب فما أحسنت في العفو والله تعالى يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله في الكفار فكيف بالمسلمين وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل الغلائل

فقال الحجاج أف لهؤلاء الجيف والله لو قال هؤلاء مثل ما قال هذا الرجل ما قتلت منهم أحدا ولكن أطلقوا بقيتهم قال الراوي ولما ولي الحجاج العراق قال علي بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال لها أنت بالامس في وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالي ونهب أموالي قالت نعم قد كان ذلك يا حجاج فالتفت الحجاج الى وزرائه وقال ما ترون في أمرها فقالوا العجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ الحجاج وقال ما أضحكك قالت وزراء أخيك فرعون خير من وزرائك هؤلاء قال وكيف ذلك قالت لانه استشارهم في موسى فقالوا أرجئه وأخاه أي أنظره الى وقت آخر وهؤلاء يسئلونك تعجيل قتلي فضحك الحجاج وأمر لها بعطاء وأطلقها وقيل ان هند بنت النعمان كانت أحسن نساء زمانها فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت

معه الى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فأقامت معه ماشاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهى تنظر فى المرآة وتقول

وما هند الا مهرة عربية * سلالة أفراس تحللها بغل

فان ولدت مهرا فلله درها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فلما سمع الحجاج كلامها انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ اليها عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتى ألف درهم وهى التى كانت لها عليه وقال يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التى كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا ألف درهم هى لك بشارة لك بخلاصى من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل اليها يخطبها بنفسه فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الكلب ولغ فى الاناء فلما قرأ عبد الملك بن مروان الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبعا احداهن بالتراب فاغسلى الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت اليه تقول بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أنى لا أجرى العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط أقول أن يقود الحجاج محملى من المعرة الى بلدك التى أنت فيها ويكون ماشيا حافيا بحليته التى كان فيها أولا فلما قرأ ذلك الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا شديدا وأرسل الى الحجاج يأمره بذلك فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب

ولم

ولم يخالف وامتثل الامر وأرسل الحجاج الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسار الحجاج فى موكبه حتى وصل المعرة بلد هند فركبت هند فى محمل الزفاف وركب حولها جواريها وخدمها وترجل الحجاج وهو حاف وآخذ بزمام البعير يقوده ويسيرها فأخذت تهزأ عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت لدايتها يا داية اكشفى لى ستارة المحمل لنشم رائحة النسيم فكشفته فوقع وجهها فى وجهه فضحكت عليه فأنشد يقول

فان تضحكى ياهند ياطول ليلة * تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته تقول

ومانبالى اذا أرواحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نشب
فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل تلعب وتضحك الى أن قربت من بلد الخليفة فلما قربت من البلد رمت من يدها دينارا على الارض وقالت يا جمال انه سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم ير الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك ابن مروان فتزوج بها وكان من أمرها ما كان (ذكر فى حياة الحيوان) قال عون بن أبى شداد العبدى بلغنى أن الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل قائدا من الشام يسمى المتلمس بن الاخوص ومعه عشرون رجلا فبينما هم يطلبونه اذا هم براهب فى صومعة له فسألوه عنه فقال الراهب صفوه لى فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه ساجدا يناجى ربه بأعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع رأسه فأتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا له أرسل الحجاج اليك فأجبه

قال ولا بد من الاجابة قالوا لا بد فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قام فمشى معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الى الدير فان الاسد واللبوة يأويان الدير فعجلوا الدخول قبل المساء ففعلوا ذلك وأبى سعيد أن يدخل الدير فقالوا ما نراك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبداً قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك قال سعيد ان معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرساً لي من كل سوء ان شاء الله تعالى قالوا أفأنت نبي من الانبياء قال ما أنا من الانبياء ولكني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف لنا انك لا تبرح فحلف لهم فقال لهم الراهب اصعدوا الدير وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول علي في الصومعة لمكانكم فدخلوا وأوتروا القسي فاذا هم بلبوة قد أقبلت فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به ثم ربضت قريباً منه وأقبل الاسد فصنع مثل ذلك فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا نزل اليه وسأله عن شرائع الاسلام وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففسر سعيد ذلك كله فأسلم الراهب وحسن اسلامه وأقبل القوم على سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه ويأخذون التراب الذي وطأه بالليل ويصلون عليه وقالوا يا سعيد حلفنا للحجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشأنكم فانه لا بد من الرجوع لخالقي ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسطا فلما انتهوا قال لهم سعيد يا معشر القوم قد تحرمت بكم وصحبتكم ولست أشك أن أجلي قد حضر وان المدة قد انقضت فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر وما يحثى علي من التراب فاذا أصبحتم فالميعاد بيني وبينكم

المكان الذي تريدون فقالوا لبعضهم لا نريد أثرا بعد عين قال بعضهم
قد بلغتم أمنكم واستوجبتم جوائزكم من الأمير فلا تعجزوا عنه فقال
بعضهم هو على أدفعه اليكم ان شاء الله فنظروا الى سعيد فدمعت
عيناه واغبر لونه ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه فقالوا بأجمعهم
يا خير أهل الارض ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا
ما عذرنا عند خالقنا يوم الحشر الاكبر والمجاوبة له قال كفيله أسألك
يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك فانا لا نلقى مثلك أبدا فدعا
لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم مختفون
الليل كله فلما انكشف عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب
فقالوا صاحبكم ورب الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا به
الى الحجاج فدخل عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير
فلما مثل بين يديه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال أنت شقي بن كثير
قال بل أمي كانت أعلم باسمي منك قال شقيت أنت وشقيت أمك قال
الغيب يعلمه غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت أن ذلك بيدك
لا تخذتك الها قال فما قولك في محمد قال نبي الرحمة قال فما قولك أعلى
في الجنة أم في النار قال لو دخلتهما وعرفت أهلهما عرفت من فيهما
قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال فأيهم أحب اليك
قال أرضاهم لخالقي قال فأيهم أرضى للخالق قال علم ذلك عند الذي
يعلم سرهم ونجواهم قال فما بالك لا تضحك قال أيضحك مخلوق خلق
من الطين والطين تأكله النار قال فما بالنا نضحك قال لم تستووا القلوب
قال ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فوضعه بين يديه فقال
سعيد ان كنت جمعت هذا لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح والا
ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء جمع

للدنيا الا ماطاب وزكى ثم دعا الحجاج بآلات اللهو فبكى سعيد
فقال الحجاج ويلك يا سعيد اختر أى قتلة تريد أن أقتلك قال اختر
لنفسك يا حجاج فوالله لا تقتلني قتلة الا قتلك الله مثلها في الآخرة قال
أفتريد أن أعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى وأما أنت فلا قال
اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فأخبر الحجاج بذلك وأمر
برده وقال له ما أضحكك قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله
عليك فأمر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهى
للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال وجهوه
لغير القبلة قال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه لوجهه فقال
سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فقال
الحجاج اذبحوه فقال سعيد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا
عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فذبح على النطع
رحمه الله وكانت رأسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وعاش الحجاج
بعدها خمسة عشر يوما وذلك فى سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد
رضى الله عنه تسعا وأربعين سنة والله أعلم

(خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان)

كان يختم القرآن فى ثلاث وكان يختم فى رمضان سبع عشرة ختمة قال
ابراهيم بن أبى علية كان يعطينى أكياس الدنانير أقسمها فى الصالحين
وكان يقول لولا أن الله عز وجل ذكر اللواط فى كتابه العزيز ما ظننت
أن أحدا يفعله قال الحافظ ابن عساكر كان الوليد عند أهل الشام
من أفضل خلفائهم بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين ما يكفيهم
وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادما وكل أعمى قائدا وذكر
أن جملة ما أنفق على بناء المسجد الاموى أربعمائة صندوق فى كل

صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة ذهب للقناديل وما كمل بناءه الا أخوه سليمان لما ولى الخلافة وفعل خيرات كثيرة وآثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لما أدرج فى أكفانه غلت يداه الى عنقه نسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ونسأله حسن الخاتمة انتهى من حياة الحيوان

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان﴾

فمما يذكر من محاسنه أن رجلا دخل عليه فقال يا أمير المؤمنين أنشدك الله والاذان فقال سليمان أما أنشدك الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فقال سليمان ما ظلامتك قال ضيعتى الفلانية غلبنى عليها عامل فلان فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط ووضع خده على الارض وقال والله لا رفعت خدى من الارض حتى يكتب له برد ضيعته فكتب الكتاب وهو واضع خده على الارض لما سمع كلام ربه الذى خلقه وخوله فى نعمه خشى من لعن الله وطرده رحمه الله قيل انه أطلق من سجن الحجاج ثلاثمائة ألف نفس ما بين رجل وامرأة وصادر آل الحجاج واتخذ ابن عمه عمر بن عبد العزيز وزيرا ومشيرا وكان شرها فى الاكل نكاحا قال ابن خلكان فى ترجمته انه كان يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامى قال محمد بن سيرين رحمه الله سليمان افتتح خلافته بخير وختمها بخير افتتحها باقامة الصلاة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه بعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وقال أبو سويد حدثنى أبو زيد الاسدى قال دخلت على سليمان بن عبد الملك وهو جالس فى ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر فى وسط بستان ملتف قد أثمر وأينع

وعلى رأسه وصائف كل واحدة منهن أحسن من صاحبتها وقد غابت
الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار وتمايلت
فقلت السلام عليك أيها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع
رأسه وقال يا أبا زيد فى مثل هذا الحين تصالحنا فقلت أصلح الله الامير
أو قامت القيامة قال نعم على أهل المحبة ثم أطرق مليا ورفع رأسه وقال
يا أبا زيد ما يطيب فى يومنا هذا قلت أعز الله الامير قهوة حمراء فى زجاجة
بيضاء تناولها غادة هيفاء ملفوفة لفا أشربها من كفها وامسح فى بها
فأطرق سليمان مليا لا يرد جوابا تحدر من عينيه عبرات بلا شهيق
فلما رأين الوصائف ذلك تحين عنه ثم رفع رأسه فقال يا أبا زيد حضرت
فى يوم انقضاء أجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله لاضربن
عنقك أو لتخبرنى ما آثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم أيها الامير
كنت جالسا على باب أخيك سعد بن عبد الملك فاذا أنا بجارية قد
خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلتت من شبكة صياد عليها
قميص سكب أسكندرانى يبين منه بياض ثديها وتدوير سرتها ونقش
تكتها وفى رجليها نعلان صراران قد أشرق بياض قدميها على حمرة
نعليها بذؤابتين تضرب حقويها ولها صدغان كأنهما نونان وحاجبان
قد قوسا على محاجر عينيها وعينان مملوءتان سحرا وأنف كأنه
قصبة بلور وفم كأنه جرح يقطر دما وهى تقول عباد الله من لى بدواء
من لا يسلى وعلاج من لا يسمى طال الحجاب وأبطأ الجواب فالقلب
طائر والعقل عازب والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس
رحمة الله على قوم عاشوا تجلدا وماتوا كمدا ولو كان الى الصبر حيلة
والى العزاء سبيل لكان أمرا جميلا ثم أطرقت مليا ورفعت رأسها
فقلت أيتها الجارية انسية أنت أم جنية سماوية أم أرضية فقد أعجبنى

ذكاء عقلك وأذهلني حسن منطقك فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني
ثم قالت اعذر أيها المتكلم فما أوحش الساعد بلا مساعد والمقاساة
لصب معاند ثم انصرفت فوالله أصلح الله الامير ما أكلت طيبا
الا غصصت به لذكرها ومارأيت حسنا الا سمج في عيني لحسنها فقال
سليمان يا أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب عني
لشجو ما سمعت اعلم يا أبا زيد أن تلك الجارية التي رأيتها هي الدلفاء التي
قيل فيها

كأنما الدلفاء ياقوتة * أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله ان مات
انما يموت بحبها ولا يدخل القبر الا بغصتها وفي الصبر سلوة وفي توقع الموت
هيبة قم يا أبا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة فأخذتها وانصرفت قال
فلما أفضت الخلافة له صارت اليه الدلفاء فأمر بفسطاط فأخرج على
دهناء الغوطة وضرب في روضة خضراء مونقة زهراء ذات حدائق بهجة
تحتها أنواع الزهر من أصفر فاقع وأحمر ساطع وأبيض ناصع وكان
لسليمان مغن يقال له سنان كان به يأنس واليه يسكن فأمره أن يضرب
فسطاطه بالقرب منه فكانت الدلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك
المتنزه فلم يزل في أكل وشرب وسرور وأتم حبور الى أن انصرف شيء من
الليل فذهب الى فسطاطه وذهب سنان أيضا فنزل به جماعة من
اخوانه فقالوا له نريد قراء أصلحك الله قال وما ترا كم قالوا أكل وشرب
وسماع قال أما الأكل والشرب فمباحان لكم وأما السماع فقد عرفتم
غيرة أمير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك
وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه قالوا غننا
بصوت كذا وكذا قال فشرع يتغنى بهذه الابيات

محجوبة سمعت صوتي فأرقها * من آخر الليل لما نبهه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها * أوجهها عنده أم عنده القمر
لم يحجب الصوت احراس ولاغلاق * فدمعها الدارق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم * وكاد من لينها للمشي ينفطر
قال وسمعت الدلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط فجعلت لاتسمع شيأ من حسن خلق ولطافة الا رأت ذلك كله في نفسها وهيأتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط فرآها على تلك الحالة فقال ما هذا يا دلفاء فقالت

ألا رب شخص رائع ومشوه * قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله * الى أمة يعزى معا والى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا المحال فوالله لقد خامر قلبك منه يا غلام علي بسنان فدعت الدلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول أمير المؤمنين الى سنان تحذره فلك عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول أمير المؤمنين ولما أتى به قال يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني الشمول وأنا عبد أمير المؤمنين وغرس نعمته فان رأى أمير المؤمنين أن يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت ان الفرس اذا صهل تودقت له الحجرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى صغت اليه المرأة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى وقيل كان في أيام سليمان رجل يقال له خزيمة بن بشر من بني أسد كانت له مروءة ظاهرة ونعمة حسنة وفضل وبر بالاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج الى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم

وكان يواسيهم فواسوه حيناً ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة عمي قد رأيت من اخواني تغيراً وقد عزمت على ان ألزم بيتي الى ان يأتيني الموت فأغلق بابه وأقام يتقوت بما عنده حتى نفذ وبقي حائراً وكان يعرفه عكرمة الفياض الربعي متولي الجزيرة فبينما هو في مجلسه اذ ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة الفياض ما حاله فقالوا قد صار الى أمر لا يوصف وانه أغلق بابه ولزم بيته فقال عكرمة الفياض وانما سمي بذلك لاجل كرمه فما وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافئا فقالوا الا فأمسك عن الكلام ثم لما كان الليل عمد الى أربعة آلاف دينار فجعلها في كيس واحد ثم أمر باسراج دابته وخرج سرا من أهله فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام ثم أبعده عنه وتقدم الى الباب فدفعه بنفسه فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال أصلح بهذا شأنك فتناوله فرآه ثقيلا فوضعه عن يده ثم أمسك بلجام الدابة وقال له من أنت جعلت فداك فقال له عكرمة يا هذا ما جئتك في هذا الوقت والساعة وأريد أن تعرفني قال فما أقبله الا أن تعرفني من أنت فقال أنا جابر عثرات الكرام قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه فقال لها ابشري فقد أتى الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا فهي كثيرة قومي فأسرجي قالت لا سبيل الى السراج فبات يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق وأما عكرمة فانه رجع الى منزله فوجد امرأته قد فقدته وسألت عنه فأخبرت بركوبه فأنكرت ذلك وارتابت وقالت له والي الجزيرة يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه في سر من أهله الا الى زوجة أو سرية فقال اعلمي اني ما خرجت في واحدة منهما قالت فخبرني فيما

خرجت قال ياهذه ماخرجت في هذا الوقت وأنا أريد ان يعلم بي أحد
قالت لابد ان تخبرني قال تكتميه اذا قالت فاني أفعل فأخبرها بالقصة
على وجهها وما كان من قوله ورده عليه ثم قال لها أتحبين ان أحلف
لك أيضا قالت لا فان قلبي قد سكن وركن الى ماذكرت وأما خزيمة
فانه لما أصبح صالح الغرماء وأصلح ما كان من حاله ثم انه تجهز يريد
سليمان بن عبد الملك وكان نازلا يومئذ بفلسطين فلما وقف ببابه
واستأذن دخل الحاجب فأخبره بمكانه وكان مشهورا بمروءته وكرمه
وكان سليمان به عارفا فأذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له
سليمان بن عبد الملك ياخزيمة ما أبطأك عنا قال سوء الحال قال فما
منعك من النهضة الينا قال ضعفي ياأمير المؤمنين قال فبم نهضت الينا
الآن قال لم أعلم ياأمير المؤمنين الا انى بعد هدو من الليل لم أشعر الا
ورجل يطرق الباب وكان من أمره كيت وكيت وأخبره بقصته من
أولها الى آخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمة ماعرفته
ياأمير المؤمنين وذلك انه كان متنكرا وماسمعت من لفظه الا انى جابر
عثرات الكرام قال فتلهب وتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفته
وقال لو عرفناه لكافئناه على مروءته ثم قال على بقناة فأتى بها
فعقد لخزيمة بن بشر المذكور على الجزيرة عاملا عوضا عن عكرمة
الفياض فخرج خزيمة طالب الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة وأهل
البلد للقائه فسلما على بعضهما بعضا ثم سارا جميعا الى ان دخل البلد
فنزل خزيمة في دار الامارة وأمر أن يؤخذ لعكرمة كفيل وان يحاسب
فحوسب فوجد عليه فضول أموال كثيرة فطالبه بأدائها قال مالى
الى شئ من سبيل قال لابد منها قال ليست عندى فاصنع ما أنت صانع
فأمر به الى الحبس ثم أنفذ اليه من يطالبه فأرسل يقول انى لست ممن

يصون ماله بعرضه فامتنع ماشئت فأمر أن يكبل بالحديد فأقام شهرا كذلك أو أكثر فأضناه ذلك وأضر به وبلغ ابنة عمه خبره فجزعت واغتممت لذلك ثم دعت مولاة لها وكانت ذا عقل ومعرفة وقالت لها امضي الساعة الى باب هذا الامير خزيمة بن بشر وقولي عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولي لا أقولها الا للامير خزيمة بن بشر فاذا دخلت عليه فسليه أن يخليك فاذا فعل ذلك فقولي له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافئته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجارية ذلك فلما سمع خزيمة كلامها نادى برفيع صوته واسوأتاه وانه لموقالات نعم فأمر لوقته بدابته فأسرجت وبعث الى وجوه أهل البلد فجمعهم اليه وأتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل خزيمة ومن معه فرآه قاعدا في قاعة الحبس متغيرا أضناه الضر والالم وثقل القيود والاغلال فلما نظر اليه عكرمة والى الناس أحشمه ذلك فنكس رأسه فأقبل خزيمة حتى انكب على رأسه فقبلها فرفع عكرمة اليه رأسه وقال ما أعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء مكافأتي قال يغفر الله لنا ولك ثم أتى بالحداد ففك القيود عنه وأمر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه فقال ماذا تريد فقال أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك فقال أقسم عليك بالله لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصل الى دار خزيمة فودعه عكرمة وأراد الانصراف عنه فقال ما أنت ببارح قال وما تريد قال أغير حالك وان حيائي من ابنة عمك أشد حياء منك ثم أمر بالحمام فأخلي ودخلاها معا فقام خزيمة وتولى أمره وخدمه بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم سار معه الى داره واستأذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر اليها وتذمم من ذلك قال ثم سأله بعد ذلك أن يسير معه الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ مقيم

بالرملة فأنعم له بذلك وسارا جميعا حتى قدما على سليمان بن عبد الملك فدخل الحاجب فأعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم بغير أمرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل أن يسلم ماوراءك ياخزيمة قال الخير ياأمير المؤمنين قال فما الذى أقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت أن أسرك به لما رأيت من تلهفك وتشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال فأذن له بالدخول فدخل وسلم عليه بالخلافة فرحب به وأدناه من مجلسه وقال ياعكرمة ما كان خيرك له الا وبالا عليك ثم قال سليمان ان أكتب حوائجك كلها وما تحتاج اليه فى رقعة ففعل ذلك فأمر بقضائها من ساعته وأمر له بعشرة آلاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة وعقد له على الجزيرة وأرمينية وادربيجان وقال له أمر خزيمة اليك ان شئت أن تبقيه وان شئت عزلته قال بل اردده الى عمله يا أمير المؤمنين ثم انصرفا من عنده جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله أعلم

(خلافة أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه)

أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهو تابعى جليل قال الامام أحمد بن حنبل ليس أحد من التابعين قوله حجة الا عمر ابن عبد العزيز كان رضى الله عنه عفيفا زاهدا ناسكا عابدا مؤمنا تقيا صادقا أزال ما كانت بنو أمية تذكر به عليا رضى الله عنه على المنابر وجعل مكان ذلك قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية * ولما ولى الخلافة رضى الله عنه وفد الشعراء اليه وأقاموا ببابه أياما لا يؤذن لهم فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء ابن حيوة وكان جليس عمر فلما رآه جرير داخلا قام اليه وأنشد يقول هذه الابيات

يا أيها الرجل المرخي عمامته * هذا زمانك فاستأذن لنا عمر

فدخل ولم يذكر شيأ من أمرهم ثم مر بهم عدي بن أرطاة فقال جرير أبياتا آخرها قوله

لا تنس حاجتنا لقيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا أمير المؤمنين الشعراء ببابك وسهامهم مسمومة وأقوالهم نافذة قال ويحك يا عدي مالي والشعراء قال أعز الله أمير المؤمنين ان رسول الله قد امتدح وأعطى ولك في رسول الله اسوة حسنة قال كيف قال امتدحه العباس بن مرداس السلمي فأعطاه حلة قطع بها كلامه قال أو تروي من قوله قال نعم وأنشد يقول

رأيتك يا خير البرية كلها * نشرت كتابا جاء بالحق معلما
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا * عن الحق لما أصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان أمرا مدنسا * وأطفأت بالاسلام نارا تضرما
فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما كان قدما
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه * وقد كان قدما ركنه قد تهدما

فقال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمر بن ربيعة قال أليس هو الذي يقول شعرا

ثم نبهتها فقامت كعابا * طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها لي قالت * ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام

ولو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان أستر له لا يدخل علي والله أبدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال أوليس هو الذي يقول

هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الراس كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا * أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

لا يدخل علي والله أبدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي هو

الذي قال

ولست بصائم رمضان طوعا * ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزاجر عيسى بكورا * الى بطحاء مكة للنجاح
ولست بزائر بيتا عتيقا * بمكة أبتغي فيها صلاحي
ولست بقائم كالعير أدعو * قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني سأشربها شمولا * وأسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل علي أبدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال الاخوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها * يفر عني بها وأتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت أيضا قال جميل بن معمر قال أوليس هو الذي يقول

فياليتنا نحيي جميعا وان أمت * يوافق موتي ضريحي ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا لكان أصلح والله لا يدخل علي أبدا فهل أحد سوى من ذكرت قال جرير قال أوليس هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولا بد فهو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله ولا تقل الا حقا فأنشد قصيدته الرائية المشهورة التي منها هذه الابيات

انا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
جاء الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا * بوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال يا جرير لا أرى لك فيما ها هنا حقا قال بلى يا أمير المؤمنين أنا ابن

سبيل

سبيل ومنقطع فأعطاه من طيب ماله مائة درهم وقال ويحك يا جرير لقد
ولينا هذا الامر ولم نملك الاثلاث مائة درهم فمائة أخذها عبد الله ومائة
أخذتها أم عبد الله يا غلام أعطه المائة الاخرى فأخذها جرير وقال
والله لهي أحب الي مما اكتسبته في عمري ثم خرج فقال له الشعراء
ماوراءك يا جرير فقال ما يسوءكم خرجت من عند خليفة يعطي الفقراء
ويمنع الشعراء واني عنه لراض وأنشد يقول

رأيت رقى الشيطان لا يستفزه * وقد كان شيطان من الجن راقيا

(خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان)

قال أبو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني قال يونس الكاتب خرجت
الى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ومعي جارية غانية وكنت
علمتها جميع ماتحتاج اليه وأنا أقدر فيها انها تساوي مائة ألف درهم
قال فلما قربنا من الشام نزلت القافلة على غدير من الماء ونزلت ناحية
منه وأصبت من طعام كان معي وأخرجت ركوة كان فيها نبيذ فبينما أنا
كذلك واذا بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس أشقر ومعه خادمان
فسلم علي وقال أتقبل ضيفا قلت نعم فأخذت بركابه ونزل وقال أسقنا
من شرابك فسقيته فقال ان سهلت أن تغني صوتا فغنيته

حازت من الحسن مالا حازه البشر * فلذلي في هواها الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فأمرتها
فغنت

جويرة حار قلبي في محاسنها * فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستعاده مرارا ولم يزل مقيما الى أن صلينا العشاء
ثم قال ما أقدمك علينا هذا البلد قلت أردت بيع جاريتي هذه قال فكم
أملت فيها من الثمن قلت ما أقضي به ديني وأصلح به حالي قال ثلاثون

ألفا قلت ما أحوجني الى فضل الله والمزيد فيه قال أيقنعك اربعون
الفا قلت فيها اقضاء ديني وأبقى صفر اليد قال قد أخذناها بخمسين ألفا
من الدراهم ولك بعد ذلك كسوة ونفقة طريقك وأشركك في حالي أبدا
ما بقيت فقلت قد بعتكها قال أفتثق بي أن أوصل ذلك غدا اليك
واحملها معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك اليك غدا فحملني الشكر
والحياء مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت بك فخذها بارك الله
لك فيها فقال لاحد غلاميه احملها على دابتك وارتدف وراءها وامض
بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو الا ان غاب عني ساعة
فعرفت موضع خطئي وغلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي أسلم جاريتي
الى رجل لا أعرفه ولا أدري من هو وهب اني عرفته فمن أين الصلة اليه
فجلست متفكرا الى ان صليت الصبح ودخل أصحابي دمشق وجلست
حائرا لا أدري ما أصنع وقرعتني الشمس وكرهت المقام فهممت
بالدخول الى دمشق ثم قلت ان دخلت لم آمن ان الرسول يأتي
فلا يجدني فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فجلست في ظل
جدار هناك فلما أضحى النهار واذا أحد الغلامين الذين كانا معه قد
أقبل علي فما أذكر اني سررت بشيء أعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر
اليه فقال لي يا سيدي أبطأنا عليك فلم أذكر له شيأ مما كان بي ثم قال لي
أتعرف الرجل قلت لا قال هو الوليد بن سهل ولي العهد فسكت عند
ذلك ثم قال قم فاركب واذا معه دابة فركبتها وسرنا الى ان وصلنا الى داره
فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت ما كان من أمرك
قالت أنزلني هذه الحجرة وأمر لي بما احتاج اليه فجلست عندها ساعة
واذا به قد أتاني خادم له فقال لي قم فقمت فأدخلني على سيده فاذا هو
صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فقال من تكون فقلت يونس

الكاتب قال مرحبا بك قد كنت والله اليك بضنين وكنت أسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك قلت بخير أعزك الله قال ولعلك ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا أعرفه ولا أعرف اسمه ولا من اى البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير ان أندم ولو اهديتها الى الامير كانت اول وأخس وماقدرهذه الجارية فقال والله لكني ندمت على أخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد دهمته وسفهت عليه في استعجالي له هذا الجارية أفتذكر ما كان بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين ألف درهم قلت نعم قال هات ياغلام المال فوضعوه بين يديه فقال هات ياغلام ألف دينار وأتى بها ثم قال ياغلام ائت بخمسمائة دينار أخرى فجاء بها ثم قال هذ ثمن جاريتك فضمه ليك وهذه الف دينار لحسن ظنك بنا وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك أرضيت قلت رضيت وقبلت وقلت والله قد ملأت عيني ويدي ثم قال والله اني لم آخذها وشبعت من غيرها [illegible] وأمرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فانشدت [illegible]

أيا من حاز كل الحسن طرا * ويا حلو الشمائل والدلال
جميع الحسن في عجم وعرب * ومافي الكل مثلك ياغزالي
فاعطف ياملبح على محب * بوعدك أو بطيف من خيال
حلالي فيك ذلي وافتضاحي * وطاب لمقلتي سهر الليالي
وما أنا فيك أول مستهام * فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا * وانت أعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تأديبي لها وتعليمي اياها ثم قال ياغلام قدم له دابة بسرجها وآلتها لركوبه وبغلا لحمل حوائجه وثقله ثم قال

يا يونس اذا بلغك ان هذا الامر قد أفضى الى فالحق بى فوالله لاملأن لأن يدك ولأعلين قدرك ولاغنينك مابقيت قال فأخذت المال وانصرفت فلما أفضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى والله بوعده وزاد فى اكرامى وكنت معه على أسر حال وأسنى منزلة وقد اتسعت أحوالى وكثرت أموالى وصار لى من الضياع والاملاك مايكفينى الى مماتى ويكفى من بعدى ولم أزل معه حتى قتل عفا الله عنه وقيل انه لما حج هشام فى أيام أبيه طاف بالبيت وجهد أن يصل الى الحجر الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه ينظر الى الناس ومعه جماعة من أهل الشام فبينما هو كذلك اذ أقبل زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود تنحى له الناس حتى استلمه فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان أبو فراس الفرزدق حاضرا فقال أنا والله أعرفه فقال الشامى من هذا يا أبا فراس فقال

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته * والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم * هذا التقى النقى الطاهر العلم
اذا رأته قريش قال قائلها * الى مكارم هذا ينتهى الكرم
ينمى الى ذروة العز التى قصرت * عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ماجاء يستلم
فى كفه خيزران ريحه عبق * من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته * كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم

مشتقة من رسول الله نبعته * طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله * بجده أنبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدما وعظمه * جرى بذاك له فى لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره * العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما * يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره * يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
حمال اثقال اقوام اذا افترحوا * حلو الشمائل يحلو عنده نعم
ما قال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد كانت لاءه نعم
عم البرية بالاحسان فانقشعت * عنها الغياهب والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم * كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم * أو قيل من خير أهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم * ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث اذا ما ازمة أزمت * والاسد أسد الشرى والباس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم * سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم * فى كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم * خلق كريم وأيد بالندا هضموا
أى الخلائق ليست فى رقابهم * لأولية هذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولوية ذا * فالدين من بيت هذا ناله الامم

ولما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق فأنفذ له زين العابدين رضى الله عنه اثنى عشر ألف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلاة فقال زين العابدين انا أهل بيت اذا وهبنا شيأ لا نعد فيه فقبلها الفرزدق اه (ومما يحكى) ان هشام بن عبد الملك كان ذات يوم فى صيده وقنصه اذ نظر الى ظبي تتبعه الكلاب فتبعه

واحالته الى خباء أعرابي يرعى غنما فقال هشام ياصبي دونك هذا الظبي فأتني به فرفع الصبي رأسه اليه وقال له ياجاهل بقدر الاخيار لقد نظرت الى باستصغار وكلمتني باحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال هشام ياصبي ويلك ماتعرفني فقال قد عرفني بك سوء أدبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك أنا هشام بن عبد الملك فقال الاعرابي لا قرب الله دارك ولا أحيا مزارك ما أكثر كلامك وأقل اكرامك فما استتم كلامه حتى أحدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لهم هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال علي بالغلام البدوي فأتى به فلما رأى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وأبناء الدولة وأرباب الصولة لم يكترث بهم ولم يسأل عنهم بل جعل ذقنه على صدره وجعل ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام ووقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام فقال بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال هشام وقد تزايد به الغضب ياصبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك وخاب فيه أملك وانصرم فيه عمرك فقال له الصبي والله ياهشام لئن كان في المدة تأخير ما ضرني من كلامك لا قليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من أمرك ومحلك يا أخس العرب ان تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال له مسرعا لقيك الخذل ولامك الويل والهبل أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله تعالى يجادل جدالا فمن هشام حتى لا يخاطب

خطابا

خطايا فعند ذلك قام هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال ياسياف على رأس هذ الغلام فقد أكثر الكلام فيما لا يخطر على الاوهام فقام لسياف وأخذ الغلام وبركه فى نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال يا أمير المؤمنين عبدك المدل بنفسه المتقلب فى رمسه أأضرب عنقه وأنا برئ من دمه قال نعم فاستأذنه ثانية فأذن له ثم استأذنه ثالثة فهم أن يأذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد هشام منه تعجبا وقال ياصبي أظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ومزائل الحياة وأنت تضحك هزوا بنفسك فقال يا أمير المؤمنين لئن كان فى المدة تأخير ولم يكن فى الاجل تقصير ماضرنى منك لا قليل ولا كثير ولكن أبياتا حضرت الساعة فاسمعها فقتلى لا يفوت فأكثر الصموت فقال هشام هات وأوجز فهذا أول أوقاتك من الآخرة وآخر أوقاتك من الدنيا فأنشأ يقول هذه الابيات

نبئت أن الباز علق مرة * عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور فى أظفاره * والباز منهمك عليه يطير
فأتى لسان الحال يخبر قائلا * هاقد ظفرت وانني مأسور
مثلى فمايغنى لمثلك جوعة * ولئن أكلت فانني محقور
فتبسم البازالمدل بنفسه * طربا وأطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ بهذا من أول وقت من أوقاته وطلب مادون الخلافة لاعطيته ياخادم احش فاه درا وجوهرا وأحسن جائزته ودعه يمضى الى حال سبيله وقيل وفد عروة بن أدية على هشام بن عبد الملك فشكا اليه فقره فقال ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلقى * ان الذى هو من رزقى سيأتينى

أسعى اليـــه فيعيينى تطلبه * وان قعدت أتانى ليس يعيينى
وخرجت الآن من الحجاز الى الشام فى طلب الرزق فقال يا أمير المؤمنين
وعظت فأبلغت وخرج فركب ناقته وكر الى الحجاز راجعا فلما كان
الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال رجل من قريش قال
حكمة ووفد على فرديته خائبا فلما أصبح وجه اليه بألفى دينار وقرع
عليه الرسول باب داره بالمدينة فأعطاه المال فقال أبلغ عنى أمير
المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت قولى سعيت فأكديت فرجعت
خائبا فجلست فى دارى فأتانى رزقى فى منزلى انتهى

(ابتداء الدولة العباسية)

كان القائم بهذه الدولة أبو مسلم الخراسانى وكان اسمه عبد الرحمن بن
مسلم فن قوله هذه الابيات

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بنى مروان اذ حشدوا
ما زلت أسعى بجهد فى دمارهم * والقوم فى غفلة والناس قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحـــد
ومن رعى غنما فى أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاســـد

أولهم أبو عبد الله السفاح ذكر ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء عن
خالد بن صفوان أنه دخل يوما على أبى العباس السفاح وليس عنده
أحد فقال يا أمير المؤمنين انى والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته
أطلب أن أصير معك بمثل هذا الموقف فى الخلوة فان رأى أمير المؤمنين
أن يأمر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فأمر الحاجب بذلك فقال
يا أمير المؤمنين انى فكرت فى أمرك واستجلبت الفكر فيك فلم أر أحدا
له قدرة واتساع فى الاستمتاع بالنساء ولا أضيق فيهن عيشا منك انك
ملكت نفسك امرأة من نساء العالمين فاقتصرت عليها فان مرضت

مرضت وان غابت غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا أمير المؤمنين
على نفسك التلذذ بالنظر باستطراف الجوار ومعرفة اختلاف أحوالهن
والتلذذ بما تشتهى منهن فان منهن الطويلة التى تشتهى لحسنها والبيضاء
التى تحب لرؤيتها والسمراء اللعساء والصفراء الذهبية ومولدات المدينة
والطائف واليمامة ذوات الالسنة العذبة والجواب الحاضر وبنات
سائر الملوك ومايشتهى من نضارتهن ونظافتهن وتحلل خالد لسانه
فأطنب فى صفات ضروب الجوارى وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه
قال له السفاح ويحك ملأت مسامعى ما أشغل خاطرى والله ماسلك
مسامعى كلام أحسن من هذا فأعد على كلامك فقد وقع منى موقعا
فأعاد عليه خالد كلامه بأحسن مما ابتدأ به ثم قال له انصرف فانصرف
وبقى أبو العباس مفكرا فدخلت عليه أم سلمة زوجته وكان قد حلف
لها أنه لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية ووفى لها فلما رأته على تلك
الحالة قالت له انى لانكرك يا أمير المؤمنين فهل حدث شئ تكرهه
أو أتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد فقالت
له وما قلت لابن الفاعلة فقال لها أينصحنى وتشتميه فخرجت الى مواليها
وأمرتهم بضرب خالد قال خالد فخرجت من الدار مسرورا بما ألقيت الى
أمير المؤمنين ولم أشك فى الصلة فبينما أنا واقف اذ أقبلوا يسألوا عنى
فحققت الجائزة فقلت لهم ها أنا واقف فاستبق الى أحدهم بخشبة
فغمزت برذونى ولحقنى بضرب كفل البرذون وركضت ففتهم
واستخفيت فى منزلى أياما ووقع فى قلبى أنى أمنت من أم سلمة فبينما أنا
ذات يوم جالس فى المنزل فلم أشعر الا بقوم قد هجموا على فقالوا أجب
أمير المؤمنين فسبق الى قلبى أنه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون
لم أر دم شيخ أضيع من دمى فركبت الى دار أمير المؤمنين فأصبته جالسا

ولحظت فى المجلس بيتا عليه ستور رقاق وسمعت حسا خفيا خلف الستر فأجلسنى ثم قال يا خالد أنت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت نعم يا أمير المؤمنين أعلمك أن العرب ما اشتقت اسم الضرتين الامن الضر وأن أحدا لم يكثر من النساء أكثر من واحدة الا كان فى ضر وتنغيص فقال السفاح لم يكن هذا من كلامك أولا قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الثلاث من النساء يدخلن على الرجل البؤس وتشييب الرؤس فقال برئت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت سمعت هذا منك أولا أو مر فى حديثك قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن الاربع من النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه قال والله ما سمعت هذا منك أولا قلت بلى يا أمير المؤمنين وأخبرتك أن أبكار الاماء رجال الا أنه ليست لهن خصاء قال أمير المؤمنين أفتكذبنى قلت أفتقتلنى قال خالد فسمعت ضحكا خلف الستر ثم قلت وأخبرتك أن عندك ريحانة قريش وأنت تطمع بعينيك الى النساء والجوارى فقيل لى من وراء الستر صدقت والله يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما فى خاطره عن لسانك فقال السفاح مالك قاتلك الله قال خالد فانسلكت وخرجت فبعثت الى أم سلمة بعشرة آلاف درهم وبرذونا وتخت ثياب انتهى وروى أن أبا دلامة الشاعر كان واقفا بين يدى السفاح فى بعض الايام فقال سلنى حاجتك فقال له أبو دلامة أريد كلب صيد فقال أعطوه اياه فقال ودابة أتصيد عليها فقال أعطوه دابة فقال وغلاما يقود الكلب والصيد فقال أعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال أعطوه جارية فقال هؤلاء يا أمير المؤمنين عيال ولا بد لهم من دار يسكنونها فقال أعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان تكن لهم

الدار فمن أين يعيشون قال قد أقطعتك عشرة ضياع عامرة من فيافى بنى اسرائيل قال وما معنى الغامرة يا أمير المؤمنين قال ما لا نبات فيها قال قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين مائة ضيعة غامرة من فيافى بنى سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها عامرة قال الحافظ فانظر الى حذقه بالمسألة ولطفه فيها كيف ابتدأ بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتى بمسألة مسألة على ترتيب وفكاهة حتى نال ما سأله ولو سأل ذلك بديهة لما وصل اليه فبارك الله فيه انتهى وروى عن الحسن بن الحصين قال لما أفضت الخلافة الى بنى العباس كان من جملة من اختفى ابراهيم بن سليمان ابن عبد الملك فلم يزل مختفيا الى أن أضناه وأضجره الاختفاء فأخذ له أمان من السفاح وكان ابراهيم رجلا أديبا بليغا حسن المحاضرة فحظى عند السفاح فقال له يوما لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثنى بأعجب ما رأيت فى اختفائك فانها كانت أيام تكدير فقال يا أمير المؤمنين وهل سمع بأعجب من حديثى لقد كنت مختفيا فى منزل أنظر منه الى البطحاء فبينما أنا على مثل ذلك واذا بأعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع فى ذهنى أنها خرجت تطلبنى فخرجت متنكرا حتى أتيت الكوفة من غير الطريق وأنا والله متحير ولا أعرف بها أحدا واذا أنا بباب كبير فى رحبة متسعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من أصحابه وغلمانه فدخل الرحبة فرآنى واقفا مرتابا فقال لى ألك حاجة قلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة فى داره فقال هذه لك وهيأ لى ما أحتاج اليه من فرش وآنية ولباس وطعام وشراب وأقمت عنده ووالله ما سألنى قط من أنا ولا ممن أنا وهو فى أثناء ذلك يركب فى كل يوم ويعود متعوبا متأسفا كأنه يطلب شيأ فاته

ولم يجده فقلت له يوما أراك تركب فى كل يوم وتعود متعوبا متأسفا كأنك
تطلب شيأ فاتك فقال لى ان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل أبى
وقد بلغنى أنه مختف من السفاح وأنا أطلبه لعلى أجده آخذ بثارى منه
فتعجبت والله يا أمير المؤمنين من هربى وشؤم بختى الذى ساقنى الى
منزل رجل يريد قتلى ويطلب ثاره منى فكرهت الحياة واستعجلت
الموت لما نالنى من الشدة فسألت الرجل عن اسم أبيه وعن سبب قتله
فعرفنى الخبر فوجدته صحيحا فقلت يا هذا قد وجب على حقك وان من
حقك أن أدلك على قاتل أبيك وأقرب عليك الخطوة وأسهل عليك
ما بعد فقال أتعلم أين هو قلت نعم فقال أين هو فقلت والله هو أنا
فخذ بثارك منى فقال لى أظن أن الاختفاء مضنك فكرهت الحياة
قلت نعم والله أنا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقى تغير لونه واحمرت
عيناه وأطرق ساعة ثم رفع رأسه الى وقال لى أما أبى سيلقاك غدا يوم
القيامة فيها كمك عند من لا تخفى عليه خافية وأما أنا فلست محقرا
ذمتى ولا مضيعا نزيلى ولكن اخرج عنى فانى لا آمن نفسى عليك بعد
هذا اليوم ثم وثب يا أمير المؤمنين الى صندوق فأخرج منه صرة فيها
خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها على اختفائك فكرهت
أخذها وخرجت من عنده وهو أكرم رجل رأيت فبقى السفاح مهتز
طربا ويتعجب وعن الهيثم بن عدى قال كان أبو العباس السفاح تعجبه
المسامرة ومنازعة الرجال فحضرت ذات ليلة فى مسامرة ابراهيم بن
مخرمة الكندى وناس من بنى الحارث بن كعب وهم أخواله وخالد
ابن صفوان بن ابراهيم التميمى فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن
فقال ابراهيم يا أمير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا
وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا أربابا وورثوا ذلك كابرا عن كابر أولا

عن آخر منهم النعمانيات والمنذريات والقابوسيات والتبابعة ومنهم
من مدحته الزبر ومنهم غسيل الملائكة ومنهم من اهتز لموته العرش
ومنهم من كلمه الذئب ومنهم الذى كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس
شئ له خطر الا واليهم ينسب من فرس رائع أو سيف قاطع أو درع
حصينة أو حلة مصونة أو درة مكنونة ان سئلوا أعطوا وان ساموا أبوا
وان نزل بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكابر ولا ينالهم مفاخر هم العرب
العرباء وغيرهم المتعربة قال أبو العباس السفاح ما أظن التميمى يرضى
بقولك ثم قال ما تقول يا خالد قال ان أذنت فى الكلام تكلمت قال
أذنت لك فى الكلام فتكلم ولا تهب أحدا فقال أخطأ يا أمير
المؤمنين المقتحم بغير علم والناطق بغير صواب فكيف يكون ما قال
وان القوم ليست لهم ألسن فصيحة ولا لغة صحيحة ولا حجة رجيحة
نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة وهم منا على منزلتين ان حادوا عن
قصدنا أكلوا وان جاوزوا حكمنا قتلوا يفخرون علينا بالنعمانيات
والمنذريات وغير ذلك مما سنأتى عليه ونفخر عليهم بخير الانام وأكرم
الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ولله المنة علينا وعليهم
لقد كانوا أتباعه فبه عزوا وله أكرموا فمنا النبي صلى الله عليه وسلم
ومنا الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور * والمسعى وزمزم والمقام
والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجابة والبطحاء مع ما لا يخفى
من المآثر ولا يدرك من المفاخر فليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ
فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصى وأسد الله وسيد
الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله وأتاهم اليقين فمن زاحمنا
زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم التفت الى ابراهيم فقال أعالم أنت بلغة
قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمة قال فما اسم السن قال الميذن

قال فما اسم الاذن قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشنابر قال فما اسم اللحية قال الذب قال فما اسم الذئب قال الكنع قال أفمؤمن أنت بكتاب الله قال نعم قال فان الله تعالى يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وقال تعالى بلسان عربى مبين وقال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا نزل ألم تران الله قال العين بالعين ولم يقل الجميمة بالجميمة وقال السن بالسن ولم يقل الميذن بالميذن وقال الاذن بالأذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال يجعلون أصابعهم فى آذانهم ولم يقل شنابرهم وقال لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى ولم يقل بذبى وقال تعالى يأكله الذئب ولم يقل يأكله الكنع ثم قال أسألك عن أربع ان أنت أقررت بهن قهرت وان جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أومنكم قال منكم قال فالقرآن نزل علينا أوعليكم قال عليكم قال فالبيت الحرام لنا أولكم قال لكم قال فالخلافة فينا أوفيكم قال فيكم قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فهو لكم

(خلافة أبى جعفر المنصور)

قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية تحفظه من ثلاث مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقى لانه كان يحاسب على الدوانق فكان اذا جاءه شاعر بقصيدة قال له ان كانت مسروقة بأن يكون أحد يحفظها أو أحد انشأها أى بأن كان أتى بها أحد قبلك فلا نعطيك لها جائزة وان لم يكن أحد يحفظها نعطك زنة ما هى مكتوبة فيه فيقرأ الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من أول مرة ولو كانت ألف بيت ويقول للشاعر اسمعتها منى وينشدها بكمالها ثم يقول له وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقرأها ثم يقول الخليفة وهذه

الجارية التي خلف الستارة تحفظها أيضا من وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقرأها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شيء قال الراوي وكان الاصمعي من جلسائه وندمائه فنظم أبياتا صعبة وكتبها على قطعة عمود من رخام ولفها في عباءة وحملها على ظهر بعير وغير حليته في صفة اعرابي غريب وضرب لهلثاما ولم يبين منه غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال اني امتدحت أمير المؤمنين بقصيدة فقال يا أخا العرب ان كانت لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هي مكتوبة عليه فأنشد الاصمعي هذه القصيدة

صوت صفير البلبلي * هيج قلب الثمل

الماء والزهر معا * مع زهر لحظ المقل

وأنت يا سيدلي * وسيدي ومولى

وكم وكم تيمني * غزيل عقيقلي

قطفت من وجنته * باللثم وردا لخجلي

وقلت بس بسبسني * فلم يجد بالقبلي

وقال لا لا لا للا * وقد غدا مهرولي

والخود مالت طربا * من فعل هذا الرجل

وولولت ولولة * ولي ولي ياويللي

فقلت لا تولولي * وبيني اللؤلؤلي

لما رأته أشمطا * يريد غير القبلي

وبعدها مايكتفي * الابطيب الوصلي

قالت له حين كذا * انهض وجد بالنقلي

وفتية سقوني * قهوة كالعسللي

شممتها في أنفي * أزكى من القرنفلي

في وسط بستان حسن * بالزهر والسرو الملي
والعود دندن دنلي * والطبل طبطبطب لي
والرقص أرطب طبطبلي * والسقف سقسقسقلي
شوواشوواشاهواشووا * على ورق سفرجلي
وغرد القمري يصيح * من ملل في مالي
فلو تراني راكبا * على حمار أهزلي
يمشي على ثلاثة * كمشية العرنجلي
والناس ترجم جملي * في السوق بالقلقللي
والكل كعكع كعكع * خلفي ومن حوالي
لكن مشيت هاربا * من خشية العقنقلي
الى لقاء ملك * معظم مبجل
يأمر لي بخلعة * حمراء كالدم دملي
أجر فيها ماشيا * مبغددا للذيل
أنا الأديب الألمعي * من حي أرض الموصلي
نظمت قطعا زخرفت * تعجز الأدبلي
أقول في مطلعها * صوت صفير البلبلي

قال الراوي فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها أحد منهما فقال يا أخا العرب هات التي هي مكتوبة فيه نعطك زنته فقال يا مولاي اني لم أجد ورقا أكتب فيه وكان عندي قطعة عمود من رخام من عهد أبي وهي ملقاة ليس لي بها حاجة فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه أعطاه وزنها ذهبا فنفذ ما في خزينته من المال فأخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظني ان هذا الاصمعي فأحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعي فتعجب منه

ومن صنيعه وأجازه على عادته ثم قال يا أمير المؤمنين ان الشعراء فقراء وأصحاب عيال وأنت تمنعهم العطاء بشدة فهمك وفهم هذا المملوك وهذه الجارية فاذا أعطيتهم ما تيسر ليستعينوا به على عيالهم لم يضرك انتهى والله أعلم * وذكر الغزالي وابن بليان وغيرهما ان أبا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع قائلا يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فهرول المنصور في مشيته حتى ملأ سمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال لصاحب شرطته ان بالبيت رجلا يطوف فأتني به فخرج صاحب الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليماني فقال أجب أمير المؤمنين فلما دخل عليه قال ما الذي سمعتك آنفا تشكو الى الله من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أمرضني فقال له يا أمير المؤمنين ان الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وامتلأت بلاد الله بذلك بغيا وفسادا أنت هو فقال له المنصور ويحك كيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء ببابي وملك الارض في قبضتي فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين وهل داخل أحد من الطمع ما داخلك استرعاك الله أمور المؤمنين وأموالهم فأهملت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجبس والآجر وحجبة معهم السلاح وأمرت أن لا يدخل عليك الا فلان وفلان نفرا استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الجائع ولا العاري ولا احد الا وله في هذا المال حق فلما رآك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان الله ورسوله فما لنا لا نخونه

فأجمعوا على أن لا يصل اليك من أموال الناس الا ما أرادوا فصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك وجدك أوقفت رجلا ينظر فى مظالم الناس فان كان الظالم من بطانتك علل صاحب المظالم بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهد وظهرت أنت صرخ بين يديك فضربه أعوانك ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره وأنت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كانت الخلفاء قبلك من بنى أمية اذا أتت اليهم الظلامة أزيلت فى الحال ولقد كنت أسافر الصين يا أمير المؤمنين فقدمت مرة فوجدت الملك الذى به قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه ما يبكيك أيها الملك لا أبكى الله عينك الا من خشيته فقال والله ما بكيت لمصيبة نزلت وانما أبكى لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمعه ثم قال ان كان سمعى ذهب فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس لا يلبس أحد ثوبا أحمر الا مظلوم وكان يركب الفيل طرفى النهار ويدور فى البلد لعله يجد أحدا لابسا ثوبا أحمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا أمير المؤمنين رجل مشرك غلبت عليه رأفته على شح نفسه بالمشركين وأنت مؤمن بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين لا تجمع الاموال الا لاحدى ثلاث ان قلت انما أجمع المال لصالح الملك فقد أراك الله عبرة فى الملوك والقرون من قبلك ما أغنى عنهم ما أعدوا من الاموال والرجال والكراع حين أراد الله بهم ما أراد وان قلت انما أجمع للولد فقد أراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم يغن ذلك عنهم شيأ بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما أجمعه لغاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله ما فوق منزلتك الا منزلة لا تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور بكاء شديدا ثم قال وكيف أعمل وقد فرت منى العباد ولم تقربنى والصالحون

ولم يدخلوا على فقال يا أمير المؤمنين افتح الباب وسهل الحجاب وانتصر المظلوم وخذ المال مما حل وطاب وأقسمه بالحق والعدل وأنا ضامن من هرب أن يعود اليك فقال المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فأذن بالصلاة فقام وصلى فلما قضى صلاته طلب الرجل فلم يجده فقال لصاحب الشرطة على بالرجل الساعة فخرج يتطلبه فوجده عند الركن اليماني فقال له أجب أمير المؤمنين فقال ليس الى ذلك من سبيل فقال اذن يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب رقبتك من سبيل ثم أخرج من مزود كان معه رقاً مكتوبا فقال له خذه فان فيه دعاء الفرج من دعا به صباحا ومات من يومه مات شهيدا ومن دعا به مساء ومات من ليلته مات شهيدا وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فأخذه صاحب الشرطة وأتى به المنصور فلما رآه قال له ويلك أو تحسن السحر قال لا والله يا أمير المؤمنين ثم قص عليه القصة فأمر المنصور بنقله وأمر له بألف دينار وهو هذا اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت بما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شئ لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لى من كل هم وغم أصبحت أو أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيئتى وسترك على قبيح عملى أطمعنى ان أسألك مالا أستوجبه مما قصرت فيه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا فانك أنت المحسن الى وأنا المسئ الى نفسى فيما بينى وبينك تتودد الى بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصى ولكن الثقة بك حملتنى على الجراءة عليك فجد بفضلك واحسانك على انك أنت الرؤف الرحيم انتهى من حياة الحيوان وحدث عبد الله البلتاجي قال دخل ابن أبي ليلى على

أبي جعفر المنصور وكان ابن أبي ليلى قاضيا فقال أبو جعفر ان القاضي
قد يرد عليه من طرائف الناس ونوادرهم أمور فان كان ورد عليك شئ
فحدثنيه فقد طال على يومي قال والله يا أمير المؤمنين قد ورد على منذ
ثلاثة أيام أمر ما ورد على مثله أتتني عجوز تكاد أن تنال الارض بوجهها
أو تسقط من انحنائها فقالت أنا بالله وبالقاضي أن تأخذ لي بحقي وأن
تعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة أخ لي فدعوت بها
فجاءت امرأة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت العجوز تتظلم
فقالت الشابة أصلح الله القاضي مرها فلتسكت حتى أتكلم بحجتي وحجتها
فان لحنت بشئ فلترده على فان أذنت لي أسفرت فقالت العجوز ان
اسفرت قضيت لها فقلت لها اسفري فاسفرت عن وجه والله ما ظننت
انه يكون مثله الا في الجنة فقالت أصلح الله القاضي هذه عمتي مات
والدي وتركني يتيمة في حجرها فربتني فأحسنت التربية حتى اذا بلغت
مبلغ النساء قالت لي يا بنت اخي هل لك في التزويج قلت ما أكره ذلك
يا عمة قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه أهل الكوفة فلم ترض الا
رجلا صيرفيا فتزوجني فكنا كأننا ريحانتان ما يظن ان الله خلق
غيري وما أظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه
الله تعالى فلما رأت العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك
وكانت لها ابنة فشوفتها وهيأتها لدخول زوجي فوقعت عينه عليها
فقال يا عمة هل لك أن تزوجيني ابنتك قالت نعم بشرط فقال لها وما
الشرط قالت تصير أمر ابنة أخي الى قال قد صيرت أمرها اليك * قالت
فاني قد طلقتها ثلاثا باتة وزوجت ابنتها من زوجي فكان يغدو عليها
ويروح فقلت لها يا عمتي أتأذنين لي أن أنتقل عنك قالت نعم فانتقلت عنها
وكان لعمتي زوج غائب فقدم فلما توسط منزلها قال مالي لا أرى ربيبتنا

قالت طلقها زوجها فانتقلت عنا فقال ان لها من الحق علينا أن
نعزيها بمصيبتها فلما بلغني مجيئه الى تهيأت له وتشوفت فلما دخل على
عزاني بمصيبتي ثم قال ان فيك بقية من الشباب فهل لك أن أتزوج بك
قلت ما أكره ذلك ولكن على شرط قال لى وما الشرط قلت تصير أمر
عمتي بيدي قال فاني قد فعلت وصيرت أمرها بيدك قلت فاني قد طلقتها
ثلاثا بتة قالت فتقدم على بثقله من الغد ومعه ستة آلاف درهم فأقام
عندى ما أقام ثم انه اعتل وتوفى فلما انقضت عدتى جاء زوجي الاول
الصير في يعزيني بمصيبتي فلما بلغني مجيئه تهيأت وتشوفت له فلما دخل
على قال لى يا فلانة انك لتعلمين انك كنت أعز الناس على وأحبهم الى
وقد حلت المراجعة فهل لك فى ذلك قلت ما أكره ذلك ولكن اجعل
أمر ابنة عمتي بيدي قال فاني قد فعلت قلت فاني قد طلقتها ثلاثا بتة
أصلح الله القاضي فرجعت الى زوجي فما استعداءى عليها فقالت
العجوز أنا فعلت مرة وفعلت هى مرة بعد أخرى فقالت ان الله لم يؤقت
فى هذا وقتا وقد قال ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه
الله فواحدة بواحدة والبادى أظلم فقال القاضي ان زوج العمة
لم يكن له أن يتزوج ابنة أخيها وهى فى عدته فأرادت العجوز أن تتولى
التفريق بينه وبينها استدفاءلها ومجازاة لها على فعلها فقلت لهما قد
فرقت بينكما قومى الى منزلكى انتهى * وذكر المنصور يوما
فى مجلسه زوال ملك بنى أمية وما جرى عليهم وانهم عاشوا سعداء
وماتوا فقراء فقال له اسماعيل بن على الهاشمي ان عبد الله بن مروان
ابن محمد فى حبسك وله قصة مع ملك النوبة فأحضره واسأله عنها
فأحضره فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال
المنصور رد السلام أمن ولم تسمح نفسي بذلك ولكن اقعد فقعد فقال

ماقصتك مع ملك النوبة فقال يا أمير المؤمنين كنت ولى عهد أبى فلما طلبتما دعوت عشرة من غلمانى ودفعت لكل واحد ألف دينار وأوسقت خمس بغال وشددت فى وسطى جوهرا له قيمة عظيمة وخرجت هاربا الى بلاد النوبة فلما قربنا بعثت غلامالى فقلت امض الى هذا الملك وأقره السلام وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا ميرة فمضى وأبطأ حتى أسأت به الظن ثم أقبل ومعه رجل فدخل وسلم وقال الملك يقرئك السلام ويقول لك من أنت وما جاء بك الى بلادى أمحارب أم راغب فى دينى أم مستجير بى * فقلت له رد على الملك وقل له ما أنا بمحارب ولا راغب فى دينك ولا ممن يبتغى بدينه بدلا بل مستجير به فذهب الرسول ورجع الى وقال الملك يقول لك انى أجىء اليك غدا فلا تحدث نفسك حدثا ولا شيأ من الميرة * فقلت لأصحابى افرشوا الفرش ففرش لى وجلست من الغد أرقبه واذا هو قد أقبل وعليه بردان قد اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر حافى الرجلين ومعه عشرة معهم الحراب ثلاثة يقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت أمره وسولت لى نفسى قتله * فلما قرب اذا سواد عظيم قلت ما هذا قالوا الخيل فوافى بها عشرة آلاف عنان ووافت الخيل عند دخوله فأحدقوا بنا فلما دخل جلس على الارض * قال فقلت لترجمانه لم لم يقعد على الموضع الذى وطئ له فسأله فقال قل له انه ملك وكل ملك حقه أن يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم نكت بأصبعه الارض طويلا ورفع رأسه * وقال قل له كيف سلبتم هذا الملك فأخذ منكم وأنتم أقرب الناس الى نبيكم * فقلت جاء من هو أقرب منا قرابة اليه فسلبنا وغلبنا وطردنا فخرجت اليك مستجيرا بالله ثم بك * قال فلم كنتم تشربون الخمر وهو محرم عليكم * قلت فعل ذلك عبيد

واعاجم

وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير رأينا * قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم سروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد وأعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا بغير رأينا قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم أهلها ما لا طاقة لهم به بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا زرعهم في طلب دراج قيمته نصف درهم والنكاية والعناء محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان وأتباع قال لا ولكنكم استحللتم ما حرم الله عليكم وأتيتم ما نهاكم الله عنه فسلبكم الله العز وألبسكم الذل ونصر أعداءكم عليكم ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد واني أخاف أن ينزل لك النقمة اذا كنت من الظلمة فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت فاخرج بعد ثلاث فان وجدتك بعدها أخذت ما معك وقتلتك ومن معك ثم وثب قائما وخرج وأقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فأخذني عاملك وبعث بي اليك وها أنا ذا والموت أحب الى من الحياة فرق له المنصور وهم باطلاقه فقال له اسماعيل بن علي في عنقي تبعة قال فما ترى قال ينزل في دار من دورنا ويجري عليه ما يجري على مثله ففعل به ذلك انتهى وخطب المنصور يوما بالشام فقال أيها الناس ينبغي لكم أن تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في فاني منذ وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال له أعرابي ان الله أكرم من أن يجمع علينا أنت والطاعون ودخل ابن هرمة على المنصور وامتدحه فقال له المنصور سل حاجتك قال تكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكران لا يحدني فقال له المنصور هذا حد لا سبيل الى تركه فقال مالي حاجة غيرها فقال لكاتبه اكتب الى عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذي جاء به مائة فكان

لشرطة يمرون عليه وهو سكران ويقولون من يشتري ثمانين بمائة
يمرون عليه ويتركونه انتهى وحدث أحمد بن موسى قال ما رأيت
رجلا أثبت جنانا ولا أحسن معرفة ولا أظهر حجة من رجل وقع فيه
عند المنصور بأن عنده أموالا لبني أمية فأمر المنصور حاجبه الربيع أن
يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا أن عندك ودائع
وأموالا وسلاحا لبني أمية فأخرجه لنا لنجمع ذلك الى بيت المال
وقال الرجل يا أمير المؤمنين أنت وارث لبني أمية قال لا قال فلم تسأل
اذن عما في يدي من أموال بني أمية ولست بوارث لهم ولا وصي فأطرق
المنصور ساعة ثم قال ان بني أمية ظلموا الناس وغصبوا أموال المسلمين
فقال الرجل يحتاج أمير المؤمنين الى بينة يقبلها الحاكم تشهد أن المال
الذي لبني أمية هو الذي في يدي وانه هو الذي غصبوه من الناس وان
أمير المؤمنين يعلم أن بني أمية كانت لهم أموال لانفسهم غير أموال
المسلمين التي اغتصبوها على ما يتهم أمير المؤمنين قال فسكت المنصور
ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب لنا على الرجل شئ ثم قال
للرجل ألك حاجة قال نعم قال ما هي قال أن تجمع بيني وبين من سعى بي
اليك فوالله يا أمير المؤمنين ما لبني أمية عندي مال ولا سلاح وانما
أحضرت بين يديك وعلمت ما أنت فيه من العدل والانصاف واتباع
الحق واجتناب المظالم فأيقنت أن الكلام الذي صدر مني هو أنجح
وأصلح لما سألتني عنه فقال المنصور يا ربيع اجمع بينه وبين الذي
سعى به فجمع بينهما فقال يا أمير المؤمنين هذا أخذ لي خمسمائة دينار
وهرب ولي عليه مسطور شرعي فسأل المنصور الرجل فاقر بالمال قال
فما حملك على السعي كاذبا قال أردت قتله ليخلص لي المال فقال الرجل
قد وهبتها له يا أمير المؤمنين لاجل وقوفي بين يديك وحضوري مجلسك

واوهبته

وأوهبته خمسمائة أخرى لكلامك لي فاستحسن المنصور فعله وأكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول مارأيت مثل هذا الشيخ قط ولا أثبت من جنانه ولا من جنى مثله ولا رأيت مثل حلمه ومروءته انتهى

(خلافة المهدى)

اسمه محمد بن المنصور قال حدثنا داود بن رشيد قال قلت للهيثم بن على بأى شئ استحق سعيد بن عبد الرحمن ان ولاه المهدى القضاء وأنزله منه تلك المنزلة الرفيعة فقال ان خبره باتصاله بالمهدى ظريف فان أحببت شرحته لك قلت والله قد أحببت قال اعلم أنه وافى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة الى المهدى وقال له استأذن لى على أمير المؤمنين فقال له من أنت وما حاجتك قال أنا رجل قد رأيت لامير المؤمنين أعزه الله رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكرنى له فقال الربيع ياهذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف بما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة غير هذه فقال له ان لم تخبره بمكانى سألت من يوصلنى اليه واخبره انى سألتك الاذن لى عليه ولم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له ياأمير المؤمنين انكم قد أطمعتم الناس فى أنفسكم فقد احتالوا عليكم بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم أنه رأى لامير المؤمنين أيده الله رؤيا حسنة وقد أحب أن يقصها عليك فقال المهدى ياربيع انى والله أرى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف يمكن ادعاؤها من لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل قال هات الرجل قال فأدخل عليه سعيد وكان له رؤيا وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق فقال له مارأيت بارك الله فيك قال رأيت ياأمير المؤمنين آتيا أتانى فى منامى فقال اخبر أمير المؤمنين انه يعيش ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك

أنه يرى في ليلته الآتية في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدها ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له فقال المهدي ما أحسن ما رأيت ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا فان كان الامر على ماذكرت أعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك لعلمنا أن الرؤيا الصالحة ربما صدقت وربما اختلفت قال سعيد يا أمير المؤمنين فماذا أصنع أنا الساعة اذا صرت الى منزلي وعيالي وأخبرتهم اني كنت عند أمير المؤمنين أكرمه الله ثم رجعت صفر اليد فقال له المهدي فكيف تعمل فقال يعجل لي أمير المؤمنين أعزه الله تعالى ما أحب وأحلف له بالطلاق اني قد صدقت فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمر بأن يأخذ له كفيل ليحضر من غد ذلك اليوم فقبض المال وقال له من يكفلك فدعينه الى خادم حسن الوجه والزي وقال هذا يكفلني فقال له المهدي أتكفله يا غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا أمير المؤمنين فكفله وانصرف سعيد بن عبد الرحمن بالعشرة آلاف درهم فلما كانت تلك الليلة رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفا بحرف وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن فأذن له فلما وقعت عين المهدي عليه قال له أين مصداق ما قلت لنا عليه فقال له سعيد وما رأى أمير المؤمنين فضجع في جوابه فقال له امرأتي طالق ان لم تكن رأيت شيأ قال له المهدي ما أجرأك على هذا الحلف بالطلاق فقال لاني احلف على صدق قال له المهدي فقد والله رأيت ذلك مبينا فقال له سعيد الله اكبر فانجز لي يا امير المؤمنين ما وعدتني قال حبا وكرامة ثم امر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثياب من كل صنف وثلاثة مراكب من انفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان كفله وقال له سألتك بالله هل لهذه الرؤيا من اصل فقال سعيد لا والله فقال الخادم كيف وقد رأى امير

المؤمنين ماذكرته قال هذا من الخاريف التي لا آب لها ولا ولد لما القيت
له هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه واسربه قلبه واشغل به
فكره ففي ساعة نام خيل له ما حل في قلبه واشتغل به فكره فنام فرآه
فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معي على
ثنتين وازداد مهرها عشرة دراهم واحصل على عشرة آلاف درهم
وثلاثة آلاف دينار وثلاثة تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب
فارهة فبهت الخادم وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد صادقتك
وجعلت ذلك مكافاتك على كذبك فاستمر على ثم ولاه المهدي
لمنادمته منادمه وحظي عنده وقلده القضاء على العسكر ولم يزل كذلك
حتى مات انتهى ويحكي أن المهدي خرج يتصيد فغار به فرسه حتى
دخل الى خباء أعرابي فقال يا أعرابي هل من قراء قال نعم فاخرج له
قرص شعير فأكله ثم أخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة
فسقاه قعبا فلما شرب قال يا أخا العرب أتدري من أنا قال لا والله قال أنا
من خدم أمير المؤمنين الخاص قال له بارك الله في موضعك ثم سقاه قعبا
آخر فشربه فقال يا أعرابي اتدري من أنا قال زعمت انك من خدم أمير
المؤمنين الخاصة قال لا بل أنا من قواد أمير المؤمنين قال رحبت بلادك
وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا أعرابي اتدري من أنا
قال زعمت أنك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكني أمير المؤمنين فاخذ
الاعرابي الركوة وأوكأها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت أنك
رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه واحاطت به الخيل ونزلت
اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك
ولا خوف ثم أمر له بكسوة ومال نفيس وقيل كان لاسماء بنت المهدي
جارية يقال لها كاعب وكانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد

واعتدال وكانت بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها أبو نواس ليفيلها فتمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي القصر فسكها فبكت وقالت له المرت دون ذلك فقال أبو نواس في نفسه هذا جزع الابكار وتركها مدة فاتفق له أنه خرج من القصر ليلة وقد رقرق الدجى ووجدها نائمة سكرانة فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ودهمها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن أنه يكون أتاها آدم فلم يجد وقام عنها وندم على ما كان منه وأخذ يقول

وناهدة الثديين من خدم القصر * مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها
طويلا وما صاحب الكواعب من أمري
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها * وروضتها والشعر من خدع السحر
* أطالتها شيأ ففاتت بغيرة * امرت به داء ودمعتها تجري *
* فلما تمانعنا توسطت لجة * غرقت بها يا قوم في لجج البحر *
فصحت اغثني يا غلام فجاءلي * وقد زلقت رجلي ورحت الى الصدر
* ولولا صياحي بالغلام وانه * تداركني بالحبل رحت الى القعر *
فأقسمت عمري لا ركبت سفينة * ولا سرت طول الدهر الا على الظهر

(حكاية أجنبية) قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرأيت مجنونا فيه فلم أر قط اظرف منه ولا أحسن ثيابا ويده الواحدة على صدره فلما دنوت منه أنشأ يقول

الله يعـــلم أنني كمد * لا أستطيع أبث ما أجد
روحان لي روح تملكها * بلد وأخرى حازها بلد
وأرى القيامة ليس ينفعها * صبر وليس لمثلها جلد
وأظن طاعنتي كشاهدتي * بمكانها تجد الذي أجد

فقلت

فقلت أحسنت والله لله درك يا مجنون فأهوى بشئ يرميني به فبعدت عنه فقال لي أنشدتك ما تحبه واستحسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان علي فقلت له أخطأت فقال اذا اعترفت بخطائك ثم قال أنشدك شعرا أيضا فقلت نعم فأنشأ يقول

ما أقتل البين للمحب وما * أوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي على البلاء لقد * أسرع في مهجتي وفي كبدي
ياحسرة أن أبيت معتقلا * بين اعتلاج الهموم والسهد

فقلت أحسنت والله زدنا فقال

ان فتشوني فمحرق الكبد * أو كشفوني فناحل الجسد
أضعف ما بي وزادني ألما * أن لست أشكو النوى الى أحد

فقلت أحسنت والله زدنا فقال يا فتى أراك كل ما أنشدتك بيتا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب أو خل أريب ثم قال أحسبك أبا العباس المبرد بالله أنت هو قلت أنا ذلك فمن أين عرفتني فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا أبا العباس أنشدني من شعرك شيأ تنتعش به روحي فأنشدته فقلت

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل * ومن بكائي بكت عيناي اذ رحلوا
يا منزل الحي أين الحي قد نزلوا * نفسي تساق اذا ما سيقت الابل
أنعم صباحا سقاك الله من طلل * عنا وجاد عليك الوابل المطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة * والشمل ملتئم والحبل متصل
فطال ما قد نعمنا والحبيب بها * والدهر يسعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت أعرفه * والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله * والبين أعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق * والدمع منسبق والركب مرتحل

كأن قلبي لما سار عيسهم * صب به دنف أو شارب ثمل
لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم * وثوروها وسارت بالهوى الابل
وقلبت من خلال السجن ناظرها * ترنوا الى ودمع العين منهمل
ياحادي العيس عرج بي أودعهم * ياحادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقك لا أنسى مودتهم * ياليت شعري لطول العهد مافعلوا

قال أبو العباس المبرد فلما أتممت شعري قال لي ما فعلوا قلت له ماتوا فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته فوجدته قد مات رحمة الله عليه انتهى

(خلافة موسى الهادي بن محمد)

لم أر فيه شيأ ومن رأى فيه شيأ فليجمعه ولبعض الفضلاء من حيث ان المؤرخ أمر بأن من رأى فيه شيأ فليجمعه ورأيت هذا النذر اليسير مذكورا في تاريخ الخلفاء فأحببت ذكره امتثالا لامره فقلت ذكر صاحب السكردان أن الهادي كان يوما في بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه وبحضرته جماعة من حواسه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فأمر الهادي بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما أبصر الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله وبقي وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنى منه الخارجي وهم أن يعلوه بالسيف أومأ الى وراء الخارجي وأوهمه ان غلاما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجي ان غلاما وراءه فالتفت الخارجي فنزل الهادي مسرعا عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه ثم عاد

الى ظهر حماره من فوره وأتباع الهادى ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياء ورعبا فما عاتبهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا جوادا من الخيل فانظر الى هذا المقدار فى ثبات جاش الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا حكى عن عبد الحق انه قال مما ابتلى به الهادى من المحبة انه كان مغرما بجارية تسمى غادرا وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهم غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له ما بال أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى أنى أموت وأن أخى هارون يلى الخلافة ويتزوج غادرا فامضوا وأتونى برأسه ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هارون يترفق به فقال لا أرضى حتى تحلف لى بكل ما أحلفك به انى اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف أيمانا عظيمة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلم يلبث بعد ذلك سوى شهر ومات وولى الخلافة هارون الرشيد فطلب الجارية فقالت يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى ثم تزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره فلا يتحرك ولا ينقلب فبينما هى فى بعض الليالى وهى فى حجره نائمة فاذا بها انتبهت فزعة مرعوبة فقال لها ما بالك فديتك قالت رأيت أخاك الهادى الساعة فى النوم فأنشدنى هذه الابيات

أخلفت عهدى بعدما * جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى * أيمانك الزور الفواجر
ونكحت غادرة أخى * صدق الذى سماك غادر

لايهنك الالف الجديد * ولاتدرعنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصباح * وصرت حيث غدوت صائر

قالت ثم ولى عنى وكانت الابيات مكتوبة فى قلبى مانسيت منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله ياأمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولاتسأل عن هارون الرشيد ومالقى بعدها انتهى

(خلافة هارون الرشيد بن محمد المهدى)

هو أخو موسى الهادى وهو خامس بنى العباس * قال ابراهيم الموصلى فى تهنئة الخلافة حين ولى الرشيد بعد أخيه موسى الهادى

ألم تر أن الشمس كانت مريضة * فلما أتى هارون أشرق نورها
فلبست الدنيا جمالا بملكه * فهارون واليها ويحيى وزيرها

وقدم اعرابى حين ولى هارون الخلافة وقيل له بم جئت قال أتيت برسالة قال أنت بها قال أتانى آت فى منامى فقال ائت أمير المؤمنين فأبلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش * تزف اليك أبدا عروسا
الى هارون تهدى بعد موسى * تميس ومالها أن لاتميسا

فأعطاه الرشيد عطاء جزيلا وصرفه بويع له بالخلافة فى الليلة التى توفى فيها أخوه وولد فى تلك الليلة المأمون وكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها فى بنى العباس مات فيها خليفة وولى فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك وزارته * وسيأتى ايقاع الرشيد بالبرامكة وسبب ذلك * ويحكى ان هارون الرشيد مر فى بعض الايام وصحبته جعفر البرمكى واذاهو بعدة بنات يستقون الماء فعرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت المنام
كي أستريح وتنطفي * نار تأجج في العظام
دنف تقلبه الأكف على بساط من سقام
أما أنا فكما علمت * فهل لوصالك من دوام

فأعجب أمير المؤمنين ملاحتها وفصاحتها * فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك أم من منقولك قالت من قولي قال ان كان كلامك صحيحا فأمسكي المعنى وغيري القافية فأنشدت تقول

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت الوسن
كي أستريح وتنطفي * نار تأجج في البدن
دنف تقلبه الأكف على بساط من شجن
أما أنا فكما علمت * فهل لوصالك من ثمن

فقال لها والآخر مسروق قالت بل كلامي فقال ان كان كلامك أيضا فأمسكي المعنى وغيري القافية فقالت

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت الرقاد
كي أستريح وتنطفي * نار تأجج في الفؤاد
دنف تقلبه الأكف على بساط من حداد
أما أنا فكما علمت * فهل لوصالك من سداد

فقال لها والآخر مسروق فقالت بل كلامي فقال لها ان كان كلامك فأمسكي المعنى وغيري القافية فقالت

قولي لطيفك ينثني * عن مضجعي وقت الهجوع
كي أستريح وتنطفي * نار تأجج في الضلوع
دنف تقلبه الاكف على بساط من دموع
أما أنا فكما علمت * فهل لوصالك من رجوع

فقال لها أمير المؤمنين أنت من أي هذا الحي قالت من أوسطه بيتا وأعلاه عمودا فعلم أمير المؤمنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وأنت من أي راعي الخيل فقال من أعلاها شجرة وأينعها ثمرة فقبلت الارض وقالت أيد الله أمير المؤمنين ودعت له ثم انصرفت مع بنات العرب فقال الخليفة لجعفر لا بد من أخذها فتوجه جعفر الى أبيها وقال له أمير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبا وكرامة تهدى جارية الى أمير المؤمنين مولانا ثم جهزها وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من أعز نسائه وأعطى والدها ما يستره بين العرب من الانعام ثم بعد مدة انتقل والدها بالوفاة الى رحمة الله تعالى فورد على الخليفة خبر وفاته فدخل عليها وهو كئيب فلما شاهدته وعليه الكآبة نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كل ما عليها من الثياب الفاخرة ولبست ثياب الحزن وأقامت النعي له فقيل لها ما سبب هذا فقالت مات والدي فمضوا الى الخليفة وأخبروه فقام وأتى اليها وسألها من أعلمها بهذا الخبر فقالت وجهك يا أمير المؤمنين قال كيف ذلك قالت منذ أنا عندك ما رأيتك هكذا ولم يكن لي من أخشى عليه الا والدي لكبره وتعيش رأسك أنت يا أمير المؤمنين فتغرغرت عيناه بالدموع وعزاها فيه وأقامت مدة وهي حزينة على والدها ثم لحقت به رحمة الله عليهم اجمعين ويحكى ان امير المؤمنين هارون الرشيد * أرق ذات ليلة فقام يتمشى في قصره بين المقاصير فرأى جارية من جواريه نائمة فأعجبته فداس على رجلها فانتبهت فرأته امير المؤمنين فاستحت منه وقالت يا امين الله ما هذا الخبر فأجابها بقوله

قلت ضيف طارق في أرضكم * هل تضيفيه الى وقت السحر

(فاجابته وقالت)

بسرور

بسرور وهاء سيدى * أخدم الضيف بسمعي والبصر

فبات عندها الى الصباح فسأل أمير المؤمنين من بالباب من الشعراء فقيل له أبونواس وأمر به فدخل عليه فقال له هات على يا أمين الله ماهذا الخبر فأنشأ يقول

طال ليلي حين وافاني السهر * فتفكرت فأحسنت الفكر
قمت أمشي في المجالي ساعة * ثم أجرى في مقاصير الحجر
فاذا وجه جميل مشرق * زانه الرحمن من بين البشر
فلمست الرجل منها موطئا * فدنت مني ومدت للبصر
وأشارت بقول مفصح * يا أمين الله هذا ما الخبر
قلت ضيف طارق في أرضكم * هل تضيفوه الى وقت السحر
فأجابت بسرور سيدى * أخدم الضيف بسمعي والبصر

قال فتعجب أمير المؤمنين من ذلك وأمر له بصلة * ويحكى ان هارون الرشيد هجر جارية له ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرى تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب أذيالها من التيه والعجب وسقط رداؤها عن منكبيها * والريح أبان نهديها كأنهما رمانتان ولها ردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا أمير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لى علم بالاقاتك فأنظرني الى غد حتى أتهيأ وآتيك فلما أصبح قال للحاجب لاتدع احدا يدخل على الا فلانة وانتظرها فلم تجيء فقام ودخل عليها وسألها انجاز الموعد فقالت يا أمير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من بالباب من الشعراء فدخل عليه أبونواس والرقاشي وأبومصعب فقال لهم هاتوا على كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي أنا قائل في ذلك ثلاثة أبيات وأنشأ يقول

أتسلوها وقلبك مستطار * وقد منع القرار ولا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما * فتاة لا تزور ولا تزار
فولت وانثنت تيها وقالت * كلام الليل يمحوه النهار

(وقال أبو مصعب وأنا قائل فى ذلك ثلاثة أبيات وأنشأ يقول)

أما والله لو تجدين وجدى * لما وسعتك فى بغداد دار
أما يكفيك ان العين عبرا * ومن ذكراك فى الاحشاء نار
تبسمت الفتاة بغير ضحك * كلام الليل يمحوه النهار

(وقال أبو نواس وأنا قائل فى ذلك أربعة أبيات وأنشأ يقول)

وخود أقبلت فى القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الرداء عن منكبيها * من التخميش وانحل الازار
فقلت الوعد سيدتى فقالت * كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد قاتلك الله كأنك كنت معنا أو مطلعا علينا وأمر لكل بخلعة سنية وخمسة آلاف درهم ولأبى نواس بعشرة آلاف درهم انتهى * (وذكر) الخطيب البغدادى فى بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوما وقت الظهر الى مقصورة جارية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما رأته تخللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيأ فأعجبه ذلك الفعل واستحسنه ثم عاد الى مجلسه وقال من بالباب من الشعراء قالوا له أبو نواس وبشار فقال ليحضرا جميعا فأحضرا فقال الرشيد ليقل كل منكما أبياتا توافق ما فى نفسى فأنشأ بشار يقول

تحييتكم والقلب صار اليكموا * بنفسى ذاك المنزل المتقبب
اذا ذكروا الهجران لا عن ملالة * وذكراهم ينمى الى محبب
وقالوا تجنبنا ولا قرب بيننا * فكيف وأنتم حاجتى تتجنب

على انهم أحلى من الشهد عندنا * وأعذب من ماء الحياة وأطيب
فقال أحسنت ولكن ما أصبت ما في نفسي فقل أنت يا أبا نواس فجعل
يقول

نضت عنها القميص لصب ماء * فورد وجهها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت * بمعتدل أرق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها * الى ماء معد في اناء
فلما أن قضت وطرا وهمت * على عجل لتأخذ للرداء
رأت شخص الرقيب على التداني * فأسبلت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل * فظل الماء يجري تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها * كأحسن ما تكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا أمير المؤمنين قال أمعنا كنت
قال لا والله ولكن شيء خطر ببالي فأمر له بأربعة آلاف درهم وصرفه
انتهى * ويحكى ان أمير المؤمنين الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا
فقام من فرشه وتمشى من مقصورة الى مقصورة وقلقه زائد ونفسه
محصورة فلما أصبح قال على بالاصمعي فخرج الطواشي الى البوابين فقال
لهم يقول لكم أمير المؤمنين ارسلوا أحدا خلف الاصمعي فلما حضر أعلم
الخليفة به فأجلسه ورحب به وقال يا أصمعي أريد منك أن تحدثني
بأجود ما سمعت من أخبار النساء وأشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد
سمعت كثيرا ولم يعجبني سوى ثلاثة أبيات أنشدهن ثلاث بنات فقال له
حدثني حديثهن فقال اعلم يا أمير المؤمنين أني توجهت سنة الى البصرة
فاشتد على الحر فطلبت مقيلا أقيل فيه فلم أجد فبينما أنا ألتفت يمينا
وشمالا اذا أنا بساباط مكنوس مرشوش وفيه دكة من خشب وعليها
شباك مفتوح تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على

الدكة وأردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا أختي انا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلاثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلاث مائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي * ولو زارني مستيقظا كان أعجبا

فقالت الوسطى

وما زارني في النوم الا خياله * فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي وأهلي من أرى كل ليلة * ضجيعي ورياه من المسك أطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت منه جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت الى ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاآت مدور الواوات مضمونها نعلم الشيخ أطال الله بقاءه أننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلاث مائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلاث مائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم بما تراه والسلام فقلت للجارية على بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت الى بدواة مفضضة وأقلام مذهبة فأنشأت أقول

أحدث عن خود تحدثن مرة * حديث امرء ساس الامور وجرب

ثلاث كبكرات الصحاري جآذر * حللن بقلب للمشوق معذب

خلون وقد نامت عيون كثيرة * من الرأي قد يشهون ان تتغيب

فصن بما يخفين من داخل الحشا * نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا
فقالت عروب ذات عز عزيزة * وتبسم عن عذب المقالة أنسبا
عجبت له ان زار فى النوم مضجعى * ولو زارنى مستيقظا كان أعجبا
فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت * تنفست الوسطا وقالت تطربا
وما زارنى فى النوم الاخياله * فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
وأحسنت الصغرى وقالت مجيبة * بلفظ لها قد كان أشهى وأعذبا
بنفسى وأهلى من أرى كل ليلة * ضجيعى ورياه من المسك أطيبا
فلما تدبرت الذى قلن وانبرى * لى الحكم لم أترك لذى اللب متعبا
حكمت لصغراهن فى الشعر اننى * رأيت الذى قالت هو الحق أصوبا
قال الاصمعى ثم دفعت الرقعة الى الجارية فلما صعدت الى القصر فاذا برقص وتصفيق ودنيا دانية وقيامة قائمة فقلت ما بقى لى اقامة فنزلت عن الدكة وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادى وتقول اجلس يا أصمعى فقلت ومن أعلمك اننى الاصمعى فقالت يا شيخ ان خفى علينا اسمك فما خفى علينا نظامك فجلست واذا بالباب تدفع وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يديها طبق من فاكهة وطبق من حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنعها وأردت الانصراف واذا بالجارية تنادى وتقول اجلس يا أصمعى فرفعت بصرى اليها فنظرت كفا أحمر فى كم أصفر فخلته البدر يشرق من تحت الغمام ورمت لى بصرة فيها ثلاثمائة دينار وقالت هذا صار لى وهو منى لك هبة فى نظير حكومتك فقال له أمير المؤمنين لاى شئ حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى فقلت له يا أمير المؤمنين أطال الله بقاءك ان بيت الكبرى قالت
عجبت له ان زار فى النوم مضجعى وهو محجوب معلق على شرط قد يقع ولا يقع وأما الوسطى مر بها طيف خيال فى النوم فسلمت عليه وبيت

الصغرى ذكرت أنها ضاجعة مضاجعة حقيقية وشمت منه أنفاسا أطيب من المسك وفدته بنفسها وأهلها ولا يفدى بالنفس الا من هو أعز من النفس فقال الخليفة أحسنت ياأصمعى ثم دفع الى ثلاثمائة دينار فأخذتها وانصرفت فكنت أقول لله درك من شعر أخذت فى حكومتى منه ثلاثمائة دينار وفى حكايته مثلها والله أعلم

(ومما حكى) عن الاصمعى فى نوادره قال سهرت ليلة عند الرشيد فى الرقة فقال لى من معك ياعبدالله يؤنسك فقلت ياأمير المؤمنين مالى أنيس غير الوحدة فأمسك وأقبل فى حديثه ماشاء الله ثم نهض ونهض من بحضرته فلما صرت الى منزلى واذا بخادم الامير يقرع الباب فخرجت فاذا ضوء شمع وضجة وغوغا ومعهم عمارية فلما رآنى الخادم دنى منى وقبل يدى وقال لى يقول لك أمير المؤمنين قد أمرنا لك بمن يؤنسك وهى جارية من خواصه وشئ من المال فشكرت أمير المؤمنين ودعوت له وتقدم الخادم بادخال الجارية ومعها من الآلات والخدم والجوارى والفرش مالم أر مثله الا عند أمير المؤمنين ثم ودعنى الخادم وانصرف فلما نظرت الى الجارية رأيتها أحسن الناس وجها وأكملهم قدا وشكلا وظرفا وأكثرهم محبوبا فداخلنى لها هيبة وانقباض فقالت ماهذا الحياء البارد السمج الذى لا وجه له أين ملحك ونوادرك ثم قالت لجارية من الجوارى هات ما عندك فجاءت بأحسن مايكون من ألوان الطعام فأكلنا وهى مع ذلك تباسطنى وتؤانسنى بالحديث والملاعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتنى ثم قالت مابقى بعد الاكل والشرب الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثياب ماأرادت وألبستنى ثيابا فاخرة مبيضة وتفرق من كان عندنا ثم اضطجعت الى جانبى فلما جمعنا الفراش أصابنى

من الحصر وانقطاع الانعاظ ورخاوة الايرمالم أكن أعهده قبل ذلك
فجعلت تقلبه بيدها وتغمزه فلا يزداد الا انكماشا وموتا فلما أعيتها الحيلة
فيه ويئست من قيامه ومضى من الليل أكثره قالت عظم الله أجرك
في أيرك ثم نهضت ولبست ثياب الحداد ودعت بسفط فأخرجت منه
مناديل صغارا وحنوطا وقالت نم على ظهرك يابطال فاستولى على
الخجل حتى انى لم أقدر أخالفها في شئ مما تأمرني به في جميع ماتفعله في
فغسلته وحنطته وكفنته بتلك المناديل فلما فرغت همت بجواريها
وقامت معهن في بكاء ونحيب ونوح وندب وصراخ بأشد ما يكون
ومازالوا على ذلك الى وقت السحر ثم قالت مابقي الا ماتولاه الرجال
من الصلاة والدفن وولت عنى فقمت وأنا أخزى خلق الله تعالى حالا
ولبست ثيابي وصليت الفجر وسرت من وقتي وساعتي الى الرشيد فأنكر
الحجاب حضوري في ذلك الوقت وأعلم الرشيد بي فأذن لي فدخلت
وهو قاعد في مصلاه فقال لي ويحك مادهاك في هذا الوقت فقلت
ياأمير المؤمنين خبري عجيب وأمري غريب فبالله عليك ياأمير المؤمنين
الا مارحمتني وأرحتني من هذه الجارية التي أنفذتها الى فلاحاجة لي بها
فقال لي أمير المؤمنين وما السبب لذلك وما الخبر الذي دهاك وليس
لها عندك حين من الزمان فشرحت له القصة من أولها الى آخرها حتى
بلغت الى اقامة الصلاة فاشتد ضحكه حتى انه كاد أن يستلقي على قفاه
وسمعت الضحك من كل ناحية في الدار من الجواري وغيرهن ثم قال
نحن الى هذه أحوج منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم انه أمر بحملها
الى داره وعوضني عنها خمسين ألف درهم وترك جميع ماحمل معها
في منزلي وخرجت مجردة فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه
لم يتقدم عليها أحد من نظائرها وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى أن

توفيت رحمة الله عليهم أجمعين وعن أبي اسحاق ابراهيم الموصلي قال استأذنت الرشيد أن يهب لي يوما من الايام للانفراد بجواري واخواني فأذن لي في يوم السبت فأتيت منزلي وأخذت في اصلاح طعامي وشرابي وما احتجت اليه وأمرت البوابين بغلق الابواب وأن لا يأذنوا لاحد بالدخول علي فبينما أنا في مجلسي والحريم قد حففن بي واذا بشيخ ذي هيبة وجمال وعليه خفان قصيران وقميص ناعم وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكازة مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فداخلني غيظ عظيم لدخوله علي وهممت بطرد البوابين فسلم علي أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ يحدثني بأحاديث العرب وأشعارها حتى ذهب ما بي من الغضب وظننت أن غلماني تحروا مسرتي لادخال مثله علي لادبه وظرفه فقلت هل لك في الطعام فقال لا حاجة لي فيه قلت فالشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا أبا اسحاق هل لك أن تغنينا شيأ فنسمع من صنعتك ما قد فقت به العام والخاص فغاظني قوله ثم سهلت الامر على نفسي فأخذت العود وضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت أما رضي بما فعله في دخوله بغير اذني واقتراحه علي حتى سماني باسمي ولم يجمل مخاطبتي ثم قال هل لك أن تزيد ونكافئك فتذممت وأخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيته وقمت به قياما تاما لقوله ونكافئك فطرب وقال أحسنت يا سيدي ثم قال أتأذن لي في الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله في أن يغني بحضرتي بعد الذي سمعه مني فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلت أن العود ينطق بلسان عربي واندفع يغني هذه الابيات

ولي كبد مقروحة من يبيعني * بها كبدا ليست بذات قروح

أباها على الناس أن يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب طريح
قال ابراهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكل ما فى البيت تجيبه وتغنى معه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم اندفع يغنى وقال

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين
فعدن ولما عدن كدت يمتننى * وكدت بأسرارى لهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما * شربن الحميا أو بهن جنون
فلم ترعينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

قال ثم سكت قليلا وغنى هذه الابيات
ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
فقد زادنى مسراك وجدا على وجدى
لئن هتفت ورقاء فى رونق الضحى
على فنن من غصن بان ومن رند
بكيت كما يبكى الوليد صبابة
وأبديت من شكواى مالم أكن مبدى

وقد زعموا أن المحب اذا دنا * يمل وان لبعد يشفى من الوجدى
بكل تداوينا ولم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود
ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء الماخورى خذه وانح نحوه فى غنائك وعلمه جواريك فقلت أعده على فقال لست تحتاج الى اعادة فقد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يدى فارتعبت منه وقمت الى السيف وجردته ثم غدوت نحو أبواب الحريم فوجدتها مغلقة فقلت للجوارى

أى شئ سمعتن فقلن سمعنا غناء أطيب شئ وأحسنه فخرجت مصيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البوابين عن الشيخ وقالوا أى شيخ والله مادخل اليك اليوم أحد فرجعت لتأمل أمره فاذا هو وقد هتف بى من جوانب لبيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحاق فانما هو أبو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تفزع فركبت الى الرشيد فأخبرته الخبر فقال أعد الاصوات التى قد أخذتها فأخذت العود وضربت فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد عليها وجعل يشرب ولم يكن له همة على الشراب وقال كان الشيخ علم أنك قد أخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما واحدا كما متعك ثم أمر لى بصلة فأخذتها وانصرفت انتهى * وقال الرشيد يوما للفضل بن يحيى وهو بالرقة قد قدم اسماعيل بن صالح بن على وهو صديقك وأريد أن أراه فقال ان أخاه عبد الملك فى حبسك وقد نهاه أن يجيئك * وقال الرشيد فانى أتعالل حتى يجيئنى عائدا فتعالل فقال الفضل لاسماعيل ألا تعود أمير المؤمنين قال بلى فجاءه عائدا فأجلسه ثم دعا بالغداء فأكل وأكل اسماعيل بين يديه فقال له الرشيد كأنى قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب وسقاه ثم أمر فأخرج جوارا يغنين وضربت ستارة وأمر بسقيه فلما شرب أخذ الرشيد العود من يد جارية ووضعه فى حجر اسماعيل وجعل فى عنقه سبحة وفيها عشر حبات من در شراؤها بثلاثين ألف دينار وقال غن يا اسماعيل وكفر عن يمينك بثمن هذه السبحة فاندفع يغنى شعر الوليد بن يزيد فى غالية أخت عمر بن عبد العزيز وكانت تحته وهى التى ينسب اليها سوق الغالية فقال

فأقسم ما أدنيت كفى لريبة * ولا حملتنى نحو فاحشة رجلى
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها * ولا دلنى رأيى عليها ولا عقلى

وأعلم انى لم تصبنى مصيبة * من الدهر الا قد أصابت فتى مثلى

وسمع الرشيد أحسن غناء من أحسن صوت فقال الرمح يا غلام فجيء بالرمح فعقد له لواء على امارة مصر قال اسماعيل فوليتها سنتين فأوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة ألف دينار وبلغ أخاه عبد الملك ولايته فقال غنى والله الخبيث لهم ليس هو بصالح انتهى ويروى انه لما دخل هارون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك ليفرد بالطواف فسبقه أعرابى فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى حاجبه منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابى تخل عن الطواف حتى يطوف أمير المؤمنين فقال الاعرابى ان الله قد ساوى بين الامام والرعية فى هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم لما سمع الرشيد من الاعرابى ذلك راعه أمره فأمر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابى فاستلمه ثم أتى الرشيد الى المقام ليصلى فسبقه الاعرابى فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلاته قال لحاجبه ائتنى بهذا الاعرابى فأتاه الحاجب فقال أجب أمير المؤمنين فقال مالى اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو أحق بالقيام الى والسعى فقام الرشيد حتى وقف بازاء الاعرابى وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرشيد يا أخا العرب أجلس ههنا بأمرك فقال الاعرابى ليس البيت بيتى ولا الحرم حرمى وكلنا فيه سواء فان شئت تجلس وان شئت تنصرف قال الراوى فعظم ذلك على الرشيد وسمع مالم يكن فى ذهنه وما ظن انه يواجهه بمثل هذا الكلام فجلس الرشيد وقال يا اعرابى أريد أن أسألك عن فرضك فان أنت أقمت به فأنت بغيره أقوم * وان أنت عجزت عنه فأنت عن غيره أعجز * فقال الاعرابى سؤالك هذا

سؤال تعلم أم سؤال تعنت فتعجب الرشيد من سرعة جوابه * وقال بل سؤال تعلم فقال له الاعرابى قم فاجلس مقام السائل من المسؤل قال فقام الرشيد وجثى على ركبتيه بين يدى الاعرابى فقال قد جلست فاسأل عما بدا لك فقال له أخبرنى عما افترض الله عليك فقال له تسألنى عن أى فرض عن فرض واحد أم عن خمسة أم عن سبعة عشر أم عن أربعة وثلاثين أم عن خمسة وثمانين أم عن واحدة فى طول العمر أم عن واحدة من أربعين أم عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم قال له سألتك عن فرضك فأتيتنى بحساب الدهر * قال يا هارون لولا ان الدين بالحساب لما أخذ الله الخلائق بالحساب يوم القيامة * فقال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * قال فظهر الغضب فى وجه الرشيد واحمرت عيناه حين قال يا هارون ولم يقل له يا أمير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا غير ان الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبينه لما علم ان الله هو الذى أنطق الاعرابى بذلك فقال له الرشيد يا اعرابى ان فسرت ماقلت نجوت والا أمرت بضرب عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب يا أمير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف قال فضحك الاعرابى من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال مم تضحك قال عجبا منكما اذ لا أدرى أيكما أجهل الذى يستوهب أجلا قد حضر أم يستعجل أجلا لم يحضر * قال فهال الرشيد ماسمعه منه وهانت نفسه عليه ثم قال الاعرابى أما سؤالك عما افترض الله على فقد افترض على فرائض كثيرة فقولى لك عن فرض واحد فهو دين الاسلام * وأما قولى عن خمسة فهى الصلوات * وأما قولى لك عن سبعة عشر فهى

سبعة عشر ركعة * وأما قولى لك عن أربعة وثلاثين فهى السجدات وأما قولى لك عن خمسة وثمانين فهى التكبيرات * وأما قولى لك عن واحدة فى طول العمر فهى حجة الاسلام واحدة فى طول العمر كله * واما قولى لك واحدة من أربعين فهى زكاة الشياه شاة من أربعين شاة * واما قولى لك خمس من مائتين فهى زكاة الورق * قال فامتلأ الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل ومن حسن كلام الاعرابى * وعظم الاعرابى فى عينه وتبدلت بغضته محبة ثم قال الاعرابى سألتنى فأجبتك وأنا اريد أن أسألك فأجبنى قال قل فقال الاعرابى ماتقول فى رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشاء حرمت عليه فلما كان وقت الصبح حلت له فلما كان وقت الظهر حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب حرمت عليه فلما كان وقت العشاء حلت له فقال والله يا أخا العرب لقد أوقعتنى فى بحر لم يخلصنى منه غيرك فقال له أنت خليفة وليس فوقك شئ ولا ينبغى أن تعجز عن مسألة فكيف عجزت عن مسألتى وأنا رجل بدوى لا قدر لى فقال الرشيد قد عظم قدرك العلم ورفع ذكرك فاشتهى اكرامالى ولهذا المقام تفسير ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط أن تجبر الكسير وترحم الفقير ولا تزدرى بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال ان قولى لك عن رجل نظر الى امرأة وقت صلاة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى أمة غيره وقت الفجر فهى حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتراها فحلت له ولما كان وقت العصر أعتقها فحرمت عليه ولما كان وقت المغرب تزوجها فحلت له فلما كان وقت العشاء طلقها

فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت له فلما كان وقت الظهر ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر أعتق عنها فحلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء تاب ورجع الى الاسلام فحلت له قال فاغتبط وفرح به واشتد اعجابه ثم أمر له بعشرة آلاف درهم فلما حضرت قال لا حاجة لى بها ردوها الى أصحابها قال له أريد أن اجرى لك جراية تكفيك مدة حياتك قال الذى أجرى عليك يجرى على قال فان كان عليك دين قضيناه عنك قال لا ولم يقبل منه شيأ ثم أنشد يقول

هب الدنيا تؤاتينا سنينا * فتكدر ساعة وتلذ حينا
فما أبغى بشئ ليس يبقى * وأتركه غدا للوارثينا
كأنى بالتراب على يحثى * وبالاخوان حولى نادبينا
ويوم تزفر النيران فيه * وتقسم جهرة للسامعينا
وعزة خالقى وجلال ربى * لانتقمن منهم أجمعينا
وقد شاب الصغير بغير ذنب * فكيف يكون حال المجرمينا

فلما فرغ من انشاده تأوه الرشيد وسأله عن أهله وبلاده فأخبره أنه موسى الرضى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين وكان يتزيا بزى اعرابى زهدا فى الدنيا وتباعدا عنها فقام اليه الرشيد وقبل ما بين عينيه ثم قرأ الله أعلم حيث يجعل رسالته وانصرف رحمة الله عليهم أجمعين وقال السجستانى أرق الرشيد ليلة فوجه الى الاصمعى والى حسين الخليع فأحضرهما وقال عللانى وابدأ أنت ياحسين قلت نعم ياأمير المؤمنين خرجت فى بعض السنين منحدرا الى البصرة ممتدحا محمد بن سليمان الزينبى بقصيد فتقبلها وأمرنى بالمقام فخرجت ذات يوم الى المربد وجعلت

المهالبة طريق فأصابني حر شديد * فدنوت من باب دار كبيرة لاستسقي فاذا أنا بجارية كأنها قضيب تثني وسناء العينين أزجة الحاجبين مفتوحة الحبرين عليها قميص جلناري ورداء عدني قد غلب شدة بياض بدنها على حمرة قميصها تتلألأ من تحت القميص بثديين كرمانتين وبطن كطي القباطي وعكن كالقراطيس لها جمة جعدت بالمسك محشوة وهي يا أمير المؤمنين متقلدة خرزا من الذهب والجوهر يزهر بين نهديها وعلى صحن جبينها طرة كالسبج وحاجبان مقرونان وعينان نجلاوان وخدان أسيلان وأنف أقنى تحته ثغر كاللؤلؤ وأسنان كالدر وقد غلب عليها الطيب وهي والهة حيرانة ذاهبة في الدهليز ورائحة تتخطر على أكباد محبيها في مشيتها وقد خالط أصوات خلاخيلها فهي كما قال الشاعر فيها

كل جزء من محاسنها * كائن من حسنها مثلا

فهبتها يا أمير المؤمنين ثم دنوت منها لاسلم عليها فاذا بالدهليز والدار والشارع قد عبق بالمسك فسلمت عليها فردت بلسان منكسر وقلب حزين حريق مسعر فقلت لها يا سيدتي اني شيخ غريب أصابني عطش أفتأمرين بشربة من ماء تؤجرين عليها قالت اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن الماء وادخار الزاد قلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني عاشقة لمن لا ينصفني وأريد من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقباء فوق رقباء قلت وهل يا سيدتي على بسيطة الارض من تريدينه ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت هوهنا طريقه وهذا أوان اجتيازه فقلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما في وقت من الاوقات أوجب حديثا في هذا القرب فتنفست الصعداء وأرخت دموعها على خدها كطل

سقط على ورد ثم أنشأت تقول

وكنا كغصني بانة فوق روضة ❋ نشم جنى اللذات في عيشة رغد
فأفرد هذا الغصن من ذاك قاطع ❋ فيا من رأى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت أرى الشمس على حائطهم أحسب أنها هو وربما أراه بغتة فأبهت ويهرب الدم والروح من جسدي وأبقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت لها فاعذريني فأنت على ما بك من الصبا وشغل البال بالهوى وانتحال الجسم وضعف القوى أرى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يسلك الهوى أكنت مفتنة في أرض البصرة قالت والله قبل محبتي هذا الغلام كنت تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد فتنت جميع ملوك البصرة حتى أفتنني هذا الغلام قلت يا هذه فما الذي فرق بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شأن من الشؤن وذلك أني كنت قعدت في يوم نيروز ودعوت عدة من مستظرفات البصرة من النساء الجمالات وكانت فيهن الحوراء جارية شيراز وكان شراؤها عليه من عمان بثمانية آلاف درهم وكانت بي ولعة فلما دخلت رمت بنفسها على تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا نتمزز القهوة الى أن يدرك طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني وألاعبها فتارة أنا فوقها وتارة هي فوقي فحملها السكر الى أن ضربت يدها الى تكتي فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي ملاعبة فبينما نحن كذلك اذ دخل علينا حبيبي فرأى ذلك فاشمأز لذلك وصدني عني صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا فأنا يا شيخ منذ ثلاث سنين أسأل بجمعته فلا ينظر الى بطارف ولا يكتب الى بحرف ولا يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قيلا قلت لها يا هذه من العرب هو أم من العجم فقالت ويحك هو من جملة ملوك البصرة فقلت لها شيخ

هو أمرد شاب فنظرت الى شزرا وقالت انك أحمق هو مثل القمر ليلة البدر
أجرد أمرد له طرة كحنك الغراب لا يعيبه شئ غير احمرار في خده قلت لها
ما اسمه قالت ماذا تصنع به قلت أجتهد في لقائه فأتعرف الفصل بينكما
قلت على شرط أن تحمل اليه رقعة قلت لا أكره ذلك فقالت اسمه
ضمرة بن المغيرة ويكنى بأبي السفاء وقصره بالمربد ثم صاحت في الدار
يا جواري الدواة والقرطاس وشمرت عن ساعدين كأنهما طوقان
من فضة وكتبت بعد التسمية سيدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبئ
عن قصر صبري ودعائي ان دعوته هجنة ورعونة ولولا أن بلوغ المجهود
يخرج عن حد الصبر لما كان لما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعة
معنى مع يأسها منك لعلمها تركك الجواب سيدي جد بنظرة وقت
اجتيازك في الشارع الى الدهليز تحيي بها انفسا ميتة واخطط بخط يدك
بسط الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن تلك الخلوات التي
كانت بيننا في الليالي الخاليات التي أنت ذاكرها سيدي ألست لك
محبة مدنفة فان رجعت الى الاية كنت لك شاكرة وبعد خادمة
والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فأصبحت غدوة الى باب محمد
ابن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا بالملوك ورأيت غلاما قد زان المجلس
وفاق على من فيه جمالا وبهجة قد رفعه الامير فوقه فسألت عنه فاذا هو
ضمرة بن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقة حل بالمسكينة ما حل بها ثم قمت
وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في موكب فوثبت
اليه وبالغت في الدعاء له وناولته الرقعة ولما قرأها وفهم معناها قال لي
يا شيخ قد استبدلنا بها فهل لك أن تنظر الى البديل قلت نعم فصاح في الدار
أخرجوا الرقعة فاذا أنا بجارية خابوطة الكم ناهدة الثديين تمشي
مشية مستعجل من غير وجل فناولها الرقعة وقال أجيبي عنها فلما قرأتها

اصفرت وعرقت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت . فخرجت يا أمير المؤمنين وأنا أجر رجلي حتى أتيتها واستأذنت عليها ودخلت فقالت ماوراءك فقلت البؤس واليأس قالت ماعليك منه وأين الله وا قدر ثم أمرت لي بخمسمائة دينار ثم جزت بعد أيام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت فاذا أصحاب ضمرة يسألونها الرجوع اليه فقالت لاوالله لانظرت له وجها فسجدت لله يا أمير المؤمنين شماتة بضمرة ونفرته من الجارية فأوردت على منه رقعة فاذا فيها بعد التسمية سيدتي لولا ابقائي عليك أدام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت شطر غبني عليك وسلمت ظلامتي ميلك اذكنت الجانية على نفسك ونفسي والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا فخالفت هواي والله المستعان على ما كان من سوء اختيارك والسلام وأوقفتني على ما حمله اليها من الهدايا والتحف العظيمة فاذا هو بمقدار ثلاثين ألف دينار ثم رأيتها بعد ذلك وقد تزوج بها ضمرة فقال الرشيد لولا أن ضمرة سبقني اليها لكان لها معي شأن من الشؤن انتهى (وحكى مسرور الخادم) قال أرق الرشيد أرقا شديدا ليلة من الليالي فقال يامسرور من على الباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز فوجدت جميل بن معمر العذري فقلت له اجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة فدخلت ودخل معي الى أن صار بين يدي هارون الرشيد فسلم بسلام الخلافة فرد عليه وأمره بالجلوس فقال له الرشيد يا جميل أعندك شئ من الاحاديث العجيبة قال نعم يا أمير المؤمنين أيما أحب اليك ماعاينته ورأيته أو ما سمعته ووعيته فقال بل حدثني عن ماعاينته ورأيته قال قلت نعم يا أمير المؤمنين أقبل على بكلك واصغ لى باذنك قال فعمد الرشيد الى مخدة من الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام

فجعلها

فجعلها تحت فخذه ثم مكن منها مرفقيه وقال هلم بحديثك فقال اعلم
يا أمير المؤمنين أني كنت مفتونا بفتاة محبا لها وكنت الفا لها اذ هي
سؤلي وبغيتي من الدنيا وان أهلها رحلوا بها القلة المرعى فأقمت مدة
لم أرها ثم ان الشوق أقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها
ولما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها فقمت وشددت رحلي
على ناقتي واعتممت بعمتي ولبست أطماري وتقلدت بسيفي وتنكبت
بجحفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها وكنت أجد في المسير فسرت
وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وأنا مع ذلك أكابد هبوط الاودية وصعود
الجبال أسمع زئير الاسد وعوى الذئاب وأصوات الوحوش من كل
جانب وقد ذهل عقلي وطاش لبي ولساني لا يفتر عن ذكر الله تعالى
فبينما أنا أسير كذلك اذ غلبني النوم فأخذتني الناقة عن غير الطريق
التي كنت فيها وزاد علي النوم واذا أنا بشيء لاطمني في رأسي فانتبهت
ذعرا مرعوبا فاذا أنا بأشجار وأنهار وماء وأطيار على تلك الاغصان
تزعق بلغاتها وألحانها وأشجار ذلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت
عن ناقتي وأخذت زمامها بيدي ولم أزل أتلطف بها الى أن خرجت بها
من تلك الاشجار الى أرض فلاة فأصلحت كورها واستويت راكبا على
ظهرها ولا أدري الى أين أذهب ولا الى ما تسوقني الاقدار فمددت
نظري في تلك البرية فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي وصرت
طالبا الى أن وصلت الى تلك النار فقربت منها وتأملت واذا بخباء
مضروب ورمح مركوز وراية قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت
في نفسي يوشك أن يكون لهذا الخباء شأن عظيم فاني لا أرى في هذه
البرية سواه ثم تقدمت الى خلف الخباء وقلت السلام عليكم يا أهل
الخباء ورحمة الله وبركاته فخرج الي من الخباء غلام من أبناء تسعة عشر

سنة كأنه البدر اذ أشرق والشعاع لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أخا العرب انى أظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك أرشدنى يرحمك الله تعالى فقال يا أخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا آمن عليك من الوحش أن يفترسك فانزل عندى على الرحب والسعة فاذا كان الغد أرشدتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتى وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان على من أطمار وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها ولى نار فأضرمها وأججها ثم دخل الى الخبا وأخرج أبزارا ناعمة وملحا طيبا وأقبل يقطع من ذلك اللحم ويشوى على النار ويطعمنى ويتنهد تارة ويبكى تارة أخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وأنشد يقول

لم يبق الا النفس خافت * ومقلة انسانها باهت
لم يبق فى أعضائه مفصل * الا وفيه سقم ثابت
فدمعه جار وأحشاؤه * توقد الا أنه ساكت
تبكى له أعداؤه رحمة * يا ويح من يرثى له الشامت

قال جميل فعند ذلك يا أمير المؤمنين علمت أن الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت فى نفسى أنا فى منزل الرجل وأتهجم عليه فى السؤال فردعت نفسى وأكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغنا من الاكل قام الشاب ودخل الخباء وأخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير وأطرافه مزركشة بالذهب الاحمر وقمقما مملوءا من الماورد الممسك قال فتعجبت من ظرفه ورقة حاشيته وقلت فى نفسى ما أغرب الظرف فى البادية ثم غسلنا أيدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الى الخباء وقطع بينى

وبينه بمقطع من الديباج الاحمر ثم خرج وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جميل فدخلت فاذا أنا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما كان على من الثياب ونمت بليلة لم أنم عمري ليلة مثلها فلم أزل كذلك وأنا متفكر في أمر هذا الشاب الى أن جن الليل ونامت العيون ولم أشعر الا بحس خفي لم أسمع ألطف منه ولا أرق حاشية فرفعت سجاف المضرب ونظرت واذا أنا بصبية لم أر أحسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان ألم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاق فقلت بالله العجب من هذا الشخص الثاني وهذا فرد بيت فاني لم أر فيه غير هذا الفتى وليس حوله أحد ثم قلت في نفسي لا شك أن هذه الجارية من بنات الجن تهوى هذا الغلام وقد تفرد بها في هذا المكان وتفردت به فحققتها فاذا هي انسية عربية اذا رمقت تخجل الشمس المضيئة وقد أضاء الخباء من نور وجهها فلما تحققت أنها محبوبته غلبتني الغيرة على الحب فأرخيت الستر وغطيت وجهي ونمت فلما أصبحت لبست ثيابي وتوضأت لصلاتي وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت له يا أخا العرب هل لك أن ترشدني الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الى وقال على رسلك يا وجه العرب الضيافة ثلاثة أيام وما كنت بالذي يدعك الا بثلاثة أيام قال جميل فأقمت عنده ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع جلسنا للحديث فحادثته وسألته عن اسمه ونسبه فقال أما نسبي فأنا من بني عذرة وأنا فلان ابن فلان وعمي فلان فاذا هو ابن عمي يا أمير المؤمنين وهو من أشرف بيت في بني عذرة قال فقلت يا ابن العم ما حملك على ما أراه منك من الانفراد في هذه البرية وكيف تركت عبيدك واماءك وانفردت بنفسك في هذا المكان فلما سمع

ياأمير المؤمنين كلامي تغرغرت عيناه بالبكاء ثم قال يا ابن العم انني كنت محبا لابنة عمي مفتونا بها هائما بحبها مجنونا عليها لا أطيق الفراق عنها فزاد عشقي لها فخطبتها من عمي وأبى أن يزوجنيها وزوجها من رجل من بني عذرة ودخل بها وأخذها الى المحلة التي هو فيها من العام الاول فلما بعدت عني وحجبت عن النظر اليها حملتني لوعات الهوى وشدة الشوق والجوى على تركي أهلي ومفارقتي عشيرتي وخلاني وجميع نعمتي وانفردت بهذا البيت في هذه البرية وألفت وحدتي فقلت وأين أبياتهم قال هم قريب في ذروة هذا الجبل وهي كل ليلة عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحي سرا بحيث لا يشعر بها أحد فأقضي منها بالحديث وطرا وتقضي هي كذلك وها أنا مقيم كذلك على هذا الحال أتسلى بها ساعة من الليل ليقضي الله أمرا كان مفعولا أو يأتيني الامر على رغم الحاسدين أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين قال جميل فلما حدثني الغلام يا أمير المؤمنين غمني أمره وصرت من ذلك في حيرة لما أصابني عليه من الغيرة فقلت له يا ابن العم هل لك أن أدلك على حيلة أشير بها عليك وفيها ان شاء الله عين الصلاح وسبيل الرشد والنجاح وبها يفرج الله عليك الذي تخشاه فقال لي قل يا ابن العم فقلت له اذا كان الليل وجاءت الجارية فاطرحها على ناقتي فانها سريعة الرواح واركب أنت جوادك وأنا أركب بعض هذه النوق وأسير بكم الليلة جميعها فما يصبح الصباح الا وقد قطعت بكم براري وقفارا وتكون قد بلغت مرادك وظفرت بمحبوبة قلبك وأرض الله واسعة فضاها وأنا والله مساعدك ما حييت بروحي ومالي وسيفي فلما سمع ذلك قال لي يا ابن العم حتى أشاورها في ذلك فانها عاقلة لبيبة بصيرة بالامور قال جميل فلما جن الليل وحان وقت مجيئها وهو منتظر الوقت المعلوم فأبطأت عن عادتها

فرأيت

فرأيت الفتى وقد خرج من باب الخباء وفتح فاه وجعل يتنسم هبوب الريح الذي يهب من نحوها وأنشد يقول

ريح الصبا تهدي الى نسيم * من بلدة فيها الحبيب مقيم
يا ريح ويك من الحبيب علاقة * أفتعلمين متى يكون قدوم

ثم دخل الخباء وقعد ساعة زمانية وهو يبكي ثم قال لي يا ابن العم ان لبنت عمي في هذه الليلة نبأ وقد حدث لها حادث وعاقها عني عائق ثم قال لي كن مكانك حتى آتيك بالخبر ثم أخذ سيفه وحجفته ثم غاب عني ساعة من الليل ثم أقبل وعلى يده شيء يحمله ثم صاح الي فأسرعت اليه فقال أتدري يا ابن العم ما الخبر فقلت لا والله فقال اني فجعت في ابنة عمي في تلك الليلة لانها كانت توجهت الينا كعادتها اذ عرض لها في طريقها أسد فافترسها ولم يبق منها الا ما ترى ثم انه طرح ما كان على يده فاذا هو مشاش الجارية وما فضل من عظامها ثم بكى بكاء شديدا ورمى الترس من يده وأخذ كساء على يده ثم قال لي لا تبرح الى أن آتيك ان شاء الله تعالى ثم سار فغاب عني ساعة ثم عاد وبيده رأس الاسد فطرحه عن يده ثم طلب ماء فأتيته به فغسل فم الاسد وجعل يقلبه ويبكي ويئن وزاد حزنه عليها وأنشد يقول

ألا أيها الليث المغر بنفسه * هلكت لقد هيجت لي بعدها شجنا
وصيرتني فردا وقد كنت الفها * وصيرت بطن الارض لي ولها وطنا
أقول لدهر خانني بفراقها * وعار عليها أن أكون لها خدنا

ثم قال يا ابن العم سألتك بالله وبحق القرابة والرحم التي بيني وبينك الا حفظت وصيتي انك ستراني الساعة ميتا بين يديك فاذا كان كذلك فغسلني وكفني أنا وهذا الفاضل من مشاش الجارية في هذا الثوب وأدفنا في قبر واحد واكتب على قبرنا هذه الابيات وانشأ يقول

كنا على ظهرها والعيش فى رغد * والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر والتصريف الفتنا * وصار يجمعنا فى بطنها الكفن

قال ثم بكى بكاء شديدا ثم دخل المضرب وغاب عنى ساعة وخرج وجعل يتنهد ويصيح ثم شهق شهقة فارق الدنيا فلما رأيت ذلك منه عظم على وكبر عندى حتى كدت أن ألحق به من شدة حزنى عليه ثم تقدمت اليه وفعلت به ما أمرنى من الغسل وكفنتهما جميعا ودفنتهما فى قبر واحد وأقمت عند قبرهما ثلاثة أيام ثم ارتحلت وأقمت سنين أتردد الى زيارتهما وهذا ما كان من حديثهما يا أمير المؤمنين قال فلما سمع الرشيد كلامه استحسنه وخلع عليه وأجازه جائزة حسنة والله أعلم

(حكاية أجنبية) قال اسحاق بن ابراهيم الموصلى بينما أنا ذات يوم فى منزلى وكان زمن الشتاء وقد انتشرت السحب وتراكمت الامطار بقطر كأفواه القرب وامتنع الغادى والمقبل من المسير فى الطرقات لما فيها من الامطار والوحل وأنا ضيق الصدر اذ لم يأتنى أحد من اخوانى ولم أقدر على المسير اليهم من شدة الوحل والطين فقلت لغلامى احضر لى ما أتشاغل به فأحضر لى طعاما وشرابا فتنغصته اذ لم يكن معى من يؤنسنى ولم أزل أتطلع من الطاقات وأراقب الطرقات وأقبل الليل فتذكرت جارية لبعض أولاد المهدى كنت أهواها وكانت عارفة بالغناء وتحريك الملاهى فقلت فى نفسى لو كانت الليلة عندنا لتم سرورى وطابت ليلتى مما أنا فيه من الفكر والقلق واذا بداق يدق الباب وهو يقول أيدخل محبوب على الباب واقف *

فقلت فى نفسى لعل غرس التمنى أثمر فقمت الى الباب فاذا بصاحبتى وعليها مرط أخضر قد اتشحت به وعلى رأسها وقاية من الديباج تقيها من المطر وقد غرقت فى الطين الى ركبتها وابتل ما عليها

من المزارب وهي في قالب عجيب فقلت لها يا سيدتي ما الذي أتى بك في مثل هذه الاوحال فقالت قاصدك جاءني ووصف ما عندك من الصبابة والشوق فلم يسعني الا الاجابة والاسراع نحوك فعجبت من ذلك وكرهت أن أقول لها أني لم أرسل اليك أحدا فقلت الحمد لله على جمع الشمل بعد ما قاسيت من ألم الصبر ولو كنت أبطأتي على ساعة كنت أحق بالسعي اليك لاني مشتاق اليك كثير الصبابة نحوك ثم قلت لغلامي هات الماء فأقبل بسخانة فيها ماء حار حتى أصلح لها حالها ثم أمرته أن يصب الماء على رجليها وتوليت غسلهما ثم دعوت بدلة من أفخر الملبوس فألبستها اياها بعد أن نزعت ما كان عليها وجلسنا ثم استدعيت بالطعام فأبت فقلت هل لك في الشراب فقالت نعم فتناولت أقداحا ثم قالت من يغني لي فقلت لها أنا يا سيدتي فقالت لا أحب فقلت بعض جواري قالت لا أريد فقلت غني لنفسك قالت ولا أنا قلت فمن يغنيك قالت اخرج التمس من يغني لي فخرجت طاعة لها الا أني آيس من أن أجد أحدا في مثل هذا الوقت فلم أزل حتى بلغت الشارع فاذا أنا بأعمى يختبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غبت لم يسمعوا لي وان سكت استخفوا بي فقلت أمغن أنت قال نعم قلت فهل لك أن تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدي فأخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتي أتيت بمغن أعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت علي به فأدخلته وعزمت عليه في الطعام فأكل أكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه الشراب فشرب ثلاثة أقداح ثم قال لي من تكن قلت اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال لقد كنت أسمع بك والآن فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدي فرحت بمن يسرك فقال غن يا اسحاق فأخذت العود على

سبيل المجون وقلت السمع والطاعة فلما أن غنيت وانقضى الصوت قال
يا اسحاق قاربت أن تكون مغنيا فصغرت على نفسى وألقيت العود
من يدى فقال ماعندك من يحسن الغناء قلت عندى جارية قال مرها
فلتغن قلت تغنى وأنت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ماصنعت
شيأ فرمت العود من يدها مغضبة وقالت الذى عندنا جدنا به فان كان
عندك شئ فتصدق به فقال على بعود لم تمسه يد فأمرت الخادم فجاء
بعود جديد فضرب فى طريق لا أعرفها واندفع يغنى هذه الابيات

سرى يقطع الظلماء والليل عاكف * حبيب بأوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها * أيدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الى الجارية شزرا وقالت سر بينى وبينك ماوسعه صدرك
ساعة وأودعته لهذا الرجل فحلفت لها واعتذرت اليها ثم أخذت
أقبل يديها وأدغدغ ثدييها وأعض خديها حتى ضحكت ثم التفت الى
الاعمى وقلت غن ياسيدى فأخذ العود وغنى هذه الابيات

ألا ربما زرت الملاح وربما * لمست بكفى البنان المخضبا
ودغدغت رمان الصدور ولم أزل * أعضعض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها ياسيدتى فمن أعلمه بما نحن فيه قالت صدقت ثم تجنبناه فقال
انى لحاقن فقلت ياغلام الشمعة وامض بين يديه فخرج وأبطأ فخرجنا
فى طلبه فلم نجده واذا الابواب مغلقة والمفاتيح فى الخزانة فلا ندرى
أفى السماء صعد أو فى الارض هبط فعلمت أنه ابليس وانه قادلى
ثم انصرف فتذكرت قول أبى نواس حيث قال

عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ماأضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

ونظير ذلك مما يستظرف لابى نواس ماحكى عنه أنه قال ضربت

من ملازمة أمير المؤمنين هارون الرشيد حتى انى لم أجد فراغا الى نفسى فتوجه أمير المؤمنين الى السرح ليبيت فيه ثم يعود فوجدت لروحى فرصة فدخلت دارى وأغلقت بابى واحضرت شرابا وطلبت نفسى الخلوة فعند المساء واذا بالباب يطرق فخرجت واذا أنا بفطبى من أولاد الاتراك مارأت عينى أحسن منه منظرا فسلم على وقال لى أتقبل ضيفا قلت ياسيدى ومن لى بذلك فدخل بيتى فصار عقلى عند دخوله ثم أخرج من تحت ثيابه سلاحية شراب ونقلا وشيأ من الدجاج ثم شرب وغنى شيألم أسمعه من غيره وقضيت مرادى منه مرارا الى أن مضى وقت من الليل وقد هام عقلى من الشراب ومن حسنه ومن تسليم نفسه الى بغير تقديم عوض ثم قال ياسيدى أريد الانصراف فقلت له ياسيدى متى خرجت أنت خرجت روحى من جسدى وكل شئ أملكه بين يديك وأنا أصير عبدك بعد هذا اليوم ولا أفارقك قال أصحيح ما تقول قلت نعم قال ما أنا محتاج الى مالك وان كنت صادقا فيما ادعيت من محبتك قم واحلق لحيتك وشاربك وتقعد مثلى أمرد قال فحكم على السكر والعشق فما قدرت أن أخالفه فأجبته الى ذلك على أنه بات عندى فعمد الى موسى وبل لحيتى وفى الحال أزلها وبقيت مثله أمرد ثم صار يضحك على وقال يا أبا نواس كيف الشعر الذى ذكرت فيه آدم وابليس فأنشدنيه فأنشدته قائلا

عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ما أضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

ثم ضحك ضحكا عاليا وصك على ساحل قفاه صكا مزعجا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك أتفعل بى هكذا ثم أردت التطلع اليه فما وجدت أحدا يجيبنى فقلت انه الملعون ابليس انتهى وقال بعضهم

قد جاءني بالليل أبو مرة * ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال هل لك في أمرد * يهز من أعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي خمرة * حبابها يحكي عقود الجمان
قلت نعم قال فنم آمنا * فأنت رئيس هذا الزمان

وقال أبو نواس

وليلة طال سهادي بها * فزارني ابليس عند الرقاد
وقال هل لك في قحبة * لبيبة تطرد عنك السهاد
قلت نعم قال وفي قهوة * عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب * اذا شدا يطرب منه الجماد
قلت نعم قال وفي شادن * قد كحلت أجفانه بالسواد
قلت نعم قال وفي طفلة * في وجنتيها للحياء انقياد
قلت نعم قال فنم آمنا * يا كعبة الفسق وركن الفساد

وقال زين الدين بن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس أتى * بحيلة منتدبه
فقال ما قولك في * حشيشة منتخبه
فقلت لا قال ولا * خمرة كرم مذهبه
فقلت لا قال ولا * مليحة مطيبه
فقلت لا قال ولا * أغيد بالبدر اشتبه
فقلت لا قال ولا * آلة لهو مطربه
فقلت لا قال فنم * ما أنت الا حطبه

وحضر أبو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان أبو طوق حاضرا وكان أبو نواس مشغوفا بحسنه وجماله فلما انقضى المجلس أخذ كل واحد مضجعا للنوم فخاف الخليفة من أبي نواس على أبي طوق فقال الخليفة

لابى طوق ثم أنت على السرير وقال لابى نواس أنام أنا وأنت أسفل
السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك غير راض فى نفسه وتغافل الخليفة
عن أبى نواس وأظهر النوم ثم انتبه فوجد أبا نواس فوق السرير بجنب
أبى طوق يضمه ويعانقه فقال ما هذا يا أبا نواس فقال هزنى الشوق
من أجل أبى طوق فتدحرجت من أسفل جئت الى فوق فقال له
قاتلك الله انتهى من حلبة الكميت ❊(ومن غريب ما يحكى)❊
ما حكاه القاضى أبو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة ان
منارة كان صاحب شرطة الرشيد قال رفع الى هارون الرشيد
أن رجلا بدمشق من بقايا بنى أمية عظيم المال كثير الجاه مطاع
فى البلد له جماعة وأولاد ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح
ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه
فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو
بالكوفة فى بعض حججه فى سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم
وقد بايع للامين والمأمون والمعتصم أولاده ندعانى وهو خال وقال انى
دعوتك لامر همنى وقد منعنى النوم فانظر كيف يكون ثم قص على خبر
الاموى وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الخيول وأزحت علتك
فى الزاد والنفقة والآلة وتضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا
كتابى الى نائب دمشق وهذه قيود فابدأ بالرجل فان سمع وأطاع
فقيده وجئنى به وان عصى فتوكل عليه أنت ومن معك لئلا يهرب
وأنفذ الكتاب الى أمير دمشق ليكون مساعدا واقبضا عليه وجئنى به
وأجلتك لذهابك ستا ولايابك ستا ويوما لمقامك وهذا محمل تجعله
فى شقة منه اذا قيدته وتقعد أنت فى الشقة الاخرى ولا تكل حفظه
الى غيرك حتى تأتينى به فى الثالث عشر يوما من خروجك فاذا دخلت

داره فتفقدها وجميع ما فيها وأهله وولده وحاشيته وغلمانه وقدر نعمته والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا بحرف من ألفاظه منذ يقع طرفك عليه حتى تأتيني به وإياك أن يشذ عليك شيأ من أمره انطلق قال منارة فودعته وانطلقت وخرجت فركبت الابل وسرت أطوى المنازل أسير الليل والنهار ولا أنزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى أن وصلت الى دمشق في أول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طروقها ليلا فبت بظاهر البلد الى أن فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى أتيت باب الرجل وعليه صف عظيم وحاشية كثيرة فلم أستأذن ودخلت بغير اذن فلما رأوا القوم ذلك سألوا بعض من معي عني قال هذا منارة رسول أمير المؤمنين الى صاحبكم قال فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رأيت فيه قوما جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي قلت أفيكم فلان قالوا الا نحن أولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وأنا أتفقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها ماجت بأهلها موجا كثيرا فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد أن طال مكثه واسترتبت منه واشتد قلقي وخوفي من أن يتوارى الى أن رأيت شخصا بزي الحمام يمشي في صحن الدار وحواليه جماعة كهول وأحداث وصبيان وهم أولاده وغلمانه فقلت انه الرجل فجاء وجلس وسلم على سلاما خفيفا وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة أمر حضرته فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بأطباق فاكهة فقال تقدم يا منارة وكل معنا فقلت مالي الى ذلك من سبيل فلم يعاودني فأكل هو ومن معه ثم غسل يديه ودعا بالطعام فجاؤا اليه بمائدة حسنة لم أر مثلها الا للخليفة فقال يا منارة وساعدنا على الاكل لا يزيد في على أن يدعوني

باسمى كما يدعونى الخليفة فامتنعت عليه فما عاودنى فأكل هو ومن معه وكانوا تسعة من أولاده فتأملت أكله فى نفسه فوجدته يأكل أكل الملوك ووجدت ذلك الاضطراب الذى كان فى داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون شيأ من بين يديه قد وضع على المائدة الا تهيأ غيره حالا أعظم وأحسن منه وقد كان غلمانه أخذوا لما نزلت الى الدار مالى وغلمانى وعدلوا بهم الى دار أخرى فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدى وليس بين يدى الا خمس أو ست غلمان وقوف على رأسى فقلت فى نفسى هذا جبار عنيد فان امتنع من الشخوص لم أطق اشخاصه بنفسى ولا بمن معى ولا حفظه الا أن يلحقنى أمير البلد وجزعت جزعا شديدا ورابنى منه استخفافه وتهاونه بأمرى يدعونى باسمى ولا يفكر فى امتناعى من الاكل ولا يسأل عما جئت به ويأكل مطمئنا وأنا مفكر فى ذلك فلما فرغ من أكله وغسل يديه دعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلاة وصلى الظهر وأكثر من الدعاء والابتهال ورأيت صلاته حسنة فلما انتقل من المحراب أقبل على وقال ما أقدمك يامنارة فأخرجت كتاب أمير المؤمنين ودفعته اليه ففضه وقرأه فلما استتم قراءته دعا أولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق كثير فلم أشك انه يريد أن يوقع بى فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيمانا غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف أن لا يجتمع اثنان فى موضع واحد وأمرهم أن ينصرفوا ويدخلوا منازلهم ولا يظهروا الى أن ينكشف لهم أمر يعتمدون عليه وقال هذا كتاب أمير المؤمنين بالمضى اليه ولست أقيم بعد نظرى فيه ساعة واحدة واستوصوا بمن ورائى من الحريم خيرا ومالى حاجة أن يصحبنى أحد هات قيودك يامنارة فدعوت بها وكانت فى سفطه ومد ساقيه فقيدته وأمرت غلمانى بحمله حتى صار فى المحمل وركبت فى الشق الآخر وسرت من وقتى ولم ألاق

أمير البلد ولا غيره وسرت بالرجل وليس معه أحد الى أن صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي أترى هذا قلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرائب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى آخر فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى فقال مثل ذلك هذا لى فاشتد غيظي منه وقلت ألست تعلم ان أمير المؤمنين أهمه أمرك حتى أرسل اليك من انتزعك من بين أهلك ومالك وولدك وأخرجك وحيدا فريدا مقيدا مغلولا ما تدري الى ما يصير اليه أمرك ولا كيف يكون وأنت فارغ القلب من هذا حتى تصف ضياعك وبساتينك بعد ان جئتك وأنت لا تعلم فيما جئت به وأنت ساكن القلب قليل الفكر لقد كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا انا لله وانا اليه راجعون أخطأت فراستي فيك لقد ظننت انك رجل كامل العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا لما عرفوك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان أما قولك في أمير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك أمير المؤمنين لنفسه نفعا ولا ضرا الا باذن الله عز وجل ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف أمير المؤمنين أمري وعرف سلامتي وصلاح ناصيتي سرحني مكرما فان الحسداء والاعداء رموني عنده بما ليس في وتقولوا على الاقاويل الكاذبة ولم يستحل دمي ويخرج من ايذائي وازعاجي ويردني مكرما ويقيمني ببلده معظما مبجلا وان كان قد سبق في علم الله عز وجل انه يبدو لي منه سوء وقد اقترب أجلي وكان سفك دمي على يده ولو اجتهدت الملائكة والانبياء وأهل الارض والسماء على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم أتعجل الفكرة فيما افرغ الله

منه وانى أحسن الظن بالله الذى خلق ورزق وأحيى وأمات وان الصبر والرضا والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت أحسب انك تعرف هذا فاذن قد عرفت مبلغ فهمك فانى لا أكلمك بكلمة واحدة حتى يفرق بيننا أمير المؤمنين ان شاء الله تعالى ثم أعرض عنى فما سمعت منه لفظة غير القرآن والتسبيح أو طلب ماء أو حاجة حتى شارفنا الكوفة فى اليوم الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتنى قبل ستة فراسخ من الكوفة يتجسسوا خبرى فحين رأونى رجعوا عنى متقدمين بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهيت الى الباب فى آخر النهار فحططت رحلى ودخلت على الرشيد وقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ماعندك يامنارة واياك أن تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث من أوله الى آخره حتى انتهيت الى ذكر الفاكهة والطعام والغسل والبخور وما حدثتنى به نفسى من امتناعه والغضب يظهر فى وجه أمير المؤمنين ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الامور من الصلاة والتفاته الى وسؤاله عن سبب قدومى ودفعى الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأهله وأصحابه وحلفه عليهم أن لا يتبعه أحد وصرفه اياهم ومد رجليه فقيدته فمازال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ماخاطبنى به عند توبيخى له لما ركبنا فى المحمل فقال صدق والله ماهذا الارجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمرى لقد أزعجناه وآذيناه ورعنا أهله فبادر بنزع قيوده وأتنى به قال فخرجت فنزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياة يجول فى وجه الرشيد فدنى الاموى وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردا جميلا وأمره بالجلوس فجلس وأقبل عليه الرشيد فسأله عن حاله ثم قال له بلغنا عنك فضل هيئة وأمور احببنا معها أن نراك ونسمع كلامك

ويحسن اليك فاذ كرحاجتك فأجاب الاموي جوابا جميلا وشكر ودعا ثم قال ليس لي عند أمير المؤمنين الاحاجة واحدة فقال مقضية فما هي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي وأهلي وولدي قال نفعل ذلك ولكن سل ما تحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لا يخرج الا ويحتاج الى شئ من هذا فقال يا أمير المؤمنين عمالك منصفون وقد استغنيت بعدلهم عن مسألتي فأموري مستقيمة وكذلك أهل بلدي بالعدل الشامل في ظل أمير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب الينا بأمران عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد يا منارة احمله من وقتك وسر به راجعا كما سيرته حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي أخذته منه فودعه وانصرف قال منارة فمازلت معه حتى انتهى الى محله ففرحت به أهله وأعطاني عطاء جزيلا وانصرفت والله أعلم وهذه الحكاية على سبيل الاختصار (حكي) أن الخليفة هارون الرشيد قلق في بعض الليالي قلقا شديدا فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي وقال له يا وزيران صدري ضيق ومرادي الليلة التفرج في شوارع بغداد وننظر في مصالح العباد بشرط أن لا يعرفنا أحد من الناس ونتزيا بزي التجار الا كياس فقال له الوزير السمع والطاعة فقاموا في الوقت والساعة قلعوا ما عليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفة والوزير جعفر ومسرور السياف الاكبر وتمشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجلة فرأوا بالامر المقدور شيخا قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا عليه وقالوا له يا شيخ نشتهي من احسانك وفضلك أن تفرجنا الليلة في مركبك وخذ هذين الدينارين أجرتك وانتفع بهما فقال لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجة والخليفة هارون الرشيد ينزل كل ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة

ومعه منادى ينادى معاشر الناس كافة جيد وردىء شيخ وصبى
خاص وعام صبى أو غلام كل من نزل فى مركب فى الليل وشق الدجلة
ضربت عنقه أو شنق على صارى مركبه وكأنكم الساعة بالحراقة وهى
مقبلة فقال له الخليفة هارون الرشيد وجعفر البرمكى يا شيخ خذ
هذين الدينارين وادخل بنا قبوا من هذه الاقبية الى أن تروح الحراقة
فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والمستعان بالله فأخذ الذهب وعوم بهم
قليلا واذا بالحراقة قد أقبلت من كبد الدجلة وفيها الشموع والمشاعل
فقال لهم الشيخ ماقلت لكم يا ستار لاتكشف الاستار فقال الخليفة
هارون الرشيد والوزير جعفر البرمكى ادخل بنا يا شيخ فى قبو
من الاقبية حتى تمضى هذه الحراقة فدخل بهم الى قبو ووضع عليهم
مئزرا أسود وصاروا يتفرجون من تحت المئزر واذا بالحراقة قد أقبلت
والشمع يوقد فيها واذا فى مقدم الحراقة مشاعلى بيده مشعل من الذهب
الاحمر يوقد فيه بالعود القاقلى وعلى المشاعلى قباء أطلس أحمر بطراز
مزركش أصفر وعلى رأسه شاش موصلى وعلى كتفيه مخلاة من الحرير
الاخضر ملآنة من العود القاقلى وهو يوقد به عوض الحطب ومشاعلى
آخر فى مؤخر الحراقة مثله ومائتى مملوك واقفين ميمنة وميسرة وكرسى
منصوب من الذهب الاحمر وعليه شاب حسن جالس كالقمر وعليه
خلعة سوداء بطرازين من الذهب الاصفر وبين يديه انسان كأنه
الوزير جعفر وعلى رأسه خادم واقف كأنه مسرور بسيف مشتهر
وعشرون نديما فقال الخليفة يا جعفر قال لبيك يا أمير المؤمنين قال
لعل أن يكون هذا أحد أولادى اما المأمون أو محمد الامين فلما وصلت
الحراقة اليهم واذا بالمشاعلى ينادى معاشر الناس كافة الخاص
والعام الجيد والردىء والعبد والغلام جهاوات وغير جهاوات

قدرسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج فى الدجلة أو فتح طاقته حل ماله وضربت رقبته ومن لا يصدق يهرب * قال فتأمل الخليفة هارون الرشيد فى الشاب وهو جالس على كرسى من الذهب قد كمل بالحسن والجمال والبهاء والكمال قدر المنصب فلما تأمله هارون الرشيد التفت الى الوزير وقال يا وزير قال له لبيك يا أمير المؤمنين قال والله ما أبقى شيأ من شكل الخلافة وهذا الذى بين يديه كأنه أنت يا جعفر لا محالة والخادم الذى على رأسه كأنه مسرور وهذا وهؤلاء الندماء كأنهم ندمائى * وقد حار عقلى فى هذا الامر فقال له الوزير وأنا والله يا أمير المؤمنين كذلك ثم تقدمت الحراقة الى أن غابت عن العين فعند ذلك خرج الشيخ بالشختور التى فيه الجماعة من تحت القبو وقال الحمد لله على السلامة الذى لم يصادفنا فقال له الخليفة يا شيخ هذا الخليفة ينزل كل ليلة فى الدجلة قال نعم يا سيدى له على هذه الحالة سنة كاملة فقال له الخليفة يا شيخ نشتهى من فضلك واحسانك أن تقف لنا ليلة غد فى هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم غرباء وقصدنا التنزه ونحن نازلون فى الفندق فقال الشيخ السمع والطاعة قال ثم ان الخليفة وجعفر ومسرور توجهوا من عند الشيخ المراكبى الى القصر وقلعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافتخار وجلس كل واحد فى مرتبته ودخلت الامراء والحجاب والنواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس قال الخليفة هارون الرشيد لوزيره يا جعفر انهض بنا للفرجة على الخليفة الثانى فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجلة وجدوا الشيخ صاحب الشختور لهم فى الانتظار * ونزلوا عنده فى المركب فلما استقروا مع الشيخ

المراكب واذا بالخليفة الثانى فى الحراقة وقد اقبلت عليهم فتأملوها
واذا فيها امائتا مملوك غير المماليك الاول والمشاعلية تنادى على عادتهم
فقال الخليفة يا وزيره هذا شئ لو سمعت به ما صدقت ولكن رأيت هذا
عيانا ثم ان الخليفة قال لصاحب الشختور يا شيخ هذه عشرة دنانير
وسر بنا فى مساواتهم فانهم فى النور ونحن فى الظلام ننظرهم ونتفرج
عليهم وهم لا ينظرونا فأخذ الشيخ العشرة دنانير وأطلق الشختور
فى مساواتهم وصار فى ظلام الحراقة ولم يزالوا سائرين فى أثرهم الى آخر
البساتين واذا بزربية بطول الحراقة التصقت عليها واذا بغلامين
واقفين ومعهما بغلة مسروجة ملجومة فطلع الخليفة الثانى وركب البغلة
وسار بين الندمان وزعقت المشاعلية والجاويشية * واشتغلت
الغاشية وطلع هارون الرشيد وجعفر ومسرور الى البر وشقوا بين
المماليك وساروا قدامهم فلاحت من المشاعلية التفاتة فرأوا ثلاثة انفار
لبسهم لبس التجار وهم غرباء فانكروهم وغمزوا عليهم فمسكوهم
وأحضروهم بين يدى الخليفة الثانى فلما نظرهم قال كيف وصلتم الى
هذا المكان وما الذى جاء بكم فى مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم
كان قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشى الليلة واذا بكم قد
أقبلتم وجاؤا هؤلاء وقبضوا علينا وأوقفونا بين ايديكم وهذا خبرنا فقال
لهم الخليفة الثانى طيبوا قلوبكم فلا بأس عليكم لانكم قوم غرباء
ولو كنتم من بغداد لضربت أعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره وقال
خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا ضيوفنا الليلة فقال سمعا وطاعة ثم ساروا
الى أن وصلوا الى قصر عظيم الشان محكم البنيان ما حواه سلطان قصر
قام من التراب وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع
بالذهب الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقية وشاذروان وحصر

عبدانى ومخدات اسكندرانى وستر مسبول وفرش تذهل العقول
وعلى عتبة الباب مكتوب هذه الابيات

قصر عليه تحية وسلام * نشرت عليه جمالها الايام
فيه العجائب والغرائب نوعت * فتحيرت فى نعتها الاقلام

قال فدخل الخليفة الثانى الى القصر والجماعة فى خدمته الى أن جلس
على كرسى من الذهب مرصع بالدر والجوهر وعلى الكرسى بشخانة من
الحرير الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر مزركشة بالذهب
الاحمر معلقة فى بكرة من الصندل * ريحاتها من الحرير الاصفر هذا وقد
جلس الندماء فى مراتبهم وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه فمدوا
السماط وأكلوا ورفعوا الخوان ولايديهم غسلوا وأحضرت آلة المدام
ووضعت الطاسات والاوانى وصففت الاباريق والكاسات والقنانى
ودار الدور الى أن وصل الى الخليفة هارون الرشيد فامتنع من الشراب
فقال الخليفة الثانى لجعفر مابال صاحبك لا يشرب فقال يامولاى
له مدة ماشرب فقال الشاب عندى مشروب غير هذا يصلح لصاحبك
على بشراب التفاح ففى الحال أحضر فقدم بين يدى هارون الرشيد
وقال كلما يصل اليك الدور فاشرب من هذا ولا زالوا يشربون فى انشراح
وتعاطى أقداح الى أن تمكن الشراب من رؤسهم واستولى على عقولهم
ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره والله ياوزير ماعندنا آنية مثل هذه
الانية * فياليت شعرى من يكون هذا الشاب فبينماهما يتحدثان
بلطافة اذلاحت من الشاب التفاتة فوجد الوزير يتوشوش مع الخليفة
فقال الوشوشة عربدة فقال الوزير ماثم عربدة الا أن رفيقى هذا يقول
سافرت غالب البلاد ونادمت الملوك وعاشرت الاجناد مارأيت
أحسن من هذا النظام ولا مثل آنية هذا المدام الا ان أهل بغداد

يقولون

يقولون الشراب بلا سماع من جملة المجون فلما سمع الخليفة الثاني هذا الكلام تبسم وانشرح وكان بيده قضيب فضرب به على مدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم يحمل كرسيا من العاج * مصفحا بالذهب الوهاج * وخلفه جارية قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال * فنصب الخادم الكرسي وجلست عليه الجارية وهي كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة الهنود فسازته وحنت اليه وغنت بعد أن ضربت أربعة وعشرين طريقة عليه فأذهلت العقول وعادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

لسان الهوى من مقلتي لك ناطق * يخبر عني انني لك عاشق
ولي شاهد من طرف قلبي معذب * وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم أكتم الحب الذي قد أذابني * وقلبي قريح والدموع سوابق
وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى
ولكن قضى الرحمن في الخلق سابق

قال ولما سمع الخليفة الثاني هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة عظيمة وشق البدلة التي كانت عليه الى الذيل فأسبلت عليه البشخانة وأتى ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسيا من الذهب وخلفه جارية أحسن من الاولى وجلست على الكرسي وبيدها عود يكمد الحسود وأنشدت تقول

كيف اصطباري ونار الشوق في كبدي * والدمع من مقلتي طوفانه مدد
والله ما طاب لي عيش أسر به * وكيف يفرح قلب حشوه كمد

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت عليه البشخانة على العادة وأتوا ببدلة غيرها أحسن منها فلبسها واستوى

جالسا ودار المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب القضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود يذهل الاسود فغنت وأنشدت تقول

أقصروا هجركم وقلوا جفاكم * ففؤادي وحقكم ماسلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا * ذا غرام متيما في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد * يتمنى من الاله رضاكم
يابدور محلكم في فؤادي * كيف أختار في الانام سواكم

قال فصرخ الشاب وشق ماعليه من الثياب فارخوا عليه الشقانة واتوه ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه ودارت الاقداح وطاب الانشراح فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب وخرج منه خادم حامل كرسيا وخلفه جارية فجلست على الكرسي وأخذت العود وغنت تقول

ترى ينصرم حال التهاجر والقلا * و يرجع ماقد انقضى لي أولا
أيام كنا والديار تلمنا * في طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا * من بعدها تيك المنازل والحلا
أتروم مني ياعذولي سلوة * وأرى لقلبي مايطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي * اقلب من أنس المحبة ماخلا
ياسادتي نقضوا العهود وبدلوا * لاتحسبوا قلبي ابعدكم سلا

قال فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ماعليه من الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى والحيل فأرادوا أن يرخوا عليه الشقانة على العادة فتعوقت حبالها بالارادة فلاحت من هارون الرشيد التفاتة متسارع فنظر على أجناب الثياب أثر مقارع

فقال الرشيد بعد النظر والتأكيد لجعفر والله انه شاب مليح الا انه لص قبيح وما عند أحد منه خبر هل رأيت ما على جنبيه من الاثر وقد اسبلت البشخانة على العادة وأتى ببدلة غيرها فلبسها وقد أفاق من غشوته فاستوى جالسا على العادة مع الندمان فحان منه التفاتة فوجد جعفر والخليفة يتحدثان فقال لهما ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولاى خير لا شك ولا خفا ان رفيقى هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذى حصل من مولانا الخليفة فى هذه الليلة اسراف عظيم لم أر أحدا فعل هذا الفعل فى هذه الاقاليم لانه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شئ زائد فى العيار فقال الشاب يا هذا المال مالى والقماش قماشى وهذا من بعض انعامى على الخدم والحواشى فان كل بدلة شققتها هى لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم أن العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير جعفر يقول

بنت المكارم وسط كفك منزلا * فجميع مالك للانام مباح
واذا المكارم أغلقت أبوابها * يوما فانت لقفلها مفتاح

قال فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم له بالف دينار وبدلة ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم شرب الراح فقال الرشيد يا جعفر اسأله عن الضرب الذى رأيناه على جنبيه حتى ننظر ما يقول فى جوابه فقال الوزير يا مولاى لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر أجمل وقال وحيات رأسى وتربة العباس ما لم تسأله أخذت منك الانفاس فعند ذلك التفت الشاب الى الوزير وقال له ما لك مع رفيقك وما الخبر فقال خيرا يا مولانا فقال سألتك بالله الا ما أخبرتنى بخبره ولا تكتم عنى شيأ من أمره فقال يا مولانا انه أبصر على جنبك أثر سياط فتعجب من

ذلك غاية العجب * وقال يالله العجب الخليفة يضرب وقصده يعلم ما السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم فنعم اعلموا أن حديثي عجيب وأمري غريب لو كتب بالابر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تأوه وأن واشتكى وبكى وأنشد يقول

حديثي عجيب حاز كل العجائب * وحق الهوى قد عرف بالمواهب
فان شئتمو أن تسمعوا لي فأنصتوا * ويسكت هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي ففيه اشارة * وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة * وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلا وخد مورد * ويقتلني منها قسي الحواجب
وقد حس قلبي أن فيكم امامنا * خليفة هذا الوقت ابن الاطايب
وثانيكمو يدعى الوزير بجعفر * حقيقة يدعى صاحبا وابن صاحب
وثالثكمو مسرور سياف نقمة * فان كان هذا القول حقا بصائب
فقد نلت ما أرجو على كل حالة * وجاء سرور القلب من كل جانب

قال فعند ذلك حلف له جعفر أنهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب وقال الذي أعرفكم به اني ما أنا أمير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا الاسم لابلغ ما أريد من أبناء المدينة واسمي علي بن محمد الجوهري وان أبي كان من الاعيان ومات وخلف لي أموالا لا تأكلها النيران من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان وياقوت وجوهر وزمرد وبهرمان وحمامات وغيطان وبساتين وفنادق وطواحين وعبيد وجواري وغلمان فلما كان في بعض الايام وأنا جالس في حانوتي وحولي الحشم والخدم واذا أنا بجارية قد أقبلت على بغلة وفي خدمتها ثلاث جوار كأنهن الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت أنت علي بن محمد الجوهري فقلت لها مملوكك وعبدك فقالت هل عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها

ياستى الذى عندى يعرض عليك ويحضر بين يديك فان أعجبك شئ كان بسعد المملوك وان لم يعجبك شئ منه فبسوء حظى وكان عندى مائة عقد جوهر فأعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شئ منهم وقالت أريد أحسن مما رأيت وكان عندى عقد صغير شراؤه على والدى بمائة ألف دينار لم يوجد مثله عند أحد من السلاطين الكبار فقلت ياسيدتى بقى عندى عقد الفصوص والجواهر الذى لم يملكه أحد من الاصاغر والاكابر فقالت أرنى اياه فلما رأته قالت هذا الذى طول عمرى أتمناه ثم قالت بكم ثمنه فى الاسعار فقلت شراؤه على والدى بمائة ألف دينار فقالت ولك خمسة آلاف فائدة فقلت لها ياسيدتى العقد وصاحبه فى الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لابد من الفائدة ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجله وركبت بسرعة البغله وقالت ياسيدى نور الدين بسم الله تكن صحبتنا لتأخذ الثمن فان نهارك اليوم بنا مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت معهن فى أمان الى أن وصلنا الدار فوجدتها دارا عليها السعادة لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد العجيب هذه الابيات

ألا يادار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار أنت لكل ضيف * اذا ماضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت الدار وأمرت بجلوسى الى أن يأتى الصيرفى فجلست على باب الدار ساعة لطيفة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى ادخل الى الدهليز فان جلوسك على الباب قبيح فقمت الى الدهليز وجلست على الدكة ساعة واذا بجارية خرجت الى وقالت ياسيدى تقول لك سيدتى أدخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت البيت وجلست حيث أمرتنى واذا بكرسى

من الذهب وعليه ستارة من الحرير الاحمر واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك الجارية التي اشترت مني العقد وقد أسفرت عن وجه كأنه دائرة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار ذهني ولبي من رؤية تلك الجارية وحسنها فلما رأتني قامت من على الكرسي وسعت الى نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليحا يرني لمحبوبه فقلت يا سيدتي الحسن كله فيك وهو من بعض معانيك فقالت يا علي اعلم أني أحببك وما صدقت بك الا لما صرت عندي ثم انها طوقت علي وعانقتني فقبلتها وقبلتني ثم جذبتني وعلى صدرها رمتني فلما علمت مني اني أريد أن أهم بها قالت يا علي أتريد أن تجتمع بي في الحرام والله لا كان من يفعل الآثام ويرضى بقبيح الكلام فاني بكر عذراء ما دنى مني أحد ولست مجهولة في البلد أتعلم من أنا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت أنا الست دنيا بنت يحيى بن خالد البرمكي وأخي جعفر فلما سمعت ذلك منها جمعت خاطري عنها وقلت يا سيدتي مالي ذنب في التهجم عليك أنت التي أطمعتيني في احسانك والوصول الى جنابك فقالت لا بأس عليك ولا بد من الاحسان اليك فان أمري بيدي والقاضي ولي عقدي والقصد ان أكون لك وتكون لي ثم انها دعت بالقاضي والشهود وأبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم هذا نور الدين علي بن محمد الجوهري قد طلب زواجي ودفع لي هذا العقد مهري وأنا قد قبلت ورضيت ثم ان القاضي حمد الله تعالى وأثنى عليه وكتب الكتاب فدخلت عليها بعد ان أعطت القضاة شيأ ماله حساب وأحضرت المدام ودارت الاقداح بأحسن نظام فلما شعشعت الخمرة في رءوسنا أمرت جارية عودية أن تغني فأنشدت تقول

قلبي وآمالي بباب رجاكم * لا أبتغي في الكون غير رضاكم

ياجيرة جاروا على بعدهم * حنوا علينا وارحموا مضنا كم
حاشا كمو ياسادتي حاشا كمو * صبا معنى مغرما بهواكم
بالله جودوا وارحموا المتيم * لايستمع فيكم حديث سواكم
موسى اشتياقي فوق طور رضاكم * فاذا شهاه حسنكم ناجاكم

قال فأطربتنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجواري يغنين جارية بعد جارية وينشدن الاشعار الى أن غنت عشر جوار فعند ذلك أخذت العود الست دنيا وأنشدت تقول

أقسم بلين قوامك المياس * انى لنار الهجر منك أقاسى
فارحم لصب فى هواك متيم * يا بدر تم أنت سيد الناس
أنعم بوصلك كم أبات لويلة * أجلو جمالك فى ضياء الكاس
مابين ورد جمعت ألوانه * مع نرجس أيضا وحسن الآس

قال الشاب ثم انى أخذت منها العود وضربت عليه وغنيت هذه الابيات

سبحان ربى جميع الحسن أعطاك * حتى بقيت أنا من بعض أسراك
يا من لها ناظر تسبي الانام به * خذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا * والورد جورى نبت فى وسط خداك
أنت الغرام لقلبي والنعيم له * فما أمرك فى قلبى وأحلاك

قال فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوارى وقمنا الى أحسن مكان قد فرش لنا فيه من سائر الالوان ونزعت ما عليها من الثياب وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها ابنة ابكرا بختم ربها ففرحت بى وفرحت بها فرحا لم أجد فى عمرى ليلة أطيب منها وفيها أنشدت أقول

ياليل دم لى لا أريد صباحا * يكفى بوجه معانقى مصباحا

طوقته طوق الحمام بساعدى * وجعلت كفى للنام مباحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا * متعانقين فلا نريد براحا

فأقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وأنت اقعد على هذا السرير الى أن أرجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتنى أن لا أنتقل من موضعى فأخذت جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخوانى ما لحقت تخرج من رأس الزقاق الا والباب قد فتح ودخلت منه عجوز وأى عجوز وقالت يا نور الدين الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غناك فقلت والله على يمين انى ما أقوم من مقامى حتى تأتى الست دنيا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة تصير عدوتك فقم كلمها وارجع فقمت من وقتى اليها والعجوز أمامى الى أن أوصلتنى الى الست زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين أنت معشوق الست دنيا فقلت مملوكك وعبد رقك فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال فانك فوق الوصف والمقال ولكن غن لى شيأ حتى أسمعك فقلت السمع والطاعة فأتتنى بعود فغنيت عليه وأنشدت أقول

قلب المحب مع الاحباب متعوب * وجسمه بيد الاسقام منهوب
ما فى الركائب من ذمت حمولهم * الا وان له فى الظعن محبوب
استودع الله لى فى حيكم قمرا * يهواه قلبى وعن عينى محجوب
يرضى ويغضب ما أحلى تدلله * وكل ما يفعل المحبوب محبوب

فقالت لى حفظ الله بدنك وطاب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل أن تجىء اليه الست دنيا فلم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت والعجوز أمامى الى أن أوصلتنى

الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير لاجلس فوجدتها جاءت من الحمام ونامت على السرير فقعدت عند رجليها وصرت أكبسها ففتحت عينيها فرأتنى فجمعت رجليها ورفستنى رمتنى من على السرير وقالت يا نور الدين خنت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيدة والله لولا خوفى من الفضيحة والهتيكة لاخربت قصرها على رأسها ثم قالت لعبدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فتقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى وأراد أن يضرب رقبتى فقامت اليها الجوارى الكبار والصغار وقلن لها يا ستناه ما هو بأول من أخطأ وما عرف خلقك وأنت ما تبغضيه وما فعل ذنبا يوجب أن تقتليه فقالت والله لابد ما أؤثر فيه أثرا ثم انها أمرت بضربى فضربنى على أضلاعى الضرب الذى رأيتموه وأمرت باخراجى فأخرجونى وأبعدونى عن القصر ورمونى ورجعوا وتركونى فلممت نفسى فمشيت قليلا قليلا الى أن وصلت الى منزلى وأحضرت جراحا وأريته الضرب فلاطفنى وسعى فى مصالحى فلما صح جسمى دخلت الحمام وزالت عنى الاوجاع والاسقام جئت الى الدكان وأخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما جمعهم أحد من الملوك يركب معى فى كل يوم مائتان وعملت هذه المركب الحراقة بألف ومائتين من الذهب العين وسميت نفسى بالخليفة ورتبت من معى من الخدام كل واحد فى وظيفة وناديت كل من تفرج فى الدجلة ضربت عنقه بلا مهلة ولى على هذه الحالة سنة كاملة ولم أسمع لها بخبر ولا وقفت لها على أثر ثم انه بكى وأن واشتكى وأنشد يقول

والله ما كنت طول الدهر ناسيها * ولا دنوت الى من ليس يدنيها

كأنها البدر فى تكوين خلقتها * سبحان خالقها سبحان باريها
صدت ولا ذنب لى الا محبتها * فكيف حال الذى قد بات ناعيها
وصيرتنى حزينا ساهيا دنفا * والقلب قد حار منى فى معانيها

قال فلما سمع هارون الرشيد كلام الشاب وما أبداه من الخطاب تعجب غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سبب ثم انهم طلبوا من الشاب الانصراف وأضمر الرشيد للشاب الانصاف وأن يتحفه غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين والى قصر الخلافة طالبين ولما استقر بهم فى منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس ولبسوا أثواب الموكب والملك والزينة وكذلك مسرور سياف النقمة والعطاب فقال الخليفة لجعفر المهاب يا وزير على بالشاب فخرج اليه فى الحشم والخدم وسار الى منزل الشاب فخرج اليه وسلم عليه فقال له الوزير جعفر أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة لامير المؤمنين وحامى حوزة الدين فسار معه الى القصر وهو من الترسيم عليه فى حصر فلما دخل الى الخليفة ورفع الوزير الستر عن السدة الشريفة فلما رأى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز وأثنى عليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله بما أعطاك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعداك وأنشد يقول

لا زال بابك كعبة مقصودة * وترابها فوق الجباه رسوم
حتى ينادى فى البلاد بأسرها * هذا المقام وأنت ابراهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة فى وجهه ورد عليه السلام وأظهر له الاحسان والاكرام وقربه اليه وأجلسه بين يديه وقال له يا نور الدين أريد أن تحدثنى بحديثك الليلة يا مسكين فانه من أعجب الامور فقال الشاب

العفو يا أمير المؤمنين اعطني منديل الامان ليهدى روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفة لك الامان فشرع الشاب يتحدث بالذي جرى له من أوله الخ فعلم الخليفة من غير اطالة ان الصبي عاشق لامحالة فقال الخليفة أتحب أن أرده اليك يا مسكين قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشأ يقول

ان رمت احسانا فهذا وقته * أو رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك الست دنيا بنت الوزير يحيى فقال له السمع والطاعة فأحضرها في الوقت فلما مثلت بين يديه قال لها أتعرفي هذا فقالت من أين للنساء معرفة الرجال فتبسم وقال يا دنيا قد عرفنا الحال وسمعنا الحكاية من أولها الى آخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وأنا استغفر الله مما جرى مني وأسأل من ويتك [illegible] الفضل العفو عني فضحك الخليفة وأحضر له القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد السعود وأكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد تكريمه وعاش بقية عمره في أتم عيش ونعمة يجالس الخليفة في الليل والنهار وتزوج انسه الست دنيا ذات الخمار وهذا ما انتهى الينا من الملخص والله أعلم (ويحكى) أن جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر بلغني أنك اشتريت الجارية الفلانية ولي مدة أتطلبها فانها بديعة الجمال ولي شوق زائد اليها فبعنيها قال ليس على فيها بيع قال هبنيها قال ولا أهبها فقال الرشيد زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها أو تهبنيها وقال جعفر زوجتي طالق مني ثلاثا ان بعتها أو وهبتها ثم أفاقا من نشوتهما وعلما أنهما وقعا في أمر عظيم وعجزا في تدبير الحيلة فقال الرشيد هذه واقعة ليس لها غير أبي يوسف فاطلبوه وكان قد انتصف الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبت في هذا الوقت

الا لامر حدث فى الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال لغلامه اصحب معك المخلات فامل فيها بعض شعير فاذا دخلنا دار الخلافة ودخلت فضع بين يدى الدابة شيأ منه تشتغل به الى حين خروجى فانها لم تستوف عليقها فى هذه الليلة وقال سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له وأجلسه على سريره بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك فى هذا الوقت الا لامر مهم وهو كذا وكذا وقد عجزنا فى تدبير الحيلة فقال يا أمير المؤمنين هذا من أسهل ما يكون يا ماء فريع أمير المؤمنين نصفها وهبه نصفها وتبرءا من يمينكما فسر بذلك أمير المؤمنين وفعلا فقال الرشيد احضروا الجارية فى هذا الوقت فانى شديد الشوق اليها فأحضرت فقال للقاضى أبى يوسف أريد وطئها فى هذا الوقت ولا أطيق الصبر الى مضى مدة الاستبراء أوسع لى الحيلة فى ذلك فقال أبو يوسف أئتونى بمملوك من مماليك أمير المؤمنين الذين لم يجر عليهم العتق وأحضر مملوك فقال أبو يوسف يا أمير المؤمنين ائذن لى أن أزوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول فيحل وطئها فى الحال من غير استبرا فأعجب الرشيد ذلك اكثر من الاول فقال أذنت لك فاوجب القاضى النكاح ثم قبله المملوك فقال له القاضى طلقها فقال له هذه صارت لى زوجة وأنا لا أطلقها فردد عليه القول فأبى وضاق صدر الخليفة لذلك وقال قد اشتد الامر أعظم مما كان فقال القاضى أبو يوسف يا أمير المؤمنين ارغبه بالمال فقال طلقها ولك مائة دينار قال لا أفعل قال مائتا دينار قال لا أفعل الى أن عرضوا عليه ألف دينار وهو يمتنع وقال للقاضى الطلاق بيدى أم بيد أمير المؤمنين أم بيدك قال بل بيدك أنت قال والله لا أفعل أبدا فاشتد غضب أمير المؤمنين فقال القاضى يا أمير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين ملك هذا العبد

للجارية فقال ملكته لها وقال له القاضي قولي قبلت فقالت الجارية قبلت فقال القاضي حكمت بالتفريق بينهما لانه دخل في ملكها وانفسد النكاح فقام أمير المؤمنين على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا في زماني واستدعى باطباق الذهب فافرغت بين يديه وقال للقاضي هل معك شيء توعيه وتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له ذهبا فأخذها وانصرف فلما أصبح قال لخلانه أنظروا الى من نعلم العلم فليتعلمه كذا فانى أعطيت هذا المال العظيم فى مسألتين أوثلاث فانظر أيها المتأدب الى لطف هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال الوزير على قلب أمير المؤمنين وحلم الخليفة وزيادة علم القاضي فرحم الله أرواحهم اجمعين * ولكن مسألة الاستبراء لم تتخرج الا على مذهب أبي حنيفة تخرجها أبو يوسف على قواعد مذهبه لانه حنفي المذهب والله أعلم انتهى من حلبة الكميت * ومن كلام ابراهيم الموصلي رحمه الله تعالى

هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى * وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فيا هجر ليلى قد بلغت بي المدى * وزدت على مالم يكن يبلغه الهجر
ويا حبها زدني جوى كل ليلة * ويا سلوة الايام موعدك الحشر
واني لتعروني لذكراك هزة * كما انتفض العصفور بلله القطر

(ومن الحكايات اللطيفة) ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل عليهم رأى فيهم شابا حسن الهيئة نظيف الصورة يرى عليه آثار اللطف وتلوح عليه شمائل الفطنة فدنى منه وسأله مسائل فأجابه عن جميعها بأحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم ان المجنون قال للملك قد سألتني عن أشياء فأجبتك واني سائلك سؤالا واحدا قال وماهو قال متى يجد النائم لذة النوم ففكر

الملك ساعة ثم قال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون حالة النوم ليس له احساس فقال الملك قبل الدخول فى النوم فقال المجنون كيف توجد لذته قبل وجوده فقال الملك بعد النوم فقال المجنون كيف توجد لذته وقد انقضى فتحير الملك و زاد اعجابه وقال لعمرى ان هذا لا يحصل من عقلاء كثيرة فأولى أن يكون نديمى فى مثل هذا اليوم وأمر أن ينصب له تخت بإزاء شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب ثم ناول المجنون فقال أيها الملك أنت شربت هذا لتصير مثلى فأنا أشربه لا أصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمى القدح من يده وتاب من ساعته والله أعلم * وهذه الحكاية لها بقية اعرضنا عنها وهذه على سبيل الاختصار أيضا حكى والله أعلم بغيبه وأحكم ان الرشيد أرق ذات ليلة أرقا شديدا فاستدعى جعفرا وقال أريد منك أن تزيل ما بقلبى من الضجر فقال الوزير يا أمير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر وقد خلق الله أشياء كثيرة تزيل الهم عن المهموم والغم عن المغموم وأنت قادر عليها فقال الرشيد وما هى يا جعفر فقال له قم بنا الان حتى نطلع الى فوق سطح هذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها والقمر وحسن طلعته لانه وجه من تحب كما قيل

كأنما حسن السماء وزرقتها * قد رقمت فيها أفانين الصور
كأنما البدر حين لاح لنا * فى بعض ليل من غلاف قد ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسى الى شئ من ذلك فقال يا أمير المؤمنين افتح شباك القصر الذى يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك الاشجار * واسمع صوت تغريد الاطيار * وانظر الى هدير الانهار وشم روائح تلك الازهار واسمع حس الناعورة التى كأنها أنين محب

فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة حنت وغنت وقد غدت * تعبر عن حال المشوق وتعرب
ترقص عطف البان تيها لانها * تغني له طول الزمان ويشرب

واما ان تنام يا أمير المؤمنين الى أن يدركنا الصباح فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا أمير المؤمنين افتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى نتفرج على تلك المراكب والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي وهذا يقول دوبيت وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك قال جعفر قم يا أمير المؤمنين حتى ننزل الى الاصطبل الخاص وننظر الى الخيل العربيات ونتفرج على حسن ألوانها ما بين أدهم كالليل اذا أظلم وأشقر وأشهب وكميت وأحمر وأبيض وأخضر وأبلق وأصفر وألوان تحير العقول فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين عندك في قصرك ثلثمائة جارية ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة الى مغنية الى راقصة الى سنطيرية أحضر الجميع وأحضر العقار المروق فلعل أن يزول ما بقلبك من الضجر فقال ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين ما بقي من الامر الا ضرب عنق مملوكك جعفر فاني قد عجزت عن ازالة هم مولانا فقال يا جعفر أما سمعت قول ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من فم مولانا أحلى فقال الرشيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح أمتي في ثلاث أن يرى بعينه شيأ لا رآه أو يسمع شيأ لا سمعه أو يطأ مكانا لا وطئه ويتفق يا جعفر أن يكون في بغداد مكان لا وطئناه أو شيء لا سمعناه أو موضع لا رأيناه فقال جعفر أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أطلع الى مجلس النوبة وأنظر أحدا من المسافرين أحضره بين يدي أمير

المؤمنين لعله أن يحدثك بحديث ماسمعته فقال الرشيد قم وافعل فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة بالشيخ أبي الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فلما رأى أمير المؤمنين سلم فأحسن وترجم فأبلغ ثم قال يا أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين * وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أطال الله بقاءك وجعل الجنة مأواك والنار مثوى لاعدائك لاخمدت لك نار ولا أغيظ لك جار ثم أنشد يقول

دام لك العز والبقاء * ما اختلف الصبح والمساء
ودمت مادامت الليالي * بمدة مالها انقضاء
الناس ناس بكل أرض * وأنت من فوقهم سماء

قال فرد على الشيخ السلام وقال له اجلس يا أبا الحسن وحدثنا بحديث مليح عجيب لم نسمعه قط فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أحدثك بشيء سمعته باذني أو بشيء رأيته بعيني قال الرشيد يا شيخ أبو الحسن الذي تراه العين أحسن من الذي تسمعه الاذن فقال الشيخ يا أمير المؤمنين أفرغ لي عن ثلاثة أشياء منك فقال ماهم الثلاثة قال ذهنك وسمعك وقلبك فقال الرشيد هات يا أبا الحسن * فقال يا أمير المؤمنين لي عادة أني أسافر في كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزيني وأقعد عنده أحدثه الاسمار وأورد له الاخبار وأنشد له الاشعار * ولي عليه رسم ألف دينار آخذها وأعود الى بغداد فاتفق لي في سنة من السنين أني سافرت الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير محمد بن سليمان وجلست عنده اليوم الاول والثاني والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله وأوصى أرباب دولته بخدمتي واكرامي الى أن يعود وأوصى الطباخ الذي له أن لا يطعمني الا شيأ نشتهيه نفسي فاشتهيت

السمك فقلت للطباخ عمل لي من السمك عدة ألوان فأكلت وطاب لي الاكل حتى ثقل على فؤادى فقلت ما يصرف عنى هذا الا المشى ولي عدة أسفار الى البصرة ما أعرف فيها مكانا وأريد اليوم أجعلها حاجة وفرجة ثم انى نزلت أمشى فى شوارع البصرة فعطشت عطشا شديدا وناهيك بعطش السمك فقلت فى نفسى ان تناولت شربة من السقاء لا تطيب نفسى لانه يشرب منها أصحاب الامراض وكبرت نفسى على ان احملها الى شاطئ الدجلة وقلت ما لى الا أن أقصد بعض دور المحتشمين وأطلب منها شربة من الماء فأتيت الى درب وفى ذلك الدرب خمسة دور دارات مقابلا دارين ودار صدرانية قد قامت من التراب وتعلقت بأذيال السحاب ولها باب مقنطر مزخرف بمصاطب طولانية مفروش عليها حصر عبدانية والباب ساج مصفح بصفائح الذهب الوهاج ومسامير الفضة وستر من الحرير الاصفر المدنر مكتوب عليه هذه الابيات

ألا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يغدر بصاحبك الزمان

فنعم الدار أنت لكل ضيف * اذا ما ضاق بالضيف المكان

قال فقلت فى نفسى من هذه الدار أشرب الماء فأتيت الى الباب فسمعت صوتا ضعيفا من فؤاد نحيف وقائلا يقول

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضا بى وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا فى ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طيب ان كان قائل هذا الصوت شخص صورته على قدر صوته واحتشمت ثم انى قويت قلبى ورفعت الستر ودخلت

الدهليز الى ان انتهيت الى آخره ومديت طرفي واذا بدار قد أقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورأيت في صدر المكان ايوانا وبركة وشاذروانا وفي ذلك الايوان تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند مزركش وعليه جارية نائمة خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة اللاصقة أشهر من علم تربية العجم على اكتاف الخدم بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان أقبلت فتنت وان ولت قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت * في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى بها الشحم حتى دار أعكنها * طي القباطي فلا سمن ولا غور
كأنها أفرغت من ماء لؤلؤة * في كل جارحة من حسنها قمر

الا أن الجارية يا أمير المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام ونزلت بها اجمع الاسقام وعند رأسها طبيب وهو يجس يدها ويقول يا ست بدور الضارب ضارب والساكن ساكن ولا برد لا حمى ولا شئ تشتكينه أكثر من سهر الليل وجريان الدمع لتكون لست في قلبها هوى من أحد فلما سمعت كلام الطبيب أنشدت تقول

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت * مدامعي بالذى أخفى من الالم
فان أبح أفتضح من غير منفعة * وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله أشكو ما أكابده * من طول وجد ودمع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا ثم التفتت الى وقالت من أين يا شيخ فقلت لها من بغداد حماني العطش الى أن أتيت الى هنا فقالت لعل أن يكون على يدك فرجي فأنا أكتب لك ورقة فتسأل عن بيت الامير عمرو وتعطيه اياه فان رديت على الجواب

فأنا أعطي لك خمسمائة دينار ثم استدعت بدواة وورق وكتبت وهي تقول أما بعد يعجز لساني ويكل جناني عن بث الاشواق ولكن أسأل الكريم الخلاق أن يمن علينا بالتلاق بالسعد الرائق والامر الموافق وأنا القائلة حيث أقول

سروري من الدنيا لقاكم وقربكم * وحبكم فرض ومامنكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ماذكرتكم * جرى فوق خدي لا يطاق له رد
اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت * وجدت لمسراها على كبدي برد
فوالله ما أحببت ما عشت غيركم * ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما أمر فراقكم * فلا كان هذا منكم آخر عهد

أما بعد فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى عاذل ولا تصغي الى قائل قد غلبتها أيدي الفراق ولو شرحت بعض ما عندها للفسيح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن أسأل الكريم الخلاق رافع السبع الطباق أن يمن علينا بالتلاق وأنشدت تقول

أحبة قلبي وان جرتمو * على فكل المنا أنتمو
رحلتم وفي القلب خلفتمو * لهيبا فهلا ترفقتمو
واو دعتمو يوم ودعتمو * باحشائي نارا وأضرمتمو
وما كنتمو تعرفون الجفا * على شؤم بختي تعلمتمو

فألف ألف لا أوحش الله منكم والسلام مني عليكم عدد شوقي اليكم ماحن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم الله من قرأ كتابي وتعطف برد جوابي وأنشدت تقول

أحبابنا مارقا دمعي لفرقتكم * يوم الفراق ولا كنت عراديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد * ولا فؤاد ولا صبر أرجيه
فلم أمني فؤادي بالهوى كذبا * ولست أول من بانت غوانيه

قال ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد أن نثرت فيه فتات المسك والعنبر وناولتني اياه فأخذته وأتيت الى دار الامير عمرو فوجدته في الصيد والقنص فجلست على بابه ساعة أنتظره واذا به قد أقبل وهو راكب على حصان أشقر عال من الخيل الضمر يساوي ملك كسرى وقيصر من أولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب لحق وان طلب لم يلحق والامير في ظهره كأنه انقلب فيه قلبا والمماليك قد أحدقوا به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل وله عذار أخضر فوق خد أحمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما قال فيه ابن معشر

قمر تكامل في نهاية حسنه * قد القضيب على رشاقة قده
فالبدر يلمع من ضياء جبينه * والشمس تغرب في شقائق خده
ملك الجمال بأسره فكأنما * حسن البرية كلها من عنده

قال أبو الحسن فما أمهلته دون أن قبلت ركابه فلما نظر الى ترجل واعتنقني وأخذ بيدي وأدخلني الدار وأنشد يقول

ما أظن الزمان يأتي بهذا * غير أني رأيته في منامي

قال فلما جلس على حافة البركة أقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين أيدينا واذا عليها من ألوان الطعام مادرج وتطاير في الاسحار وتناكح في الاوكار من قطا وسمان وأفراخ حمام وبط مسمن ودجاج محمر وخراف رضع ومعلكات السكر فقال لي بسم الله ياشيخ أبا الحسن فقلت لا والله يامولاي ما أكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي فقال يا أبا الحسن كان هذا من الاول أين الكتاب الذي للست بدور فقلت ياسيدي وما هي الست بدور فقال التي جئت اعندها تطلب شربة من الماء منها ووجدت عندها الطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقلت يامولاي أكنت

حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاى شئ كتب الكتاب فقلت والاجاه
أحد من عندها أعلمك فقال انه لايجسر أحد من غلمانها يقابلى فقلت
ولا راح أحد من عندك الى عندها فقال هى أخس وأحقر من أن يمضى
اليها أحد من عندى فقلت يا سيدى الغيب لا يعلمه الا الله تعالى والوحى
ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عاقل أما سمعت
قول القائل

قلوب العاشقين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون
وأجنحة تطير بغير ريش * الى ملكوت رب العالمين

فقلت صدقت يا مولاى ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم بصق فيه
وداسه برجله ورماه فى البركة فصعب على فلما علم منى ذلك قال لم
غيظك اقعد الليلة عندى كل واشرب وخذ منى الخمسمائة دينار التى
وعدتك بها الست بدور وأنا أحب اليك منها وأنشد يقول

رأيت شاة وذئبا وهى ماسكة * بأذنه وهو منقاد لما سارى
فقلت أعجوبة ثم التفت أرى * ما بين نابيه ملقى نصف دينار
فقلت للشاة ماذا الالف بينكما * والذئب يسطو بأنياب وأظفار
تبسمت ثم قالت وهى ضاحكة * بالتبر يكسر ناب الضيغم الضارى

قال فلما سمعت كلامه يا أمير المؤمنين تقدمت وأكلت بحسب
الكفاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت بين أيدينا
البواطى والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب وسقانى وأنا أحدثه
وأنادمه الى قرب الغياب فقال لى يا أبا الحسن ما عادة أمير المؤمنين اذا
شرب الى المساء فقلت يقول الشراب بلا طرب ولا سماع الدن أولى به
فقال لى قم بسم الله فقمت معه الى مجلس وحضيرة تنقط بالذهب
واللازورد العجيب وهى مزخرفة قد عبقت أزهارها وضحكت

سلاحياتها وصفقت بواطيها ورفعت أقداحها فجلس الامير عمرو وأجلسني بجانبه وقدمت بين أيدينا الشموع وأسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب وحضيرة مليحة ثم قالت يامولاي قد تقدم القول أن الشراب بلا سماع الدن أولى به فصفق بكف على كف واذا بثلاثة حوار قد أقبلن كأنهن الاقمار الواحدة تحمل عودا والثانية تحمل دفا والثالثة تحمل مزمارا ثم نقرت الدفية على دفها وأصلحت العودية عودها وزمرت الزامرة بزمرها فخيل لى أن المجلس الذى نحن فيه يرقص بنا ثم ان الدفية غنت تقول

أحبابنا اننى من يوم فرقتكم * على فراش الضنا مازلت مضطجعا
داويت قلبي بحسن الصبر بعدكم * عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا أمير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها فلما فرغت الدفية ضربت العودية على عودها طرقا عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى وأنشدت تقول

أمؤنس طرفى لا خلا منك ناظرى * وجامع شملي لا خلا منك مجلسى
ويا ساكنا قلبي ومافيه غيره * يحل فيما استوحشت فيه لمؤنسى
ويالله يا عين الورى من ملاحة * تصدق على صب من الصبر مفلس
أملني الرضى حتى أغيظ به العدا * ويا موحشي من بعدما كان مؤنسي
رضاك الذى ان نلته نلت رفعة * وألبسنى فى الناس أشرف ملبس

قال والله يا أمير المؤمنين لم نتمالك عقولنا من الطرب ثم التفتت العودية الى نحو الدفية وقالت لها يافلانة أتحسنى أن تقولى مثل هذا فقالت الدفية أنا أحفظ أبياتا ما أظن أنك تحفظى لهن وزنا ولا قافية ولا عروضا فقالت العودية هات ماعندك فنقرت الدفية على دفها بأناملها ورفعت صوتها وهى تقول

كرر وردد ذكرهم فى مسمعى * فهم الشفا لتألمى وتوجعى
أقصر بذلك ياعذول فان لى * قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعى

فقالت لها العودية أنا أحفظ الوزن والقافية والعروض فقالت لها الدفية هات فضربت العودية طريقة من اثنين واثنين وأربعة وثمانية وستة عشر وستة عشر ثم عادت الى الطريقة الاولى وجعلت تقول

ان لم أسل وادى الاسيل بأدمعى * اعلم بأنى فى الصبابة مدعى
ياسعد ان جئت الغوير وعاينت * عيناك بان المنحناء فأرجع
وخذ الحذار من الغزال المختفى * واحذر يصيدك لحظ ذات البرقع

قال والله ياأمير المؤمنين فلقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجارية قال لها سيدها غنى لى الذى لقلبى وحدى فعندها سارت عودها وقالت

ما كنت أول رامق صباصبا * نحو التصابى وهو فى عشر الصبا
فعلى م يعذلنى العذول على البكا * لولا الغرام لما غدوت معذبا
حكم الهواء بحكمه فى مهجتى * ولقد غدا قلبى به متقلبا
ياللرجال خبا الهوى بحشاشتى * نارا فما تحنوا على ذاك الخبا
ولقد سبا عقلى غزال لو رأت * بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الفراق فقال لى * مهلا رويدا فأين منى تهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع الى الارض مغشيا عليه فقالت الجارية يامولاى انه قد نام سيدى فان اخترت ان تنام فقم نام فى مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فقمت ونمت فلما أصبحت قمت وسألت عن الامير عمرو فقال بعض الجوارى انه سرح الى الصيد والقنص فأخذت شاشا لالبسه فرأيت تحته كيسا فيه

ألف دينار فأخذته وأتيت الى الست بدور واذا بها واقفة خلف الباب تنتظر وهي تقول

يا رسولي الى الحبيب اعتذر لي * فلعل الحبيب يقبل عذري

ثم قل للحبيب عني بلطف * أي ذنب جرى فأوجب هجري

فلما رأتني قالت يا شيخ أقمح أم شعير فقلت لا والله ماهو الا زيوان والله مارضي يقرأ مكتوبك ولا يرد جوابك فرمت الى صرة فيها مائة دينار وقالت اذهب يا أبا الحسن مامضى الليل وأتى النهار على شيء الا وأزاله وغيره ويغير الله ما في القلوب ثم انها أغلقت الباب في وجهي ومضت وعدت الى دار الامير محمد بن سليمان الزيني فلقيته قدماه من الصيد فقعدت عنده أياما وأخذت رسمي وعدت الى بغداد ثم اني في السنة القابلة سافرت الى البصرة على ماجرت العادة به ومضيت الى عند الامير عمرو بن جبير الشيباني لاتمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار متغيرة الآثار والعبيد لابسين السواد فلما رأيت ذلك بكيت وأنشدت أقول

يادار أين ترحل السكان * وسرت بهم من بعدها الاظعان

بالامس كان بك الضياء * واليوم في عرصاتك الغربان

فسمعني بعض الغلمان فظهر لي وقال من ذا الذي يبكي على ديارنا ويندب منازلنا كفى بنا ماعندنا فقلت له يا عبد الخير ان صاحب هذه الدار كان من أصدق الناس الي فما فعل به الزمان فقال لي الغلام يامولاي هو في قيد الحياة وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت له بالله عليك خذلي اليه الطريق فقال لي الغلام يامولاي من أقول فقلت قل الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقي المسامر قال فعبر الغلام وغاب ساعة وعاد وقال لي بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمرا نائما وعند رأسه

طبيب وهو يجس يده ويقول له يا مولاي الضارب ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشتكي غير سهر الليل وجريان الدمع لا يكون المولى الا مسحورا فلما سمع الامير عمرو كلام الطبيب بكى وانشد يقول

قال الطبيب لقومي حين جس يدي * هذا فتاكم ورب البيت مسحور
فقلت ويحك قد قاربت في صفتي * عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كاغدا فيه بعض دنانير فأخذها الطبيب وانصرف ثم التفت الامير عمرو الى وقال يا شيخ أبا الحسن أما تنظر الى هذا الحال الذي وقعت فيه فقلت له ما شاك من الاسواء ما سبب ذلك قال ما أعرف له سببا الا انه هجر الست بدور قد قتلني وحبها أضنى فؤادي فقلت يا مولاي بالعام الماضي تركتك أميرا واليوم أتيت لقيتك أسيرا فما السبب فقال الامير عمرو يا شيخ اني في ليلة من الليالي ركبت في الشط وقد هيئت في مركبي من سائر الازهار والفواكه والرياحين والطعام والمدام وأوقدت الشموع حتى صارت مثل ضوء النهار وقد غرقنا في البسط وبقينا في لعب وضحك الى ثلث الليل الاول واذ قد أقبل من صدر الشط مركب وهي تعزف بالطارات والدفوف وتضيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت للملاح قدم بنا حتى نتفرج وننظر أينا أحسن تعبية مركبنا أو هذه المركب فددت عيني أرى صاحبتي الست بدور وهي بين جواريها وغلمانها تلعب وتضحك وهي مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عيني عليها كأن ما رميت في قلبي جمرة نار فقلت في نفسي ما فارقت هذا الوجه المليح بذنب ثم اني تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم أقدر أصبر فددت يدي وأخذت تفاحة ورميتها الى الست بدور فالتفتت فرأتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا هذه الليلة

تشرح فأرسل الله لنا هذا الفتى ينغص علينا عيشنا فلما سمعتها تشتمني أضرمت النار في قلبي ثم قلت لنفسي أنت كنت المطلوب فصرت الطالب ولم يهن لي عيش في هذه الليلة وقلت للملاح ارجع الى الشط ثم انى نزلت ومضيت الى منزلي وما ذقت طعم المنام فلما أصبحت لم يقر لي قرار وصرت أترقب أن يأتي أحد من عندها ثلاثة أيام فلم يأت أحد فبعثت من يعرض بذكرى لها فدعت عليهم وشتمتهم وكتبت لها بعد ذلك ألف كتاب فلم تردلي جوابا وقد رميت روحي على كل كبير في البصرة فيدخلون عليها فلم تقبل ولم تزدد الا جفاء ولي مدة أنتظرك يا شيخ أبا الحسن حتى أبعث معك كتابا وأنا أحلف لك ان هي ردت لك جوابه أعطيتك ألف دينار وان لم ترد جوابه أعطيتك مائة دينار فقلت له اكتب فدعا بدواة وقرطاس وكتب في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكو اليك الصبابه ويسألك بالله أن تردي جوابه أما بعد فانه يحزنني ويكل جناني مما أنا فيه من طول السهر ودوام الفكر وبكى ابكاء يصم الحجر وألف ألف لا أوحش الله منك والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولني اياه فأخذته وأتيت به الى دار الست بدور فلقيت الباب على غير تلك الحالة الاولى عليه ستر مرخي وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كان هذا الباب بالامس خاليا من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم اني تقدمت الى عند الخادم وقلت له قم يا ولدي ادخل واستأذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ أبو الحسن الخليع الدمشقي قد أتى ويطلب التمثيل بين يديك فغاب الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله ادخل فدخلت الدهليز فسمعت الست بدور وهي تقول

ولاصبرن على الزمان وجوره ❁ حتى يعود كما أريد وأشتهي

قال فلما دخلت رأيتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح عليها فتقدمت وقبلت يديها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها بائن من تحت الغلالة كأنه عود مرمر وعلى الغلالة مكتوب هذه الابيات

أقبلت فى غلالة زرقاء * لازوردية كلون السماء
فتأملت فى الغلالة ألفى * قمر الصيف فى ليالى الشتاء
ليتنى كنت للمليحة عقدا * أو برقعا للوجه مثل الرداء
أو قميصا من الحرير خفيفا * لاصقا للفؤاد والاحشاء
ضربتنى بخنجر العشق حتى * صرت ملقى مخضبا بدماءى
تركتنى على الطريق ونادت * من يصلى على قتيل هواءى

ثم انى لما فرغت من قراءة الاشعار قالت لجاريتها هات لى بدلة قماش ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم أمرت باحضار المائدة وقالت لى باسم الله كل يا أبا الحسن فقلت والله لا أكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضى حاجتى فقالت كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عيننا بر واحك الى الامير عمرو وقبل مجيئك الينا فقلت لها أنا ما رحت فقالت تكون شيخا وتكذب أنت ما عبرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول له كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب فى طى عمامتك وبالامارة قال لك ان رديت لى الجواب أعطيتك ألف دينار وان لم ترد لى الجواب أعطيتك مائة دينار فقلت يا ستى من أعلمك بهذا فقالت أليس القائل يقول

قلوب العاشقين لها عيون * ترى ما لا يراه الناظرون

وأنا يا شيخ أبا الحسن أعشق منه وأرى أكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتى كان ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقرأته ثم انها مزقته

وبصقت عليه وداسته ورمته فى البركة فلما رأيت ذلك قلت فى نفسى هذا بذاك وقرض الدين لا بد له من وفاء الا انى حصل لى بعض غيظ على الالف دينار التى تفوتنى فنظرت الى وعرفت منى ذلك فقالت ياشيخ أبا الحسن م غيظك ان كان وعدك بألف دينار بت الليلة عندى وكل واشرب ولذ واطرب وخذ لك غدا منى ألف دينار وامض فى وداعة الله فقلت ياسيدتى يكاد الامير عمرو أن يموت فقالت دعنا من هذا لكلام ثم ان المائدة حضرت فأكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت ياشيخ تعرف تلعب بالشطرنج قلت ما ألعب الا على الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت بالشطرنج فوضع بين أيدينا ولعبت معها الدست لاول فغلبتنى فأمرت الجوارى أن يرمونى فى البركة فمسكونى ورمونى فى البركة فضحكت على ساعة ثم أخرجونى وقد ابتلت جميع حوائجى فلما رأتنى على تلك الحالة أمرت ببدلة من القماش من أفخر الملبوس فلبست فقالت تلعب أيضا على الحكم والرضى قلت نعم فلعبنا فتغايرت عليها وأتيت لها بحكاية لطيفة مضحكة وأشغلتها وسرقت القطع الى أن غلبتها وتحكمت فيها وقلت أريد الالف دينار وجواب الكتاب فأعطتنى الالف دينار وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها أطرقت ساعة ورفعت رأسها وكتبت تقول

ألا يا عمرو كم هذا العناء * وكم هذا التجلد والاذاء
كتبت الى تشكو ما تلاقى * من الاسقام اذ نزل القضاء
فسقم لا يزال طول دهر * وداء ما له أبدا دواء
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما * لساعدناك اذ نزل البلاء
فعش صبا ومت كمدا حزينا * فواحدة بواحدة جزاء

فلما فرغت ناولتنى الورقة فقرأتها فقلت ياستى بالله عليك لا تفعلى

وارحمي الامير عمرو واكتبي له غير هذا فقالت لي يا شيخ أبا الحسن أنت رسول والافضولي فقلت لها رسول وفضولي وطفيلي ويغلظ القطط ويحلف انه ما بات الا في الوسط ويعني بليت بكم قال فضحكت من كلامي وقالت حكمتك في نفسي فقلت يا ست بدور أين تلك المحبة التي كنت تحبيها للامير عمرو فلو أبصرتيه ما عرفتيه من شدة ما يقاسي من الاسقام والآلام والامراض فلما سمعت ذلك قالت أخبرني عن أقوى شيء به من المرض فقلت يا سيدتي ما أقدر أصف لك بعض ما فيه من ألم المرض فتغرغرت عيناها بالدموع ثم قالت يعز على ما وصفت لي عنه وروحي لروحه الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير تلك الورقة وكتبت في أول الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ثم انها ابتدأت تنشد وتقول

وصل الكتاب فلا عدمت أناملا * عنيت به حتى تصوغ طيبا
ففضضته وقرأته فوجدته * نحني أوجاع القلوب طبيبا
فكأنه موسى أعيد لامه * أو ثوب يوسف قد أتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي أن شوقها شديد وغرامها ما عليه مزيد وسؤالها من الحميد المجيد أن يجمع شملها بك قبل أن تريد وأقول

أشتاقكم حتى اذا نهض الغرام * لمقامكم قعدت بي الايام
والله اني لو وصفت صبابتي * فني المداد وكلت الاقلام

ثم انها نثرت فيها فتات المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها فأخذتها وقمت مسرعا وأنا فرحان الى أن أتيت دار الامير عمرو ودخلت الدهليز فسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا * أسهم أم القرطاس أصبح غاليا

فاستأذنت عليه ودخلت فلما رآني قال لي أقمح أم شعير فقلت له قمح

مغربل ليس فيه كدر * ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه * فلما فهم معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور على حتى انني * من عظم ماقدسرني أبكاني
ياعين قدصار البكالك عادة * تبكين فى فرح وفى احزاني

فلما فرغ من البكاء قال لى ياشيخ ماأظن الحديد يلين ولا الصخر يذوب لعل أن تكون صنعت هذا الكتاب من عندك * فقلت يامولاى والله ماصنعته ولا كتبته بل هوخطها بيدها فبينما هو يخاطبنى اذ هى عبرت علينا وهى تخطرفى قوامها وهى تنشد وتقول

تزوركم لانؤاخذكم بجفوتكم * ان الكريم اذالم يستزر زارا

فلما رآها الامير عمرو نهض قائما على قدميه ورمى بروحه عليها واعتنقها واعتنقته ساعة زمانية فقمت على ان أخلى لهما المكان فقالت لى الست بدور الى أين تروح ياشيخ قلت أخلى لكما المكان لانكما مااجتمعتما من مدة سنة كاملة فقالت لا تفارقنى من الساعة الى الصباح فقام الامير عمرو وأخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم لنا الطعام المفتخر وأمر بازالة كل شئ كان عليه من آلة الحزن وجىء له بالماء فغسل يديه وغسلنا أيدينا وانتقلنا الى مجلس الشراب وبتنا فى لذة ورأيت الماء ونه تدب فى وجه الامير عمرو وبتنا فى لذة فلما أصبحت قالت لى الست بدور ياشيخ أباالحسن امض وائتنا بالقاضى والشهود فلم يكن بأسرع مما حضرتهم فقالت الست بدور للقاضى اكتب كتابى على الامير عمرو وقدوليت الشيخ أباالحسن عقد النكاح * قال فخطب القاضى خطبة النكاح وعقد العقد بينهما * ورسم الامير عمرو للقاضى بألف دينار وللشهود بمائتى دينار وعمل الوليمة وطبخ الطعام وعمل الحلاوات وجمع الناس

ووضع بين أيديهم الموائد وأطعم الشارد والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو * فلما وقفوا على المنصة قلت ما تصلح الا له ولا يصلح الا لها ولو رآها غيره لزلزلت الارض زلزالها * ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت له يا مولاى المثل يقول العصفور يتفلى والصياد يتقلى وأنتم تقولون واطرباه وأنا أقول واحزناه فقالت الست بدور ما معنى كلامك هذا قلت يا سيدتى الامير عمرو وعدنى بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت الست بدور صدق الشيخ اعطه الذى وعدته به فقال الامير عمرو لبعض غلمانه أعط الشيخ أبا الحسن ألفا وخمسمائة دينار بسنائهل والله أكثر من ذلك فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس وناولنى اياه وأعطتنى الست بدور مثله ثم انى ودعتهم وخرجت الى ان أتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبى وقعدت عنده على عادتى وأخذت رسمى الذى لى عليه فى كل سنة وعدت الى بغداد فما رأيت سنة أبرك على منها حصل لى فيها أربعة آلاف دينار * وهذا جملة الحديث * فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ أبا الحسن خذ من جعفر ألف دينار لانك أنت الذى أزلت عنى ما بقلبى فقال جعفر ومن عند أمير المؤمنين ألف دينار لانه هو الذى زال عنه ما كان يجده * فقال أبو الحسن صدق الوزير أبقاه الله تعالى * ثم انه قبض الالفين دينار ومضى الى منزله والله أعلم * قال أبو القاسم عبد الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة عبد المجيد بن عبدون جعفر البرمكى هو جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك * والبرمك هو الذى يعمر بيت النور * وهو بيت النار * وكان برمك من مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وولده خالد فلما كبر صار وزيرا لابى السفاح بعد أبى سلمة الخلال * وقتل هارون الرشيد جعفرا سنة سبع وثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد مالا يبلغه وزير من

خليفة قبله حتى كان يجلس معه فى حلة واحدة قد اتخذ لهما حيبان على ماذكره بعض المخبرين * وكان بلغ عنده أن يحكم عليه فيما شاء من أمر ماله وولده فمن ذلك ما حكاه ابن المهدى عم الرشيد وهو ابراهيم المعروف بابن شكلة وكانت شكلة أمة سوداء وقد ذكر ان ابراهيم كان أسود شديد السواد وكان من الطبقة العليا فى صنعة العود قال قال لى جعفر يوما يا ابراهيم اذا كان غدا فبكر لى فلما كان الغد مشيت اليه باكرا فجلسنا فتحدثنا فلما ارتفع النهار أحضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لخادمه لا يدخل علينا أحد الا عبد الملك القهرمان فنسى الحاجب ما قاله له فجاء عبد الملك بن صالح الهاشمى وكان رجلا من بنى هاشم ذا ملاحة وفصاحة وعلم وحلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة وديانة فظن الحاجب أنه الذى أمره بادخاله عليهما فلما رآه جعفر تغير لونه فقال له عبد الملك بن صالح لما رآهم على تلك الحالة وظهر له أنهم احتشموه وأراد أن يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم فى فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس للشراب فلما بلغ ثلاثا قال للساقى لتخفف عنى فانى ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها مقدرتى وتحيط بها نعمتى فأقضيها لك مكافأة لما صنعت * قال بلى ان أمير المؤمنين على غاضب فسله الرضا عنى قال قد رضى عنك أمير المؤمنين قال وعلى أربعة آلاف دينار قال هى لك حاضرة من مال أمير المؤمنين قال وابنى ابراهيم أريد أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه أمير المؤمنين بابنته عائشة قال واحب أن تخفق الالوية على رأسه قال نعم قد ولاه أمير المؤمنين مصر قال ابراهيم بن المهدى فانصرف عبد الملك بن صالح وأنا أتعجب

من

من اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان فلما كان من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعا بأبى يوسف القاضى ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر وخرج جعفر فأشار الى فلما سار الى منزله ونزلت بنزوله التفت الى وقال لعل قلبك معلق بأمر عبد الملك بن صالح وأحببت معرفة خبره قلت نعم * قال ذلك انى لما دخلت على أمير المؤمنين وتمثلت بين يديه وابتدأت القصة من أولها الى آخرها كما كانت * قال الرشيد احسن والله * أحسن والله * ثم قال ما صنعت فأخبرته عما سأل وبما أجبته فى ذلك فقال احسنت * وخرج ابراهيم واليا على مصر من يومه والله تعالى أعلم * (قال ابراهيم بن اسحاق) * كنت منقطعا الى البرامكة فبينما أنا ذات يوم بمنزلى واذا ببابى يدق فخرج غلامى وعاد وقال على الباب فتى جميل يستأذن فأذنت له فدخل شاب عليه أثر السقم فقال لى مذ أحاول لقاءك ولى اليك حاجة فقلت ماهى فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يدى وقال أسئلك أن تقبلها منى وتصنع لى لحنا فى بيتين قلتهما فقلت أنشدنيهما فقال

بالله يا طرفى الجانى على كبدى *	لتطفئن بدمعى لوعة الحزن
لا لا أبوحن حتى تحالى سكنى *	فلا أراه ولو أدرجت فى كفنى

قال فصنعت لهما لحنا يشبه النوح ثم غنيته فأغمى عليه حتى انى ظننت أنه مات ثم أفاق وقال أعده فناشدته الله وقلت اخشى أن تموت فقال ليت ذلك ومازال يخضع ويتضرع حتى رحمته وأعدته فصعق صعقة أشد من الاولى فلم أشك فى موته ومازلت انضح عليه من ماء الورد حتى افاق * ثم جلس فحمدت الله على السلامة ووضعت دنانيره بين يديه

وقلت خذ ما لك وانصرف عني فقال لا حاجة لي بها ولك مثلها ان أعدته فشرهت نفسي فقلت أعيد ولكن بثلاثة شرائط أولها تقيم عندي تأكل من طعامي حتى تتقوى نفسك الثاني أن تشرب من الشراب ما يمسك قلبك الثالث أن تحدثني بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل من أهل المدينة خرجت متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخوتي فرأيت فتاتا مع فتيات كأنها غصن جلله الندا تنظر بعينين ما ارتد طرفهما الا بنفس ملاحظهما فأطلن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد رمت بقلبي جراحا بطيئة الاندمال فعدت أتنسم أخبارها فلم أجد أحدا يرشدني اليها فجعلت أتتبعها في الاسواق فلم أقع لها على خبر ومرضت أسا وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لي لا بأس عليك هذه أيام الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ وأخرج أنا معك فأفعل مرادك قال فاطمأنت نفسي بذلك الى ان سال العقيق وخرج الناس ينظرون فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلسنا في مجلسنا بعينه فما لبثنا الا والنسوة كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه الجارية يقول لك هذا الرجل لقد أحسن من قال

رمتني بسهم أقصد القلب وانثنت * وقد عاودت جرحا به وتذويا

قال فمضت اليها وقالت لها ذلك فقالت لها قولي له وقد أحسن من أجابه

بنا مثل ما تشكو فصبرا لعلنا * نرى فرجا يشفي القلوب قريبا

قال فأمسكت عن الكلام خوف الفضيحة وقمت منصرفا فقامت لقيامي فتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها ورجعت فأخذتني وسرنا اليها حتى اجتمعا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها أبوها فلم أزل مجتهدا في لقائها فلم أقدر وشكوت ذلك الى أبي فجمع أهلنا ومضى الى أبيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا له ذلك قبل أن يفضحها لفعلت ولكنه

أشهرها فما كنت لاحقق قول الناس قال ابراهيم فأعدت عليه الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكانت بيننا عشرة ثم جلس جعفر ابن يحيي وحضرت على عادتي فغنيته شعر الفتى فطرب وشرب أقداحا وقال ويلك لمن هذا الصوت فحدثته حديث الفتى فأمرني بالركوب اليه وأن أجعله على ثقة من بلوغ أربه فمضيت اليه وأحضرته فاستعاده الحديث فحدثه فقال هي في ذمتي حتى أزوجك اياها فطابت نفسه وأقام معنا فلما أصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه بذلك فاستظرفه وأمر أن يحضرا جميعا فاستعاد الصوت وشرب عليه فأمر بكتب الكتاب الى عامل الحجاز باحضار المرأة وأهلها ووالدها مبجلين الى حضرته والانفاق عليهم نفقة واسعة فلم يمض الا يسير حتى حضروا فأشار الرشيد بايصال الرجل اليه فحضر وأمر بتزويج ابنته من الفتى وأعطاه ألف دينار ونقلت الى أهله ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى حدث ما حدث فعاد الفتى بأهله الى المدينة فرحم الله تعالى أرواحهم أجمعين (حكاية أجنبية) ومما اتفق أن الوزير أبا عامر أحمد بن مروان كان قد أهدى له غلام من النصارى لا تقع العيون على أحسن منه فلمحه الملك الناصر فقال له أنى لك هذا قال هو من عند الله فقال تتحفونا بالنجوم ونستأثرون بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل في هدية بعثها اليه مع الغلام وقال له كن داخلا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه هذه الابيات

أمولاي هذا البدر سار لافقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض
أراضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أر قبلي من بمهجته يرضى

قال فحسن ذلك عند الناصر وأتحفه بمال جزيل ولم يكن عنده ثم بعد ذلك أهديت للوزير جارية من أجمل نساء الدنيا فخاف أن ينهى ذلك

الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام فاحتفل فى هدية أعظم من الاولى وأرسلها مع الجارية وكتب معها هذه الابيات

أمولاى هذى الشمس والبدر أولا * تقدم لكى أن يلتقى القمران
قران لعمرى بالسعادة ناطق * قدم معهما فى كوثر وجنان
فمالهما والله فى الحسن ثالث * ومالك فى ملك البرية ثانى

قال فتضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض أعدائه عند الناصر أن عنده بقية من الغلمان وحزره وانه لا يزال يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول فقال الناصر للواشى لا تحرك به لسانك والاطار رأسك وكتب على لسان الغلام ورقة فيها يامولاى تعلم أنك كنت لى على الانفراد ولم أزل معلك فى نعيم وأنا وان كنت عند السلطان مشاركا فى المنزلة محاذرا ما يبدو من سطوة الملك فتحيل فى استدعائى منه ثم بعثها مع غلام صغير وأوصاه أن يقول هى من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط فلما وقف عليها أبو عامر واستخبر الخادم فأحس بالمكيدة فكتب على ظهر الورقة يقول

أمن بعد أحكام التجارب ينبغى * لدى سقوط الطير فى غابة الاسد
ولا أنا ممن يغلب الحب عقله * ولا جاهل ما يدعيه أولوا الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى سماع واش فيه بعد ذلك ثم قال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلى بالهوى غير مشترك انتهى وهذا سبب قتل البرامكة وما وقع لهم مع الرشيد

*(والقصة فى ذلك على ما رواه ابراهيم بن اسحاق عن أبى ثور زاهر بن سقلاب) قال بلغنى انه كان لهارون الرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكى فقال له يوما لا يطيب لى ذلك الا بحضر أختى ميمونة ولكن

لايجوز الا ان كتبت لك عليها الاباحة النظر من غير أن تقربها فاتفقا
على ذلك وعقد له عليها ثم أحضرها فكانت تحضر لذلك المجلس الا أنه
زاد غرامها وعشقها فيه وكان لجعفر البرمكي امرأة تزين له الجوارى كل
ليلة فجاءت ميمونة لها وأرشتها بمال فزينتها له وأدخلتها عليه فظن
انها جارية فواقعها فلما أصبحوا قالت له أنا ميمونة وقد كنت أسألك
أن تساعدنى على مودتك فتأبى فلما أيست منك احتلت عليك بما
رأيت فى هذه الليلة وان لم تواظب لأكونن سببا فى سلب نعمتك وهل
أنت الا زوجى فقال لها جعفر ويحك أهلكتينى وأهلكت نفسك وكان
كما قال ولم يزرها حتى ظهر أمرها للرشيد وهذا كان سبب قتل البرامكة
وهذا ابتداء الحديث قال المبرد قال أبو عبد الله المارستانى عن يحيى
ابن أكتم القاضى قال سألت اسماعيل بن يحيى الهاشمى عن سبب
زوال نعمة البرامكة قال نعم أعرف صحة الخبر وباطن القصة كان
سبب ذلك أنى كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد فبينما
نحن نسير اذ نظر الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لى يا اسماعيل لمن هذا
فقلت هولاء خيل جعفر بن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من معه
فى موكبه فاذا هو شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذى فيه جعفر فلم
يره فقال يا اسماعيل ما فعل جعفر وموكبه فقلت يا سيدى قد مضى
أخوك فى طريق ولم يعلم بموضعك فقال ما رآنا أهلا أن يزيننا بموكبه
ويجملنا بجيشه فقلت العفو يا أمير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما
سار الا بين يديك واعتذرت بما حضرنى من الكلام ثم سرنا حتى
انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وعمارة حسنة وكان الطريق
يدور عليها فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى البيدر والى
كثرة الغلال فيه والمواشى ويسار أهلها فالتفت الى وقال يا اسماعيل

لمن هذه الضيعة قلت لأخيك جعفر بن يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل نمر بكل ضيعة أعمر من الأخرى وكل عامر وسألني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيي حتى سرنا ووصلنا الى المدينة فلما أردت وداعه والانصراف الى منزلى نظر الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما أراد فتفرقوا وبقيت أنا وهو فقال يا اسماعيل قلت لبيك يا أمير المؤمنين فقال انظر الى البرامكة أغنيناهم وأفقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم فقلت فى نفسى بلية والله ثم قلت لماذا يا أمير المؤمنين قال نظرت الى هؤلاء وغفلت عن هؤلاء لانى لا اعرف لاحد من أولادى ضيعة من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة وكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذه الطريق فى سائر البلدان فقلت يا أمير المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضيعات وأموالهم وكل ما يملكونه لك فنظر الى نظرة جبار عنيد ثم قال ماعدا البرامكة بنى هاشم الا عبيدهم وانهم هم الدولة وان لا نعمة لبنى العباس الا والبرامكة أنعموا عليهم بها فقلت أمير المؤمنين أبصر من غيره بخدمه وبموالي فقال والله يا اسمعيل انك لتعلم انى قلت هذا وكأنى أراك أن تعلمهم بكلامى فتتخذ ذلك عندهم يدا وانى آمرك أن تكتم هذا الامر فانه ما علم به أحد غيرك ومتى بلغهم شىء مما جرى علمت انه ما أفشاه الا أنت فقلت يا أمير المؤمنين أعوذ بالله أن يكون مثلى يفشى سرك قال وكان هذا أول ما ظهر من أمر البرامكة ثم ودعته وانصرفت متفكرا فى ايقاع الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت اليه وجلست بين يديه وكان فى محل يشرف على الدجلة من شرقى مدينة باب السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب الغربى وكانت المواكب من جميع الاصناف من قائد وأمير وعامل يردون فى كل يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يا اسماعيل هذا ما كنا

فيه بالامس انظركم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمواكب
وأنا ما على باب دارى أحد فقلت يا أمير المؤمنين ناشدتك الله
الا تعلق نفسك بشئ من هذا وان جعفرا انما هو عبدك وخادمك
ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابه فعلى باب من
يكن انما بابه باب من أبوابك فقال يا اسماعيل انظر الى دوابهم
ألست ترى أعجازهم الى قصرى وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها
والله هذا هو الاستخفاف بعينه والله لا أصبرن على ذلك ثم غضب
غضبا شديدا وامتلأ غيظا فأمسكت عن الكلام وقلت والله
هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع ثم استأذنته فى الانصراف
ورجعت الى منزلى فلقينى جعفر فى الطريق يريد الرشيد فتواريت
عنه حتى مضى فدخل اليه وسلم فأجلسه عن يمينه وأكرمه غاية
الاكرام وبش فى وجهه وحادثه ساعة ووهب له خادما من خاصة
خدمه وأنبلهم وأوضحهم وجها وأكملهم ظرفا كاتبا حاسبا لبيبا فسر
جعفر سرورا كاملا ووقع فى قلبه أجل موقع وكان دسيسا عليه
وبلية لديه يرفع أخباره الى الرشيد ويحصى عليه أنفاسه ساعة
بساعة ووقتا بوقت فخلا به جعفر يومه ذلك وليلته واحتجب من أجله
عن الناس فلما كان بعد ثلاثة أيام سرت الى جعفر فسلمت عليه فلما
خلا مجلسه ولم يبق عنده غيرى وذلك الخادم واقف وعلمت ان الخادم
يحصى علينا أخبارنا فقلت أيها الوزير نصيحة أفتأذن لى بالكلام قال
تكلم وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها ونسب
لها قبل هذا الكلام بأيام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكر بالنهروان
وضرب الناس مضاربهم بها وهم متأهبون للسفر فقلت يا سيدى أنت
عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة

فلو صيرت بعض ضياعك لولد أمير المؤمنين لكان أحظى لمنزلتك عنده
فلما قلت ذلك نظر الى مغضبا وقال والله يا اسمعيل ما أكل الخبز ابن
عمك أوقال صاحبك الا بفضلي ولا قامت هذه الدولة الا بنا أما كفى أنى
تركته لا يهتم بأمر شيء من أمر نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد
ملأت بيوت أمواله أموالا ولا زلت للامور أدبرها حتى يمد
عينيه الى ما ادخرته واخترته لولدى وعقبى من بعدى وداخله حسد بني
هاشم وبغيهم ودب فيه الطمع والله لئن سألنى شيأ من ذلك ليكونن
وبالا عليه سريعا فقلت والله يا سيدى ما كان مما ظننت شيأ ولا تكلم
أمير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول منك فقعدت بعدها هنيهة ثم
قمت الى منزلى ولم أركب اليه ولا الى الرشيد لانى صرت بينهما فى حال
تهمة وقلت فى نفسى هذا الخليفة وهذا وزيره وأى شيء لى بالدخول بينهما
ولا شك فى زوال نعمة البرامكة وان أمورهم قد انثلمت قال وحدثنى
خادم أم جعفر ان الخادم الذى وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد
بما كان بيني وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ قال فلما قرأ الكتاب وفهم
الخبر احتجب ثلاثة أيام متفكرا فى ايقاع الحيلة على البرامكة فدخل
فى اليوم الرابع على زبيدة فخلى بها وشكى لها ما فى قلبه وأطلعها على
الكتاب الذى رفعه اليه الخادم وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة
قديمة فلما تملكت الحجة عليه بالغت فى مكرهم واجتهدت فى هلاكهم
وكان الرشيد يتبارك بمشورتها فقال أشيرى على برأيك الموفق الرشيد
فانى خائف أن يخرج الامر من يدى ان تمكدوا من خراسان وتغلبوا عليها
فقالت يا أمير المؤمنين مثالك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق
فى بحر عميق فان كنت قد أفقت من سكرتك وتخلصت من غرقتك
أخبرتك بما هو أصعب عليك وأعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة

الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولى لى أسمع منك فقالت ان هذا
الامر قد أخفاه عنك وزيرك وهو أصعب مما أنت فيه وأقبح وأشنع فقال
لها ويحك وما هو فقالت أنا أجل من أن أخاطبك به ولكن تحضر أرجوان
الخادم وتشدد عليه وتوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد
قد أحل جعفرا محلا لم يحله أخوه ولا أبوه وأمره أن يدخل على الحريم
فى السفر والحضر وأبرز اليه جواريه وأخواته وبناته لانه كان بينهما
رضاع سوى امرأته زبيدة فانه لم يكن رآها ولا دخل عليها ولا قضى لها
حاجة ولا هى أيضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد وعزم على
هلاك البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة فحطت على جعفر وكان
جعفر يدخل على الحريم فى غياب الرشيد ويقضى حوائجهن لانهن
لا يستترن منه وكان ذلك بأمر الرشيد ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر
قال فخرج الرشيد واستدعى بأرجوان الخادم وأحضر السيف والنطع
وقال برئت من المنصور ان لم تصدقنى فى حديث جعفر لاقتلنك فقال
الامان يا أمير المؤمنين قال نعم لك الامان فقال اعلم ان جعفرا قد خانك
فى أختك ميمونة وقد دخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاث بنين
أحدهم له ست سنين والآخر له خمس سنين والثالث عاش سنتين
ومات قريبا والاثنان قد أنفذهما الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
وهى حامل بالرابع وأنت أذنت له بالدخول على أهل بيتك وأمرتنى
أن لا أمنعه فى أى وقت شاء ليلا أو نهارا فقال أمرتك أن لا تحجبه فحين
حدثت هذه الحادثة لم لا أخبرتنى اول مرة ثم أمر بضرب عنقه وقام من
وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال لها رأيتى ما عاملنى به جعفر وما
ارتكب من هتك سترى ونكس رأسى وفضحنى بين العرب والعجم
فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن

الثياب طيب الرائحة جبار فى نفسه أدخلته على ابنة خليفة من خلفاء
الله وهى احسن منه وجها وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لكنها لم تر
رجلا قط غيره فهذا جزاء من جمع بين النار والحطاب فخرج من عندها
مكروبا فدعا بخادمه مسرور وكان قاسى القلب فظا غليظا قد نزع الله
الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا كان الليلة بعد العتمة فأتنى بعشرة
من الفعلاء أجلادا ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة
جاءه مسرور ومعه الفعلاء والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى
أتى المقصورة التى فيها أخته فنظر اليها وهى حامل فلم يكلمها بشىء ولم
يعاتبها على ما فعلت وأمر الخادمين بادخالها فى صندوق كبير
فى مقعد وزتها بعد قتلها ووضعها بحليها وثيابها كما هى وقفل عليها
وقد علمت أنها بعد قتل أرجوان لاحقة به فلما علم أنه استوثق بها
دعا بالفعلاء ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا وسط تلك المقصورة
حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسى ثم قال حسبكم هاتوا
الصندوق فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا
وسووا الموضع كما كان ثم أخرجهم وقفل الباب وأخذ المفتاح معه
وجلس فى موضعه والفعلاء والخادمان بين يديه ثم قال يا مسرور خذ
هؤلاء القوم واعطهم أجرتهم والخادمان معهم فأخذهم مسرور
وجعلهم فى جواليق وخيط عليهم بعد أن ثقلهم بالصخر والحصى ورماهم
فى وسط الدجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال يا مسرور
فعلت ما أمرتك به قال وفيت القوم أجورهم فدفع اليه مفتاح البيت
وقال احفظه حتى أسألك عنه وامض الآن فانصب فى وسط المحل
القبة التركية ففعل ذلك ووفاه قبل الصبح ولم يعلم أحد ما يريد فلما
جلس فى مجلسه وكان يوم خميس يوم موكب جعفر قال يا مسرور

لا تتباعد عنى ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه السلام أحسن رد ورحب به وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته وكانت مرتبته أقرب المراتب الى أمير المؤمنين ثم حدثه ساعة وضاحكه فأخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحى فقرأها عليه وأمر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذنه جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات ونصف فأخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه ونظر فى نجمه فقال يا أخى هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا أرى الا أنه يحدث فيها حدث ولكن تصلى الجمعة وترحل فى سعود لك وتبيت فى النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانه أصلح من اليوم فما رضى جعفر بما قاله الرشيد حتى أخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام وأخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه وقال والله صدقت يا أمير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رأيت نجما أشد احتراقا ولا أضيق مجرى من البروج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف الى منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يعظمونه ويبجلونه الى أن وصل الى قصره فى جيش عظيم وأمر ونهى وانصرف الناس عنه فلم يستقر به المجلس حتى بعث اليه الرشيد مسرورا وقال له امض الى جعفر وأتنى به الساعة وقل له وردت كتب من خراسان فاذا دخل من الباب الاول أوقف الجند والثانى أوقف الغلمان والثالث فلا تدع أحدا يدخل معه من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل فى صحن الدار فمل به الى القبة التركية التى أمرتك بنصبها فاضرب عنقه وأتنى برأسه ولا تعلم أحدا من خلق الله على

ما أمرتك به ولا تراجعني في أمره وان لم تفعل أمرت من يضرب عنقك
ويأتيني برأسك ورأسه جملة وفي دون هذا كفاية وأنت أعلم وتبادرا
قبل أن يبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور واستأذن على جعفر
ودخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليستريح فقال سيدى
أجب أمير المؤمنين قال فارتعج وارتاع منه وقال ويلك يا مسرور أنا
في هذه الساعة خرجت من عنده وما الخبر قال وردت كتب من
خراسان يحتاج تقرأها فطابت نفسه ودعا بثيابه ولبسها وتقلد بسيفه
وذهب معه فلما دخل من الباب الاول أوقف الجند وفي الثاني أوقف
الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير أحدا من غلمانه
ولا الخادم الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم يمكنه الرجوع فلما
صار بازاء تلك القبة المضروبة في صحن الدار مال به اليها وأنزله عن دابته
وأدخله القبة فلم ير فيها أحدا وفي رواية رأى فيها سيفا ونطعا فحس
بالبلاء وقال لمسرور يا أخي ما الخبر فقال له مسرور أنا الساعة أخوك
وفي منزلك تقول لي ويلك أنت تدرى ما القضية وما كان الله ليهملك
ولا ليغفل عنك وقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك اليه
الساعة فبكى جعفر وجعل يقبل يدى مسرور ورجليه ويقول
يا أخي يا مسرور قد علمت كرامتى لك دون جميع الغلمان والحاشية وان
حوائجك عندى مقضية في سائر الاوقات وأنت تعرف موضعي ومحلى
من أمير المؤمنين وما يوحيه الى من الاسرار ولعل أن يكونوا بلغوه عنى
باطلا وهذه مائة ألف دينار أحضرها لك الساعة قبل أن أقوم من
موضعي هذا وخلني أهيم على وجهي فقال لا سبيل الى ذلك أبدا قال
فاحملني اليه وأوقفني بين يديه فلعله اذا وقع نظره على تدركه الرحمة
فيه فيعفو عنى قال مالي سبيل الى ذلك أبدا ولا يمكنني مراجعته وقد علمت انه

لا سبيل الى الحياة أبدا قال فتوقف عني ساعة وترجع عليه وتقول له
قد فرغت مما أمرتني به وأسمع ما يقول وعد فافعل ما تريد فان فعلت
ذلك وحصلت لي السلامة فاني أشهد الله وملائكته أني أشاطرك
في نعمتي مما ملكته يدي وأجعلك أمير الجيش واملكك امر الدنيا
ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع في الحياة قال له مسرور ربما يكون ذلك
وحل سيفه ومنطقته واخذهما ووكل به أربعين غلاما من السودان
يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر غضبا
وفي يده القضيب الولع ينكت به في الارض فلما رآه قال له ثكلتك امك
ما فعلت في أمر جعفر فقال يا أمير المؤمنين قد أنفذت أمرك فيه قال فأين
رأسه قال في القبة قال فأتني برأسه الساعة فرجع مسرور وجعفر
يصلي وقد ركع ركعة ولم يمهله أن يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي أخذه
منه وضرب عنقه وأخذ رأسه بلحيته وطرحها بين يدي أمير المؤمنين
وهو ينضخ دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت
في الارض أثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول
يا جعفر ألم أحلك محل نفسي يا جعفر ما كافيتني ولا عرفت حقي
ولا حفظت عهدي ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور
ولا تفكرت في صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف
أحوالها يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب والعجم يا جعفر
أسأت الي والى نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال مسرور وأنا
واقف بين يديه وهو ينكت في الارض في كل كلمة ولم يزل كذلك الى أن
أذن لصلاة الظهر فدعا بماء فتوضأ للصلاة وخرج للجامع فصلى بالناس
جماعة ثم اظهر وجهه لقصور جعفر ودوره وقبض على ابيه واخيه
وجميع اولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح مافيها ووجه مسرورا

الى العسكر فأخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما أصبح يوم السبت فاذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف انسان وترك من بقي منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم في البلاد ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز وحبس أبا يحيي وأخاه الفضل في مطمورة وأمر بجثة جعفر فصلبت على الجسر ببغداد ثم بعث الى خراسان أن يوطن بلادها وأمر الناس فردوا مضاربهم ودخل العسكر واستقرت له الامور واحضر علي بن عيسى بن هامان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فأتى بالصبيين ولدي جعفر من أخته ميمونة فأدخلا عليه في بيته فلما رآهما أعجب بهما وكانا في نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفي ألفاظهما عذوبة وبلاغة فقال لكبيرهما ما اسمك يا قرة عيني قال الحسن وقال للصغير ما اسمك حبيبي قال الحسين ونظر اليهما وبكى بكاء شديدا ثم قال يعز علي حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما ولم يدريا ما يراد بهما ثم قال يا مسرور ما فعل بالمفتاح الذي دفعته اليك وأمرتك بحفظه قال ها هو حاضر يا أمير المؤمنين قال فأتني به ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم وأمرهم أن يحفروا في البيت حفرة عميقة ودعا مسرورا وأمره بقتلهما ودفنهما مع أمهما في تلك الحفرة رحمهم الله تعالى جميعا وهو مع ذلك يبكي بكاء شديدا حتى ظننت أنه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وأمر أن لا تذكر البرامكة في مجلس ولا يستعان بمن بقي منهم في المدينة أبدا فخرجوا على وجوههم في البلاد شاردين متنكرين وقطع الله دابرهم قال فلما كان بعد مدة من هلاك البرامكة وجد الرشيد رقعة تحت مصلاه فيها خطاب وأبيات من الشعر فبحث عنها فقيل ان

صاحب

صاحب السر عما بها فبعث اليه فسأله عنها فقال يا أمير المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا أعلم من طرحها فأخذتها بارحتها تحت مصلاك فقيل ان ذلك من زبيدة لتهلك من بقي من البرامكة فعملت الرقعة للرشيد وحركته وزادت في غيظه فاستدعى في الوقت بالفضل بن يحيى وضربه اسياطا حتى كاد أن يهلكه وزاد في حديده واغلاله ثم استدعى بيحيي وكان شيخا كبيرا وزاد في حديده واغلاله أيضا وكان قد نشأ في النعيم فتذكر فقد جعفر وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد يستعطفه ويسأله أن يخفف عنه من القيد والغل وهو بسم الله الرحمن الرحيم الى أمير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين من عبد أسلمته ذنوبه وأوبقته عيوبه وخذله شقيقه ورفضه صديقه وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزل به الحدثان فصار الى الضيق بعد السعة وعالج الموت بعد الدعة وشرب بكأس الموت مترعه وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهر بعد الكرا فنهاره فكر ونومه سهر وساعته شهر وليله دهر قد عاين الموت مرارا وشارف الهلاك جهارا يا أمير المؤمنين قد أصابتني مصيبتان الحال والمال أما المال فان ذلك منك ولك وكان في يدي عارية منك ولا بأس برد العواري الى أهلها وأما المصيبة بجعفر فبجرمه وجريرته وعاقبته بما استخف من أمرك وكان جزاؤه فوق ما استحق وأما الفقير فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قوتي وهب لي رضاك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن أقر وقد رجوت أن افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وتلويح حجتي ففي ذلك ما يكتفى به أمير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه ويبلغ المراد منه ثم أنشأ يقول

قل للخليفة ذى الصنائع * والعطايا الفاشيه
وابن الخلائف من قريش * والملوك العاليه
رأس الامور وخير من * ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذيـ * ـن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة * لم تبق منهم باقيه
فكأنهم مما بهم * أعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم * خلع المذلة باديه
مستضعفون ومطرود * ن بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوزا * رة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها * فوق المنازل عاليه
أضحوا وجل مناهمو * م لك الرضا والعافيه
يامن يريد لى الردا * يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك انى مستبا * ح لعشرى ونسائيه
يكفيك ما أبصرته * ذلى وذل مكانيه
فلقد رأيت الموت من * قبل الممات علانيه
وبكاء فاطمة الكبـ * ـيرة والدموع الجاريه
ومقالها بتفجع * يا أسرتى وشقائيه
من لى وقد غلب الزما * ن على جميع رجاليه
يالهف نفسى لهفها * ما للزمان وماليه
أوما سمعت مقالتى * ياذا الفروع الراكيه
ياعطفة الملك الرضا * عودى علينا ثانيه
فلما وقف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات
يا آل برمك انكم * كنتم ملوكا عاتيه

فعصيتم وطغيتم * وكفرتمو نعمائيه
هذى عقوبة من عصى * من فوقه وعصانيه
أجرى القضاء عليكمو * ما ختموه علانيه
من ترك نصح امامكم * عند الامور الباديه

ثم أردفه بقوله تعالى *(بسم الله الرحمن الرحيم) وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * فلما قرأها يحيى وهو بالسجن أخذته الحمى لوقته وساعته وكان ينام على التراب وأيس من الحياة وعلم انه ليس له مخلص مما هو فيه من السجن انتهى * وقيل ليحيى بن خالد بن برمك أيها الوزير أخبرنا بأحسن ما رأيت فى أيام سعادتك قال ركبت يوما فى بعض الايام فى سفينة أريد التنزه فلما خرجت برجلى لأصعد * فاتكأت على لوح من ألواحها وكان بأصبعى خاتم فطار فصه من يدى وكان ياقوتا أحمر قيمته ألف مثقال من الذهب فتطيرت من ذلك ثم عدت الى منزلى واذا بالطباخ قد أتى بذلك الفص بعينه وقال أيها الوزير لقيت هذا الفص فى بطن حوت وذلك لانى اشتريت حيتانا للمطبخ فشققت بطنها فرأيت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير أعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية * وقيل له أخبرنا ببعض مالاقيت من المحن قال اشتهيت لحما فى قدر طباخ وأنا فى السجن فغرمت ألف دينار فى شهوتى حتى أتيت بقدر ولحم مقطع فى قصبة فارسية والخل وسائر حوائجها فى قصبة أخرى وتركوا عندى ما احتاج اليه وأتيت بنار وأوقدت تحت القدر ونفخت ولحيتى فى الارض حتى كادت روحى تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتغلى وتيبت الخبز عمدت لانزلها فانفلتت من يدى وانكسر القدر على الارض

وبقيت ألتقط اللحم وأمسح منه التراب وآكله وذهب المرق الذي كنت اشتهيه وهذا أعظم مامر بي انتهى * ثم ان الرشيد نذر الحج فخرج وخرج معه العسكر وكان خروجه في رمضان فكانت تضرب له السرادقات المكللة بالديباج مفروشة بالحرير يخرج من سرادق الى سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج * فاتفق ان الوفاة دنت من يحيي وهو في السجن فكتب رقعة وأوصى لولده الفضل أن يوصلها الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

سيعلم في الحساب اذا التقينا * غدا يوم القيام من الظلوم
وينقطع التلذذ عن أناس * من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا * تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار المنايا * وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضي * وعند الله تجتمع الخصوم

قال فلما قدم الرشيد انفذها اليه الفضل * فلما قرأها علم بموته فقال مات والله يحيي ومات الجود والكرم والسخاء والله لو كان حيا ما رضيت عنه ثم أمر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه جعفر رحمة الله عليهم اجمعين قال بعضهم في البرامكة شعرا

ان البرامكة الكرام تعلموا * فعل الكرام فعلموه الناسا
كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا * لم يهدموا لبنائهم أساسا
واذا هم صنعوا الصنائع في الورى * جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلى م تسقيني وأنت سقيتني * كاس المرارة من جنابك كاسا
أنستني متفضلا أفلا ترى * ان القطيعة توحش الايناسا

وسئل اسحاق الموصلي عن سخاء اولاد يحيي بن خالد فقال أما الفضل ففعله يرضيك * وأما جعفر فقوله يرضيك وأما محمد فيفعل ما يجد *

وفى يحيى يقول القائل

سألت الندا هل أنت حر قال لا * ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة * توارثها من والد بعد والد

وفى الفضل يقول القائل

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سيل حاجة * ولا بكب فى ثرى الارض ينكت

وفى محمد يقول القائل

سألت الندا والجود مالى أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا فى ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه فى كل مشهد
فقالا أقمنا كى نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه فى غد

وذكر الحافظ السيوطى نفعنا الله به فى رسالته منتهى العقول فى منتهى النقول ان منتهى الكرم للوزراء البرامكة كاد أن لا يوجد أحد من العلماء والحكماء والعظماء والندماء الا وللبرامكة عليه كرم نماء كماء السماء وتكرم جعفر بخمسين ألف دينار من الذهب وتكرر منه كثيرا فى ولايته كلها من غير من ولا أذى ولا لغرض ولا لمرض حتى صار يضرب بهم المثل الاكبر بقولهم تبرمك فلان * ومن كرم جعفر أنه تكرم فى يوم على ألف شاعر اعطى كل شاعر ألف درهم والدرهم ثلاثة انصاف فضة * ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة آلاف دينار وعفا عن تأديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما وقع من الرشيد صار أمرهم الى ما سيوصف من الفقر والذل والاهانة * فمن ذلك ما قاله محمد ابن غسان صاحب ولاية الكوفة وقاضيها * قال دخلت على أمى فى يوم عيد أضحى فرأيت عندها عجوزا فى اطمار رثة واذا لها بيان ولسان

فقلت لأمي من هذه قالت هذه خالتك عتابه أم جعفر البرمكي بن يحيى فسلمت عليها وقلت لها أصاربك الدهر الى ما أرى قالت نعم يا بني ان الدى كنا فيه عارية أرتجعها الدهر منا قال فقلت حدثيني ببعض شأنك قالت خذه جملة لقد مضى على عيد أضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى رأسي أربعمائه وصيفة وأنا ازعم ان ابني عاق لي وقد جئتكم اليوم أطلب جلدي شاة اجعل أحدهما شعارا والآخر دثارا قال فغمني ذلك وأبكاني فوهبت لها بعض دنانير كانت عندي والله أعلم * ومن قول يحيى بن خالد لابنه جعفر يا بني ما دام قلمك يرعف فأمطره معروفا * ومن كلام جعفر اذا أحببت انسانا من غير سبب فارج خيره واذا بغضت انسانا من غير سبب فتوق شره * وقال يحيى بن سلام الابرش قال حدثني أبي قال خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما أباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدران بني برمك فرأى لوحا مكتوبا عليه هذه الابيات

يا منزلا لعب الزمان بأهله * فأبادهم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
أصبحت تفزع من رآك وطالما * كنا اليك من المهاول نفزع
ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقي الذين حياتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد وأقبل على الاصمعي وقال أتعرف شيأ من أخبار البرامكة تحدثني به فقال الاصمعي ولي الامان قال ولك الامان * فقال أحدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل بن يحيى * وذلك أنه خرج يوما للصيد والقنص وهو في موكبه اذ رأى أعرابيا على ناقة قد أقبل من صدر البرية يركض في سيره * قال هذا يقصدني فقلت ومن أعلمك قال لا يكلمه أحد غيري فلما دنا الاعرابي ورأى

المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجم الغفير وسمع الغوغة والضجة ظن أنه أمير المؤمنين فنزل وعقل راحلته وتقدم اليه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته * قال اخفض عليك ماتقول فقال السلام عليك أيها الامير قال الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من أين أقبلت يا أخا العرب قال من قضاعة قال من أدناها أو من أقصاها قال من أقصاها قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق الى ارض قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا أخا العرب مثلك من يقصد من ثمانمائة فرسخ الى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم قال البرامكة قال الفضل يا أخا العرب ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل أفرزت لنفسك منهم من اخترت لنفسك وأتيته لحاجتك قال أجل قال من قال أطولهم باعا وأسمحهم كفا قال من هو قال الفضل بن يحيى بن خالد فقال له الفضل يا أخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمناظرون للعلم أعالم أنت قال لا قال أفأديب أنت قال لا قال أفعارف أنت بأيام العرب وأشعارها قال لا قال فوردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا أخا العرب غرتك نفسك مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو ما عرفتك عنه من الجلالة بأي ذريعة أو وسيلة تقدم عليه قال والله يا أمير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف وببيتين من الشعر قلتهما فيه فقال الفضل يا أخا العرب أنشدني البيتين فان كان مما يصلحان أن تلقاه بهما أشرت عليك بلقائه وان كانا مما لا يصلحان

ان تلقاه بهما برزتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت م تستحق بشعرك شيأ قال أفتفعل أيها الامير قال نعم قال فاني أقول

ألم تران الجود من عهد آدم * تحدر حتى صار يمتلكه الفضل
ولوان أما مسها جوع طفلها * غذته باسم الفضل لاغتذى الطفل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعر وأخذ الجائزة عليهما فأنشدني غيرهما ماتقول قال أقول

قد كان آدم حين حان وفاته * أوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم * وكفيت آدم عولة الابناء

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل ممتحنا هذان البيتان أخذتهما من أفواه الناس فأنشدني غيرهما ماتقول وقد رمقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج أن تناضل عن نفسك قال اذن أقول .

ملت جهابذ فضل وزن نائله * ومل كاتبه احصاء ما يهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة * خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال أحسنت يا اخا العرب فان قال لك هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه * يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولو أن رب المال أبصر ماله * لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ماتقول قال اذن أقول

ولو قيل للمعروف نادي أخا العلا * لنادى بأعلى الصوت يا فضل يا فضل
لو أنفقت جدواك من رمل عالج * لاصبح من جدواك قد نفد الرمل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان

ايضا أنشدني غيرهما ماتقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل * وأنا لذاك الصب والباذل الفضل

على ان لى مثلا كماذكر الورى * وليس لفضل فى سماحته مثل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدنى غيرهما ماتقول

قال اقول ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد * فقامت به التقوى وقام به البذل

وقام به المعروف شرقا ومغربا * ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك قد ضجرنا من الفاضل والمفضول أنشدنى بيتين على الكنية لا على الاسم ماتقول قال اذن أقول

ألا يا أبا العباس يا واحد الورى * ويا ملكا خد الملوك له نعل

اليك تسير الناس شرقا ومغربا * فرادى وأزواجا كأنهم نحل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدنا غير الاسم والكنية والله فيه قال والله لئن زادنى الفضل وامتحننى بعد هذا لاقولن أربعة أبيات ماسبقنى اليهن عربى ولا أعجمى ولئن زادنى بعدها لاجمعن قوائم ناقتى هذه وأجعلها فى حرى أم الفضل وأرجعن الى قضاعة خاسرا ولا أبالى فنكس الفضل رأسه وقال للاعرابى يا أخا العرب أسمعنى الابيات الاربع قال أقول

ولائمة لامتك يافضل فى الندا * فقلت لها هل يقدح اللوم فى البحر

أتنهين فضلا عن عطاياه للغنا * فمن ذا الذى ينهى السحاب عن القطر

كان نوال الفضل فى كل بلدة * تحدر هذا المزن فى مهمه قفر

كان وفود الناس فى كل وجهة * الى الفضل لاقوا عنده ليلة القدر

قال فأمسك الفضل عن فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع رأسه وقال يا أخا العرب أنا والله الفضل بن يحيى سل ماشئت فقال سألتك

بالله ايها الامير انك لهو قال نعم قال له ‌ءأ قلنى قال أقالك الله اذكر ا حاجتك قال عشرة آلاف درهم قال الفضل ازدريت بنا وبنفسك يا أخا العرب تعطى عشرة آلاف درهم فى عشرة آلاف وأمر بدفع المال فلما ‌ءار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يامولاى هذا اسراف يأتيك جلف من أجلاف العرب بأبيات أسترقها من أشعار العرب فتجزيه بهذا المال فقال استحقه بـ ضورة الينا من أرض قضاعة قال الوزير أقسمت عليك يامولاى الا أخذت سهما من كنانتك وركبته فى كبد قوسك وأومأت به الى الاعرابى فان رد عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف مالك ويكون له فى بعضه كفاية ‌ءأخذ الفضل سهما وركبه فى كبد قوسه وأومأ به الى الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر فأنشأ يقول

لقوسك قرن ‌ءن الجود والوتر الندا * وسهمك سهم العز فارم به فقرى

قال فضحك الفضل وأنشأ يقول

اذا ملكت كفى منالا ولم أنل * فلا انبسطت كفى ولا نهضت رجلى
على الله اخلاف الذى قد بذلته * فلا مبق لى بخلى ولا متلفى بذلى
أرونى بخيلا نال مجدا ببخله * وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره اعط الاعرابى مائة ألف درهم لقصده وشعره ومائة ألف درهم ليكفينا شره وأيم ناقته وأخذ الاعرابى المال وانصرف وهو يبكى فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابى استقلالا بالمال الذى أعطيناك قال لا ولكنى أبكى على مثلك يأكله التراب وتواريه الارض وتذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال * ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر * يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابى بالمال مسرورا رحمة الله عليهم أجمعين * ويحكى
ان الرشيد قال لابى نواس بعنى ذقنك قال بكم قال بألف دينار قال
بعتك فقال الرشيد لخازن داره ادفع له ألف دينار فدفعها له فأخذها
وربطها وقال يا أمير المؤمنين خذ ما اشتريت قال لا ولكن جعلتها وديعة
عندك قال فمضى أبو نواس واشتغل بأمره ولهره وهو خائف على ذقنه من
أمير المؤمنين قال فبينما هو متفكر فى شئ يفعله اذ جاءه قاصد أمير المؤمنين
ولم يقدر أن يتكلم دون ان قام معه ودخل الى دار الخلافة فوجده
فى جمع كثير من خواص المملكة وأعوان الدولة وكان من شأنه أن يجلس
بالقرب من أمير المؤمنين فتعادنرا وتماجنوا فضرط ابونواس ضرطة
مزعجة أزعجت الحاضرين فضحكوا جميعا وضحك أمير المؤمنين وقال له
فى ذقنك يا معرص فقال فى الحال الله أعلم هى ذقن من فقال أمير
المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون فأخذها وانصرف وكسب الالف
دينار بهذه الحيلة والله أعلم انتهى * وكان نصر بن مقبل عاملا على
الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجد ينكح شاة فقال له ما حملك على هذا
فقال أيها الامير انها والله ملك يمينى وقد قال الله تعالى أو ما ملكت
أيمانكم فأطلقه وأمر أن تضرب الشاة الحد فان ماتت تصلب قالوا أيها
الامير انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها
فبئس الوالى أنا فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن رآه قبل فدعا به فلما
حضر بين يديه قال من أنت قال مولى الكلب فضحك منه ثم قال
كيف بصرك بالحكم فقال يا أمير المؤمنين البهائم عندى والناس
سواء ولو وجب حد على بهيمة وكانت أمى أو أختى لحددتها ولم تأخذنى
فى الله لومة لائم وأمر الرشيد أن لا يستعان به على عمل فلم يزل معطلا الى
ان مات والله أعلم *(ويحكى ان هارون الرشيد)* أمر بقتل أبى

نواس فقال أتقتلني شهوة لقتلي فقال لا بل أنت مستحق للقتل قال فبم استحقيت القتل قال بقولك

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر

فقال له يا أمير المؤمنين أفتعلم انه سقاني وشربت فقال له أمير المؤمنين أظن ذلك فقال يا أمير المؤمنين أفتقتلني على الظن وقد قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت أيضا ما تستحق به القتل فقال ما هو فقال له قولك

ما جاءنا أحد يخبر أنه * في جنة من مات أو في نار

فقال له أمير المؤمنين هل جاءنا أحد قال لا قال أفتقتلني على الصدق فقال له الرشيد أو لست القائل

يا أحمد المرتجى في كل نائبة * قم سيدي نعص جبار السموات

فقال له يا أمير المؤمنين أو صار القول فعلا قال لا أعلم قال أفتقتلني على ما لا تعلم فقال له أمير المؤمنين دع هذا كله فقد اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزنا قال أبو نواس قد علم الله هذا قبل علم أمير المؤمنين بقوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه ومن هذا أخذ الصفي الحلي فقال

نحن الذي جاء الكتاب مخبرا * بعفاف أنفسنا وفسق الالسن

وعن محمد بن نافع قال رأيت أبا نواس في النوم بعد موته فقلت يا أبا نواس فقال لات حين كنية فقلت الحسن بن هانئ قال نعم قلت ما فعل الله بك قال غفر الله لي بأبيات قلتها في علتي قبل موتي هي تحت الوسادة فسألت أهله فقلت هل قال أخي شعرا قالوا لا نعلم الا انه دعا بدواة وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته واذا أنا برقعة مكتوب فيها

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن * فمن الذي يدعو ويرجو المجرم
مالي اليك وسيلة الا الرجا * وجميل عفوك ثم اني مسلم

(وهذه حكاية العجمي والكردي وما جرى بينهما على يد القاضي بسبب الجراب) قيل ان الخليفة هارون الرشيد قلق ليلة فاستدعى بوزيره جعفر البرمكي فلما حضر عنده قال له يا جعفر اني قلقت وضاق صدري وأريد منك شيأ يشرح خاطري فقال له جعفر يا أمير المؤمنين ان لي صديقا اسمه على العجمي وعنده من جميع الحكايات والاخبار فقال على به فقال سمعا وطاعة ثم ان جعفرا خرج من عند الخليفة في طلب على العجمي فأرسل خلفه ولما حضر قال أجب أمير المؤمنين فقال سمعا وطاعة وأتى عند الخليفة فسلم وترحم فقال له الخليفة اجلس فجلس فقال له الخليفة اسمع يا على انني الليلة ضيق الصدر وقد سمعت عنك أن في ذهنك حكايات واخبارا واريد منك أن تسمعني ما يزيل همي وفكري فقال يا أمير المؤمنين تريد أن أحكي لك شيأ سمعته او رأيته فقال ان كنت رأيت شيأ فاحكه فقال سمعا وطاعة اعلم يا أمير المؤمنين أني سافرت في بعض السنين من بلدي الى هذه المدينة وهي بغداد وصحبتي غلام ظريف ومعه جراب نظيف فأودعني اياه فبينما أنا ابيع واشتري واذا أنا برجل كردي ظالم معتد هجم علي وأخذ الجراب مني وقال هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعتراني الوسواس فقال الناس جميعا امضوا الى القاضي فمضينا الى القاضي وأنا بحكمه راضي فدخلنا عليه ومثلنا بين يديه فقال القاضي في أي شيء جئتما فقال الكردي نحن خصمان قال أيكما المدعي فتقدم الكردي وقال أيد الله مولانا القاضي هذا الجراب جرابي وكل ما فيه قماشي

وثيابى وقد ضاع منى ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضى ومتى ضاع منك فقال الكردى ضاع منى بالامس فقال القاضى ان كنت عرفته فصف لى مافيه فقال الكردى ان فى جرابى هذا مقودين من لجين وأكحالا للعينين ومنديلا لليدين ومشربتين مذهبتين وشمعدانين ومكبتين وطبقين وأبريقين وصينية وطشتين وقدرة ودستين ومغرفة ومعلقيين ومسلة ومرودين ومقلمة وعلبتين وقعبا وقصعتين ومخدة وزمدين وجبة وفروتين وبقرة وعجلتين وعنزا وشاتين وفحة وخروفين وقطين أباميين وجملا وناقتين وبقرة وثورين ولبوة وسبعين ودبة وثعلبين ومرتبة وسريرين وطاقة وقاعتين ورواقا ومقعدين ومطبخا بيابين وجماعة اكراد يشهدون أن الجراب جرابى فقال القاضى فما تقول أنت يا على فتقدمت يا أمير المؤمنين وقد أبهتنى كلامه فقلت اعز الله مولانا القاضى أنا مافى جرابى الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه للصبيان كتاب وشباب يلعبون بالكعاب وفيه عساكر وأطناب ومدينة بصرى وبغداد وقصر كنعان بن شداد وكور وحداد وشبكة صياد وعصى وأوتاد وبنات وأولاد وألف قواد يشهدون أن الجراب جرابى فلما سمع الكردى هذا الكلام بكى وانتحب وقال يا سيدى القاضى جرابى هذا معروف وكل مافيه موصوف فى جرابى هذا حصون وقلاع وقرى وضياع وطابق للصراع ووحوش وسباع ورجال يلعبون الطابة والرقاع وان فى جرابى هذا حجرة رمدين وفحلا وحصانين ورمحين طويلين وسبعين وأرنبين وسكينا وخنجرين وبحرا وخليجين وكرما وجوختين وعشارى مركبين وصارى وقريتين وكورة ودكانين ومقثلة وبردين وعجوزا وفخذين وقوادا وشاطرين ومخنثا وعلقين

واعمى

وأعمى وبصيرين وأعرج ومكسحين وعيارا وأزعرين وجامعا
ومدرستين وديرا وكنيستين وقسيسا وشماسين وبتركا وراهبين
وقضيا وشاهدين يشهدون أن الجراب جرابي فقال القاضي م تقول
أنت يا علي فبادرت يا أمير المؤمنين وقد امتلأت غيظا وزدت في الحمق
وقلت أيد الله مولانا القاضي ان في جرابي هذا زردخانات مصاح وخزائن
سلاح وألف كبش نطاح في عشرين مراح وأربعين كلب نباح
وبساتين وكروم عنب وتين وتفاح وصورا وأشباح وقناني وأقداح
وعرائس ملاح ومغاني وافراح وهرجا وصياح وعبدا فلاح وأخاه
نجاح ورفيقه صباح ومعهم سيوف ورماح وقسي ونشاب وأصدقاء
وأحباب وخلان وأصحاب ومجالس للعتاب وندمان الشراب وطنبور
مع رباب ونايات وقناني مصفوفات وصبيان ودايات وأختان معلمات
وبنات مجليات وجواري مغنيات وجاريتان حبشيات وثلاثة هنديات
وأربعة بدويات وخمسة روميات وستة تركيات وسبعة عجميات
وثمانية حلبيات وتسعة كرجيات وعشرة كابيات والدجلة
والفرات وشبكة وصياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد وألف
جواد وقصر شداد بن عاد وغانات مع حمامات وقدوم ونجار
وخشبة مع مسمار وتاجر مع عطار وبزار مع بيطار وعبد أسود بزمار
ومقدم وركبدار ومدن وامصار ومائة ألف دينار وبواب وكستدار
ورأس نوبة وعلم دار والكوفة مع الانبار وعشرون صندوقا ملآنة
قماش ودكانان نحاس وحاصلان معاش وبرجان للحمام وغزة
وعسقلان ومن دمياط الى اسوان وايوان كسرى وملك سليمان ومن
كوش نعمان الى أرض خراسان وبلخ وأصبهان ومن الهند الى بلاد
السودان وفيه أطال الله عمر مولانا القاضي قماش وغلائل وعراضي

وموسى بحذاء مضى تحلق ذقن مولانا القاضى ان حكم ان الجراب ماهو جرابى فعند ذلك يا أمير المؤمنين مارأى القاضى مما سمع ثم قال ما أراكما الا شخصين خسيسين تلعبان بالقضاة والحكام لان ماوصف الواصفون ولا سمع السامعون ماوصفتم فى هذا الجراب ماهذا الا بحر ليس له قرار ثم أمر القاضى بفتح الجراب ففتحه الكردى فاذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم انى رميت الجراب قدام القاضى والكردى ومضيت الى حال سبيلى فلما سمع أمير المؤمنين ذلك ضحك حتى استلقى على قفاه وقد زال همه وأحسن جائزة على العجمى وانصرف والله أعلم

(معن بن زائدة الشيبانى) كان من الكرماء يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر على بابه شاعر وأقام مدة يريد الدخول فلم يتيسر له ذلك فقال يوما لبعض الخدام اذا دخل الامير البستان فعرفنى فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها هذا البيت مكتوب

أياجود معن ناج معنا بحاجتى * فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه وأتى به اليه فقال كيف قلت فأنشده البيت فأمر له بعشر بدر وأخذها وانصرف فوضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان فى اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها ودعا بالرجل وأمر له بمائة ألف درهم فلما كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بما كان معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل ولم يوجد فقال معن والله لقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار الا أعطيته له وفيه يقول الشاعر

يقولون معن لازكاة لماله * وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يجد في دياره * من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذي أنت تأمله
هو البحر من أي النواحي أتيته * فلجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
فلو أن ما في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعني أهب الاموال حتى أعف الاكرمين عن اللئام
ويروى أن معن بن زائدة خرج في جماعة يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء وتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي فلما ظفر به نزل فذبحه فرأى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه فاستقبله فسلم عليه وقال له من أين أتيت قال أتيت من أرض قضاعة وان لي بها أرضا لها عدة سنين مجدبة وقد أخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثاة فطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمه المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور فقال له كم أملت منه قال ألف دينار فقال له ان قال لك كثير قال خمسمائة دينار قال ان قال لك كثير قال ثلاثمائة دينار قال ان قال لك كثير قال مائتي دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان قال لك كثير قال خمسين دينارا قال ان قال لك كثير قال فلا أقل من ثلاثين قال فان قال لك كثير قال أدخل قوائم حماري في حرامه وأرجع الى أهلي خائبا فضحك معن منه وساق جواده حتى لحق بعسكره ونزل منزله وقال لحاجبه اذا أتاك شيخ على حمار بقثاء فادخل به علي فأتى بعد ساعة فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه وحشمه وهو متصدر في دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه

وشماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير معن ما الذى أتى بك يا أخا العرب قال أمّلت الامير وأتيته بقثاء فى غير أوانها قال فكم أملت فينا قال ألف دينار قال كثير قال خمسمائة دينار قال كثير قال ثلاثمائة دينار قال كثير قال مائتى دينار قال كثير قال مائة دينار قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل الذى قابلنى على ميشوما ثم قال خمسين دينارا قال كثير قال أفلا أقل من ثلاثين قال فضحك معن وسكت فعلم الاعرابى انه صاحبه فقال يا سيدى ان لم تعطنى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها أنا مع من جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم استدعى بوكيله وقال أعطه ألف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتى دينار ومائة دينار وخمسين دينارا وثلاثين دينارا ودع الحمار مربوطا مكانه فبهت الاعرابى وتسلم ألفى دينار ومائة وثمانين دينارا فرحمة الله عليهم أجمعين وقيل كان معن بن زائدة فى بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد أقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه فطلب شيأ من المال مع غلمانه فلم يجده فدفع لكل واحدة منهن عشرة أسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت احداهن ويلكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيأ من الابيات فقالت الاولى

يركب فى السهام نصول تبر * ويرميها العدا كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح * وأكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه * عمت مكارمه الاقارب والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد * كى لا يفوته التقارب والندا

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمى اعداءه باسهم * من الذهب الابريز صيغت نصولها
ليشفى بها المجروح عند انقطاعه * ويشترى الاكفان منها قتيلها

وكان مع كرمه صاحب شهامة فمن ذلك انه سعى رجل فى افساد دولة المهدى وكان من أهل الكوفة فعلم به فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فأقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر فى مدينة السلام فبينما هو فى بعض الشوارع اذ رآه رجل من أهل الكوفة فعرفه فأخذ بمجامع طوقه ونادى هذا طلبة أمير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد جمع حوله خلق كثير اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو بمعن بن زائدة فقال يا أبا الوليد أجرنى أجارك الله فوقف فقال للرجل الذى تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبة أمير المؤمنين وهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم فقال له معن دعه ثم قال يا غلام أردفه فأردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل أيحال بينى وبين من طلبه أمير المؤمنين ولم يزل صارخا الى ان أتى قصر المهدى فأمر المهدى باحضار معن فأتته الرسل فدعا معن أولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل وواحد منكم يعيش ثم سار الى المهدى فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن أتجير علينا عدونا قال نعم يا أمير المؤمنين قال المهدى ونعم أيضا واشتد غضبه فقال معن يا أمير المؤمنين بالامس بعثتنى الى اليمن مقدم الجيش فقتلت فى طاعتك فى يوم واحد عشرة آلاف رجل ولى مثل هذا أيام كثيرة فما رأيتمونى أهلا ان أجير رجلا واحدا استجار بى ودخل منزلى فسكن غضب المهدى وقال قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد قال معن فان رأى أمير المؤمنين ان يصله بصلة يعلم منها موقع الرضى فان قلب الرجل قد انخلع من صدره خوفا قال قد أمرنا له بخمسين ألف درهم قال يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية

قال قد أمرنا له بمائة ألف درهم قال عجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله فأحضر معن الرجل وقال له خذ صلة أمير المؤمنين وقبل يده وإياك ومخالفة خلفاء الله في أرضه فيا بكل مرة تسلم الجرة فأرسلها الناس مثلا وأخذ الرجل المال واستغفر الله انتهى وكان معن لا يغيظ أحدا ولا أحد يغيظه فقال بعض الشعراء أنا أغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة بعير ان أغاظه أخذها وان لم يغظه دفع مثلها فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والدم يقع عليه ويقوم ولبس برجليه نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدي معن على هذه الصورة المشروحة ومد رجليه في وجهه وقال

أنا والله لا أبدي سلاما * على معن المسمى بالأمير

فقال له معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم ما عتبنا عليك فقال الشاعر

ولا أنزل بلادا أنت فيها * ولو حزت الشام مع الثغور

فقال له البلاد بلاد الله ان نزلت مرحبا بك وان رحلت كان الله في عونك فقال الشاعر

وأرحل عن بلادك ألف شهر * أجد السير في أعلى القفور

فقال له صحبتك السلامة فقال الشاعر

أتذكر إذ قميصك جلد شاة * وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال له أعرف ذلك ولا أنكره فقال الشاعر

وتأوي كل مسطبة وسوق * بلا عبد لديك ولا وزير

فقال له ما نسيت ذلك يا أخا العرب فقال الشاعر

ونومك فى الشتاء بلا رداء * وأكلك دائما خبز الشعير

فقال له الحمد لله على كل حال فقال الشاعر

وفى يمناك عكاز قوى * تزود به الكلاب عن الحرير

فقال له ما خفى عليك خبرها اذ هى كعصا موسى فقال الشاعر

فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

فقال له بفضل الله لا بفضلك فقال الشاعر

فعجل يا ابن ناقصة بمال * فانى قد عزمت على المسير

فأمر له بألف دينار فقال الشاعر

قليل ما أمرت به فانى * لأطمع منك بالشئ الكثير

فأمر له بألف دينار أخرى فقال الشاعر

فتلك اذ ملكت الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بثلاثمائة دينار فقال الشاعر

ولا أدب كسبت به المعالى * ولا خلق ولا رأى منير

فأمر له بأربعمائة دينار فقال الشاعر

فمنك الجود والافضال حقا * وفيض يديك كالبحر الغزير

فأمر له بخمسمائة دينار ومازال يطلب منه الزيادة حتى استكمل ألف دينار فأخذها وانصرف متعجبا من حلم معن وعدم انتقامه منه ثم قال فى نفسه مثل هذا لا ينبغى ان يهجى بل يمدح واغتسل ولبس ثيابه ورجع اليه فسلم عليه ومدحه واعتذر له بأن الحامل له على هجوه المائة بعير التى صار الرهن عليها فى نظير اغاظته له فأمر له بمائة بعير يدفعها فى نظير الرهن ومائة بعير أخرى لنفسه فأخذها وانصرف والله أعلم

(خلافة المأمون بن هارون الرشيد واسمه عبد الله)

ومما وضع فى بطون الدفاتر * واستحسنته عيون البصائر * ونقلته

الاصاغر عن الاكابر * مارواه خادم أمير المؤمنين المأمون * قال
طلبني أمير المؤمنين المأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ
معك فلانا وفلانا وسماهما لي أحدهما علي بن محمد والآخر دينار
الخادم واذهب مسرعا لما أقول لك فانه بلغني ان شيخا يحضر ليلا الى
آثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا ويندبهم
ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض أنت وعلي ودينار حتى تردوا تلك
الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى
وندب وأنشد أبياتا فأتوني به قال فأخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات
فاذا نحن بغلام قد أتى ومعه بساط وكرسي حديد واذا شيخ قد جاء
وله جمال وعليه مهابة ولطف فجلس على الكرسي وجعل يبكي
وينتحب ويقول هذه الابيات

ولما رأيت السيف جندل جعفرا * ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا
مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا له أجب أمير المؤمنين ففزع
فزعا شديدا وقال دعوني حتى أوصي بوصية فاني لا أوقن بعدها بحياة
ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية
وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين فقال حين
رآه من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم
قال الخادم ونحن نستمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادي
خضرة عندي اتأذن لي احدثك بحالي معهم قال قل فقال يا امير
المؤمنين أنا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي
كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع ما على راسي
ورؤس اهلي وبيتي الذي ولدت فيه اشاروا علي بالخروج الى البرامكة

فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبيا وصبية وليس معنا
ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت
ببعض ثياب كنت أعددتها لاستتر بها فلبستها وخرجت وتركتهم
جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن البرامكة فاذا أنا
بمسجد مزخرف وفي جانبه شيخ بأحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان
وفي الجامع جماعة جلوس فطمعت في القوم ودخلت المسجد وجلست
بين أيديهم وأنا أقدم رجلا وأؤخر أخرى والعرق يسيل مني لانها لم
تكن صناعتي واذا الخادم قد أقبل ودعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا
دار يحيي بن خالد فدخلت معهم واذا يحيي جالس على دكة له وسط
بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدا وبين يديه عشرة من ولده واذا
بأمرد نبت العذار في خديه قد أقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة
خادم متمنطقون في وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من
ألف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب في كل مجمرة قطعة من عود
كهيئة الفهر وقد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي
الغلام وجلس الى جنب يحيي ثم قال للقاضي تكلم وزوج ابنتي عائشة
من ابن أخي هذا فخطب القاضي خطبة النكاح وزوجه وشهد أولئك
الجماعة وأقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله
يا أمير المؤمنين ملء كمي ونظرت واذ نحن في المكان ما بين يحيي
والمشايخ وولده والغلام مائة واثنا عشر واذا بمائة واثني عشر خادما
قد أقبلوا ومع كل خادم صينية من فضة على كل صينية ألف دينار
فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يضعون
الدنانير في أكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ويقوم الاول فالاول
حتى بقيت وحدي لا أجسر على أخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت

وأخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت ألتفت الى ورائي مخافة ان أمنع من الذهاب فبينما انا كذلك الى ان وصلت الى صحن الدار ويحيي يلاحظني فقال للخادم ائتني بهذا الرجل فأتاني فقال مالي أراك تلتفت يمينا وشمالا فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فأتاه به فقال له يابني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى ولده على يدي وأدخلني الى دار من دوره فأكرمني غاية الاكرام وأقمت عنده يومي وليلتي في ألذ عيش وأتم سرور * فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال له الوزير أمرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغدة سلمني أخوه أحمد ثم لم أزل في أيدي القوم يتداولوني مدة عشرة أيام لا أعرف خبر عيالي وصبياني أفي الاموات هم أم في الاحياء فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر الاخير رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك * واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنادق وأقمت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاثة عشر سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا أم رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل

بهم يا أمير المؤمنين من الرشيد ما نزل أجحفني عمرو بن مسعدة وألزمني
في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على
الدهر كنت في آخر الليل أقصد خرابات دورهم فأندبهم وأذكر حسن
صنعهم الي وأبكي على أجسامهم فقال المأمون علي بعمرو بن مسعدة
فلما أتي به قال له أتعرف هذا الرجل قال يا أمير المؤمنين هو بعض
صناع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعتيه قال كذا وكذا فقال له رد
اليه كلما اخذته منه في مدته وأفرغهما له ليكونا له ولعقبه من بعده قال
فعلا نحيب الرجل فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له يا هذا قد أحسنا
اليك فما يبكيك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنيع البرامكة لو لم
آت خراباتهم فأبكيهم وأندبهم حتى اتصل خبري الى أمير المؤمنين ففعل
بي ما فعل من أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون
فرأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من
صنائع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فأوف ولاحسانهم
فاذكر انتهى * قال اسحاق دخلت يوما على المأمون في زمن الورد
فقال لي يا اسحاق هل قلت شيأ في الورد قلت أقول بسعادة أمير
المؤمنين وفكرت ساعة فلم تسمح قريحتي في ذلك الوقت بشئ
فخرجت من عنده وبقيت ليلتي ساهرا متفكرا فلم يقع لي بشئ * فلما
أصبحت غدوت أريد دار الخلافة واذا غلام الفضل بن مروان على باب
المأمون ومعه سبع وردات على صينية فضة ينتظر الاذن بالدخول بها
عليه فسألته المهلة بها قليلا فامتنع فسألته ثانيا وقلت أمهل قليلا ولك
بكل وردة دينار فأجابني الى ذلك فدفعت له سبعة دنانير وأحببت
أن لا يصل اليه الورد قبل وصول الشعر وخرجت أقصد الازقة لعلي اسمع
شيأ من احد أو ينبعث خاطري ولو ببيت واحد فبينما انا كذلك واذا انا

برجل يغربل التراب وهو ينشد ويقول

اشرب على ورد الخدود فانه * أزهى وأبهى فالصبوح يطيب
ما الورد أحسن من توردوجنة * حمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكأنه * ذهب بقالب فضة مصبوب

فلما سمعته نزلت عن دابتي ودخلت مسجدا بالقرب منه وطلبته فلما أقبل سألته ان يمليها على فأبى وقال ان أردت فأعطني بكل بيت عشرة دنانير فدفعتها له واستمليتها منه ثم عدت ودخلت أنا وغلام الفضل بن مروان واذا بالمأمون يشرب من وراء الستارة فلما جسيت العود قال للجوارية اسكتن فقد جاء اسحاق فقدم ذلك الورد بين يديه وأنشدت الابيات فسمعت الشهيق والنعير من وراء الستارة ثم أخرج الى بدرة فيها عشرة آلاف درهم فأعدت الابيات فأخرج الى بدرة أخرى فأعدت الثالثة فأخرج الى بدرة ثالثة فأخذت فى غير الشعر فخرج الى خادم وقال يقول لك أمير المؤمنين لودمت على انشادك لدمنا على البدرة ولو الى الليل انتهى من حلبة الكميت * ويحكى عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت الى مجلس أمير المؤمنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق به واحتفظ عليه وبكر به الى فى غد واحترز عليه كل الاحتراز * قال العباس فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى اوصانى بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب الا أن يكون معى فى بيتى فلما تركوه فى دارى أخذت اسأله عن قضيته وحاله ومن هو فقال أنا من دمشق فقلت جزى الله دمشق وأهلها خيرا فمن أنت من اهلها فقال وعمر تسأل قلت أو تعرف فلانا قال لى ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت ا

وقعت لى معه قضية فقال ما كنت بالذى اعرفك خبره حتى تعرفنى قضيتك معه فقلت ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فسمعت أداها وقد خرجوا علينا حتى ان الوالى خرج فى زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهربت فى جملة القوم فبينما أنا هارب فى بعض الدروب واذا بجماعة يغدون خلفى فمازلت أغدو أمامهم حتى تجاوزتهم ومررت بهذا الرجل الذى ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت يا هذا أغثنى أغاثك الله قال لا بأس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت لى زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا ها هو هنا فصاحت بهم المرأة وزجرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملنى رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لا بأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة واجمله وافرز لى مكانا من داره ولم يحوجنى الى شىء ولم يفتر عن تفقد احوالى فأقمت عنده اربعة اشهر فى أتم عيش وأرغده الى أن سكنت الفتنة وهدأت وزال أثرها فقلت له أتأذن لى فى الخروج حتى اتفقد حال غلمانى فلعلى اقف منهم على خبر فأخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم ار لهم أثرا فرجعت اليه وأعلمته بالخبر وهو مع هذا كله لا يعرفنى ولا يعرف من أنا فقال لى على ما تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد قال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج فقلت له انك قد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله أنى لا انسى

لك هذا الفضل ولا وفينك مهما استطعت * قال فدعا بغلام أسود وقال له انعل الفرس الفلاني ثم جهز آلة السفر فقلت في نفسي ما أشك انه يريد ان يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فأقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاء في السحر فقال يافلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره ان تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف أصنع وليس معي ما أتزود به ولا ما أكري به مركبا ثم قمت فاذا هو وامرأته يحملان بقجة من أفخر اللباس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدم لي غلاما وعلى كتفه صرتان وفوقهما مرتبة السفر وسجادة من أفخر ما يكون وأعلمني ما في الصرتين أنه خمسة آلاف درهم وشد لي الفرس الذي أنعله بسرجه ولجامه وقال لي اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركوبك وأقبل هو وامرأته يعتذران الي من التقصير في أمري وركب معي من يشيعني وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره لأفي بعهدي له في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع أمير المؤمنين ولم أقدر أتفرغ الى ان ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا اسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد امكنك الله من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنعه بلا كلفة عليك ولا مؤونة تلزمك * فقلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل واما الضر الذي انا فيه فقد غير عليك حالي وما كنت تعرفه مني ثم لم يزل يذكرلي تفاصيل الاسباب حتى أثبت معرفته فما تمالكت ان قمت قبلت رأسه ثم قلت له فما الذي صيرك الى ما ارى * قال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التي كانت في ايامك فنسبت الي وبعث امير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد فأخذت انا وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى أمير المؤمنين وامري عنده عظيم وهو

قاتلي لا محالة وقد أخرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من ينصرف اليهم بخبري وهو نازل عند فلان فان رأيت ان تجعل من مكافاتك لي أن ترسل من يحضره لي حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقمت بوفاء عهدك * قال العباس فقلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدادا في الليل فك قيوده وأزال ما كان عليه من الانكال وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سير من أحضر اليه غلامه فلما رآه جعل يبكي ويوصيه فاستدعى العباس نائبه وقال علي بفرسي الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل وحضر لي بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لعامله في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه الى حد الانبار فقال له ان ذنبي عظيم عند أمير المؤمنين وخطبي جسيم وان أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأرد وأقتل فقال انج بنفسك ودعني أدبر أمري فقال والله لا ابرح من بغداد حتى أعلم ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضوري حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا وكذا فان أنا سلمت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت وقيته بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فأخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه وتحنط وجهزله كفنا قال العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسل المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين واذا هو جالس وعليه كآبة فقال

أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال لله علي عهد لئن ذكرت انه هرب لاضرب عنقك فقلت لا والله يا أمير المؤمنين انه ماهرب ولكن اسمع حديثي معه وحديثه ثم شأنك وما تريد تفعله في أمري قال قل فقلت يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني أريد ان أفي له وأكافئه على مافعله معي وقلت أنا وسيدي ومولاي أمير المؤمنين بين أمرين اما ان يصفح عني وقد وفيت وكافأت واما ان يقتلني فأقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال ويحك لاجزاك الله خيرا عن نفسك انه فعل بك مافعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لاغير الاعرفتني خبره فكنت أكافئه عنك ولا أقصر بوفائي له فقلت يا أمير المؤمنين انه هاهنا وقد حلف انه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه منة أعظم من الاولى اذهب الآن فطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى أتولى مكافأته عنك قال فأتيت اليه وقلت ليزل عنك حزنك ان أمير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء أحد سواه ثم قام فصلى ركعتين ثم أتيت به الى أمير المؤمنين فلما مثل بين يديه أقبل عليه وأدنى مجلسه وحدثه حتى حضر الغداء وأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى عنها فأمر له المأمون بعشرة أفراس بسروجها ولجمها وعشرة أبغال بآلاتها وعشرة بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به وأطلق خراجه وأمر بمكاتبته بأحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون

وكلما

كلما وصلت خريطة البريد وفيها كتابه يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله أعلم ويحكى عن اسحاق الموصلي أنه قال خرجت ليلة من عند المأمون متوجها الى بيتي فأحسست بالبول فعمدت زقاق وقمت لا تمسح بالحيطان واذا بزنبيل كبير بأربعة آذان ملبس ديباجا فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا في أمره فحملني السكر وقال لي اجلس فيه فجلست فلما أحس بي الذين كانوا يرقبونه جذبوه الى رأس الحائط فاذا أنا بأربع جوار يقلن لي انزل بالرحب والسعة ومشت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت الى دار ومجالس مفروشة لم أر مثلها الا في دار الخلافة فجلست فما شعرت بعد ساعة الا بستور قد رفعت في ناحية من الجدر واذا بوصائف يتماشين وفي أيديهن الشمع وبعض مجامر يحرق فيهن العود وبينهن جارية كأنها البدر الطالع فنهضت وقالت مرحبا بك من زائر وجلست ثم سألتني عن خبري فقلت انصرفت من عند بعض اخواني وغرني الوقت وحرقني البول فعمدت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملني السكر على أن جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ أكسبنيه قالت لا ضير وأرجو أن تحمد عاقبة أمرك ثم قالت فما صناعتك قلت بزاز ببغداد فقالت هل رويت من الاشعار شيأ قلت شيأ ضعيفا قالت فذاكرنا شيأ قلت ان للداخل حشمة ولكن تبدئين أنت قالت صدقت فأنشدتني شعرا لجماعة من القدماء والمحدثين من أجود أقاويلهم وأنا مستمع لا أدري مم أعجب من حسنها أم من حسن روايتها ثم قالت أذهب ما كان منك من الحصر قلت اي والله قالت فان رأيت أن تنشدنا فأنشدتها شيأ لجماعة من القدماء مافيه مقنع فاستحسنت ذلك ثم قالت والله ما ظننت أن يوجد في أبناء السوقة هذا ثم أمرت بالطعام فأحضر فجعلت تقطع وتضع قدامي وفي المجلس

من صنوف الرياحين وغريب الفواكه مالا يكون الا عند سلطان ودعت بالشراب فشربت قدحا ثم ناولتني قدحا ثم قالت هذا أوان المذاكرة والاخبار فاندفعت أذاكرها وقلت بلغني أن كذا وكذا وكان رجل يقال له كذا حتى أتيت على عدة أخبار حسان فسرت بذلك وقالت كثر تعجبي أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هذه أحاديث ملوك فقلت كان لي جار يحادث الملوك وينادمهم واذا تعطل حضرت معه فربما حدثت بما سمعت فقالت لعمري لقد أحسنت الحفظ وما هذه الاقريحة جيدة وأخذنا في المذاكرة اذا سكت ابتدأت واذا سكتت ابتدأت أنا حتى قطعنا أكثر الليل وبخور العود يعبق وأنا في حالة لو توهمها المأمون لطار شوقا اليها فقالت انك من أظرف الرجال وضيء الوجه بارع في الادب وما بقي الاشئ واحد قلت وما هو قالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار قلت والله لقديما كنت ألفت به ولم أرزقه وأعرضت عنه وفي قلبي منه حرارة وكنت احب في مثل هذا المجلس شيأ منه لتكمل لذتي قالت كأنك عرضت فقلت والله ماهو تعريض قد بدأتي لفضل وأنت جديرة على ذلك فأمرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بحسنه مع حسن أدبها وجودة الضرب بالكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا الصوت ومن غنى به قلت لا قالت الشعر لفلان والمغني اسحاق قلت واسحاق هذا جعلت فداك بهذه الصفة قالت بخ بخ اسحاق بارع هذا الشأن فقلت سبحان الله أعطى هذا الرجل مالم يعطه أحد قالت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على ذلك حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلت عجوز كأنها داية لها وقالت ان الوقت قد حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما كنا فيه فان المجالس بالامانات قلت جعلت فداك لم أكن

أحتاج الى وصية فى ذلك فودعته وجارية بين يدى الى باب الدار فرفعت لى فخرجت ورحت الى دارى فصليت الصبح ونمت فانتهى رسول المأمون الى فسرت اليه وأقمت عنده نهارى فلما كان العشاء تفكرت ما كنت فيه البارحة وهذا شئ لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل فوجدته على عادته فجلست فيه ورفعت الى موضع البارحة واذاهى قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت ولا أظن الا انني قد نقلت وأخذنا فى المحادثة فى مثل تلك الليلة السالفة فى المذاكرة والمناشدة وغريب الغناء منها الى الفجر وانصرفت الى منزلى فصليت الصبح ونمت فانتهى رسول أمير المؤمنين الى فمضيت اليه وأقمت نهارى عنده فلما كانت العشية توجه الى حظاياه وقال أقسمت عليك لتجلس حتى أجىء رأحضر فما كان حتى أن غاب وجالت وساوسى فلما تذكرت ما كنت فيه هان على ما يخصنى من أمير المؤمنين فوثبت مبادرا وخرجت جاريا حتى أتيت الزنبيل فجلست فيه فرفعت الى مجلسى فقالت صديقنا قلت اى والله قالت أجعلتها دار اقامة قلت جعلت فداك حق الضيافة ثلاثة أيام فان رجعت بعد ذلك فأنتم فى حل من دمى ثم جلسنا على تلك الحال فلما قرب الوقت علمت بأن المأمون لابد أن يسألنى فلا يقنع الا بشرح القصة فقلت لها أراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم أحسن منى وجها وأظرف قدا وأكثر أدبا وأطيب أدبا وهو أعرف خلق الله بغناء اسحاق فقالت طفيلى وتقترح قلت لها أنت المحكمة ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت وذهبت فلم أصل الى دارى الا ورسل المأمون قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسى وهو مغتاظ منى فقال يا اسحاق أخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال فما قصتك

أصدقنى قلت نعم فى خلوة فأومأ الى من بين يديه فتنحوا فحدثته الحديث وقلت له وعدتها بك قال أحسنت فأخذنا فى لذتنا ذلك اليوم والمأمون معلق القلب بها فلما صدقنا أن جاء الوقت وسرنا وأنا أوصيه وأقول له تجنب واحذر أن تناديني باسمي قدامها وبحضرتها وغنى وأنا لك تبع وهو يقول نعم ثم سرنا الى عند الزنبيل فوجدناهما اثنين فقعدنا فيهما ورفعنا الى الموضع المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما رآها المأمون بهت فى حسنها وجمالها وأخذت تذاكره وتناشده الاشعار ثم أحضرت النبيذ فشربنا وهى مقبلة عليه مسرورة به وهو أكثر فأخذت العود وغنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار وأشارت الى قلت نعم قالت والله انكما لقريبان فلما شرب المأمون ثلاثة أرطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا اسحاق قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت انه الخليفة نهضت الى مكان فدخلته فلما فرغت من الصوت قال انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز وقالت للحسن ابن سهل فقال على به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر فقال له المأمون ألك ابنة قال نعم قال ما اسمها قال بوران قال أمتزوجة قال لا والله قال فانى أخطبها منك قال هى جاريتك وأمرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفا تحمل اليك صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال نعم ثم خرجنا فقال يا اسحاق لا توقف على هذا الحديث أحدا فسترته الى أن مات المأمون فما اجتمع لاحد مثل ما اجتمع لى فى تلك الاربعة أيام مجالسة المأمون بالنهار وبوران بالليل ووالله ما رأيت احدا من الرجال مثل المأمون ولا شاهدت امرأة تقارب بوران فهما وعقلا والله تعالى أعلم اه من حلبة الكميت وقيل كان المأمون يوما يأكل مع أبيه الرشيد فلما فرغ حملت جارية تصب

الماء على يد الرشيد فنظر اليها المأمون وأشار اليها كأنه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينها وأبطأت في الصب بقدر النظر الى المأمون فقال لاى شئ صغى الابريق في يدك فوالله لئن لم تصدقيني الحق لاضربن عنقك فقالت يا سيدي نظر الى عبد الله المأمون وأشار الى كأنه يقبلني فانكرت ذلك بعيني فنظر الرشيد الى المأمون فسقط مغشيا عليه كأنه ميت مما داخله من الخوف والجزع فاخذه وضمه الى صدره وقال له يا عبد الله أتحبها قال اى والله يا أمير المؤمنين فقال له هي لك خذ بيدها وادخل بها الى هذه القبة قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال له هل قلت في هذا شيأ قال نعم يا أمير المؤمنين ثم أنشد يقول

ظبي كنيت بطرفي * عن الضمير اليه
قبلته من بعيد * فاعتل من شفتيه
ورد أخبث رد * بالكسر من حاجبيه
فما برحت من مكاني * حتى قدرت عليه

وعن أبي عبد الله النميري انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فأطلق عنان فرسه وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر من ماء بحر الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعمة النهد كأنها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملأتها من النهر ورفعتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاؤها فصاحت برفيع صوتها يا أبت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أى العرب أنت فقالت أنا من بني كلاب قال وما حملك أن تكوني من الكلاب قالت والله لست من الكلاب وانما أنا من قوم كرام غير لئام

يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت قال أو عندكم علم بالانساب قالت نعم قال أنا من مضر الحمراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا وأعظمها حسبا وخيرها أما وأبا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت أظنك من كنانة قال أنا من كنانة قالت من اي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محتدا وأكرمها في المكرمات بدا ممن تهابه كنانة وتخشاه قالت والله أنت من بني هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين قال فعجب المأمون منها وطرب طربا شديدا ثم قال لاتزوجن بها لانها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العسكر فنزل وأرسل خلف أبيها وخطبها منه فزوجه بها وهي والدة العباس والله أعلم *(ومن محاسن الأخلاق)* ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح لغلامه يسقيه وأنا نائم فينغص على نومي فرأيته وقد قام يتمشى على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وكان بينه وبين الماء نحو ثلاث مائة خطوة ثم رجع يتمشى على أطراف أصابعه حتى وصل الى الفراش الذي أنا عليه فخطى خطوات لطيفة لئلا ينبهني حتى وصل الى فراشه ثم رأيته آخر الليل وقد قام يبول فقعد طويلا يحاول ان أتحرك فيصيح للغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتأهب للصلاة ثم جاءني وقال كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت ان أصيح للغلام فأزعجك فقلت يا امير المؤمنين لقد خصك الله بأخلاق الانبياء عليهم السلام ووهب لك سيرتهم فهنأك الله بهذه النعمة وأتمها

عليك فأمر لي بألف دينار وانصرفت وحدث سليمان الوراق قال
ما رأيت أعظم حلما من المأمون دخلت عليه يوما وفي يده فص مستطيل
من ياقوت احمر له شعاع قد اضاء له المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه
ثم دعا برجل صائغ فقال له اصنع بهذا الفص كذا وكذا واحمل فيه كذا
وكذا وعرفه كيف يعمل به فأخذه الصائغ وانصرف ثم عدت الى
المأمون بعد ثلاث فتذكره فاستدعى بالصائغ فأتى وهو يرعد وقد انتقع
لونه فقال له المأمون ما فعلت بالفص فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم
المأمون بالفراسة انه حصل به خلل فولى وجهه عنه حتى سكن جاشه
ثم التفت اليه واعاد القول فقال الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان
فاخرج الفص اربع قطع وقال يا امير المؤمنين سقط من يدي على
السندال فصار كما ترى فقال المأمون لا بأس عليك اصنع به أربع
خواتم وألطف له في الكلام حتى ظننت انه كان يشتهي الفص على
أربع قطع فلما خرج الرجل من عنده قال أتدرون كم قيمة هذا الفص قلنا
لا قال اشتراه الرشيد بمائة ألف وعشرين ألفا انتهى ومن حلمه أيضا
قال يحيى كنت أنا والمأمون يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان
من أوله الى آخره وكنت مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان
يجذبني ان أكون في الظل وهو في الشمس فأمتنع من ذلك حتى اذا
رجعنا قال لي والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك حتى
آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك منها فقلت والله يا أمير
المؤمنين لو قدرت أن أقيك من هول المطلع لفعلت ولم يزل بي حتى تحولت
الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي
عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في صحبة
من لا ينصف ومن حلمه أيضا انه كان له خادم يسرق طاساته التي

يتومنا فيها فقال له المأمون يوما اذا سرقت شيأ فأتني به اسرقه فأشتريه
منك فقال له الخادم اشترمني هذه وأشار الى التي بين يديه فقال بكم
قال بدينارين قال على شرط انك لا تسرقه قال نعم فأعطاه دينارين
فلم يعد الخادم يسرق بعدها شيأ لما رأى من حلمه والله أعلم وروى
بعض أهل الادب ان فتى من أهل الكوفة قد فاق أهل زمانه فى الادب
والبيان والفصاحة باللسان ناقدا فى صناعته حافظا للاقدار راويا
للاشعار خبيرا بسير الملوك فى الايام السالفة بصيرا بالبحث عن أمورهم
فى الايام الآنفة حاذقا فى التصنيف متقنا فى التأليف صبيح الوجه
مقبول المشاهد حلو الشمائل وكان مع ذلك لا يتوجه له وجه من العمل
الا عارضه فيه عائق وحال دونه حائل وقدر سابق فبقى حينا من الدهر
وقد برز فى القدر والمال والجاه من كان عنده فى الصناعة متأخرا
فضاق صدره وعيل صبره وضاقت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى
فى بعض خاناتها منزلا وأجمع رأيه على أن يحمل نفسه على خطب
هائل ليكون فيه هلكة أو ملكة وتربص لذلك الى أن يرى وجها الى
ان عزم أمير المؤمنين المأمون أن يشرب يوما هو وصنوه المعتصم فأمر
المأمون بالاستعداد ليوم سماه ليخلوا فيه مع الجوارى منفردين عن سائر
الندماء فظهر خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذى عزما عليه
فعزم هذا الاديب المذكور على أن يتطفل فى ذلك اليوم على المأمون
وأخيه المعتصم فمضي الى اخوانه وأصدقائه فاستعار من هذا قباء
وجبة وزردية ومن آخر منطقة وخفا وسيفا ومن آخر برذونا ومن آخر
ما يحتاج اليه من الطيب واستعد لذلك اليوم ودخل الحمام سحرا وتطيب
ولبس وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف
الامير أنى رسول أمير المؤمنين واستأذن لى عليه فسعى الحاجب عدوا

حتى

حتى أخبر المعتصم فأذن له فلما دخل عليه وتمثل بين يديه قال له
ياسيدى ان أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك أنسيت الوعد ألم
يقدم اليك بالركوب لنخلو ونستريح يومنا هذا قال المعتصم لا والله
مانسيت ذلك ولكن تربصت ساعة ونمت نومة لا تقوى بذلك على
انتصاب سائر نهار فقال الفتى فعجل الآن أيها الامير فانه أمرنى
أن لا أفارقك حتى آتيه بك فأمر المعتصم باسراج مركوبه وأسرع
فى التأهب ولبس ثيابه وتطيب وركب وركب الفتى معه والمعتصم
لا ينكر شيأ من كلام الفتى ويتأمل لطافته وهيأته ولم يتوهم الا أنه
من بعض خواص المأمون وأخذ الفتى يحدث المعتصم وأقبل عليه
بكلامه ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب
الخليفة وأتى الفتى نفسه عن دابته وأخذ يمشى بين يديه والحجاب
لا ينكرون منه شيأ ويظنون انه من خدم المعتصم حتى نزل المعتصم
وأخذ الفتى بركابه ودخل المجلس فلما استقر المعتصم فى مجلسه جلس
الفتى بين يديه وهو منهمك فى نوادره وأخباره والمعتصم مصغ اليه تعجبا
مما يسمع من حسن كلامه وأخبر المأمون ان المعتصم قد وصل ومعه
رفيق لا يعرف من هو فقال المأمون أخى قد عرف ان هذا المجلس
اتفقنا عليه لا ينبغى أن يحضره أحد من الناس الامن هو عديل النفس
وقد أحسن أخى اذ جعل لنا ثالثا فان المجلس اذا لم يحضره أكثر من
اثنين تعطل لقيام أحدهما الى الصلاة والى مالا بد منه ثم خرج من
ساعته فرآه وليس له همة الا تصفح وجه الغلام واستملاقه واعتبار
قده وعقله فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس
المأمون نهض قائما فقبل يد المأمون وعاد الى مجلسه وأخذ فى نوادره
وحديثه ومضحكاته وحسن أخباره وغرائب أشعاره كأنه يغرف من

بحر وهومع ذلك يرهم المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه
وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون وأظهر الحسد لاخيه
فى صحبة مثل هذا الغلام وكلامه وأمر المأمون باحضار المائدة
فنصبت بأنواع الطعام فأكلوا وغسلوا أيديهم ولمجلس الشراب انتقلوا
وأمر المأمون باحضار الجوارى من غير ستارة فحضرن وأخذن فى الغناء
فما من صوت يمر الا والفتى عارف به وبالمغنى ومتى قيل وفيمن قيل فعز
فى عين المأمون حتى ملأ عينه وتزايد حسده لاخيه فى صحبة مثله
فمس الفتى بول ولم يجد للمدافعة سبيلا فقام وهو متيقن أنهما سيذكرانه
ويتواصفان أمره وحالة اذا خلا المجلس فما هو الا ان غاب من بين أيديهما
حتى قال المأمون لاخيه المعتصم ياأبا اسحاق من صاحبك هذا فوالله
مارأيت رجلا قط أكثر منه أدبا ولا أنظف هيئة ولا أشرف من شمائله
فقال المعتصم والله ما أعلم من هو وانه جاءنى مبكرا برسالة أمير
المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا أخى أهو كذلك فقال اى والله
الذى لا اله الا هو فقال المأمون هذا طفيلى ورب الكعبة وغضب وأمر
الجوارى بالنهوض فنهضن وأقبل الفتى راجعا فلما نظر الى خلو المجلس
من الجوارى والى تغير وجه المأمون وقف على رأس المجلس وأقبل
بوجهه على المعتصم وقال ياأبا اسحاق كأنى بك قد أخذت فى نوع
الزور والبهتان وهذا المجلس من المجالس التى لا تحتمل المزاح وما هكذا
وعدتنى ثم قال والله ياأمير المؤمنين مابليت من أحد من الناس مثل
مابليت من هذا لانه دائما أبدا يعرضنى لمثل هذا وأشباهه ويغرى بى
ويوقعنى فى كل ورطة ثم أقبل على المعتصم وقال ياأبا اسحاق سألتك
بالله وبحق أمير المؤمنين الا ما أعفيتنى من ملاعبتك التى لا تحتمل
وتؤدى الى مؤاخذة أمير المؤمنين ولم يزل يأتى بهذا وأمثاله حتى شك

المأمون

المأمون فى أمره والتفت الى أخيه المعتصم وقال سألتك بالله يا أخى بحياتى عليك الا ما أعلمتنى بحقيقة أمره فقال المعتصم يا أمير المؤمنين برئت من ذمة الله ورسوله ومن حياتك وولايتك ان كنت أعرفه أو رأيته قط الا فى يومى هذا فقال الفتى كذب والله يا أمير المؤمنين لقد كنت معه دهرى الاطول وفى موضع كذا وكذا وان هذا فعله معى أبدا فضحك المأمون تعجبا وقال ادخل فدخل وأمره بالجلوس فجلس ثم قال لك الامان ان صدقتنى فصدقه الحديث على وجهه بأعجب من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه وأمر باعادة الجوارى الى مجلسهن فطربوا سائر يومهم فقال له المأمون أخبرنى بأعجب ما لحقك فى قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظما ولا تكتم عنى شيأ فقال نعم ثم أنشأ يقول

بينا أنا راقد فى البيت مكتئبا * مفكرا فى حصول الكد والقوت
وليس فى البيت من شئ ألم به * وبى من الجوع ما يدنى الى الموت
اذا بصوت باب الدار أسمعه * والاذن مصغية منى الى الصوت
ناديت من ذا الذى أرجوه لى فرجا * نادى أنا فرج زن لى كرا البيت

فضحك المأمون حتى استلقى على فراشه ثم ضرب برجله الارض من شدة العجب به وقال ثم ماذا قال يا أمير المؤمنين فخرجت فاذا هو صاحب الخان يطالبنى بالكراء فوعدته بأن يرجع الى مرة أخرى فمضى ومضيت على وجهى لا أعلم أين أتوجه فسألت كل من لقيته من صديق لى كنت أستأنس به فخطر على بالى بيتان من الشعر فى ذلك وهما

غريب الدار ليس له صديق * جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص * كما تعلق الرجل الغريق

فاشرفت يا أمير المؤمنين على جارية كأنها البدر ليلة كماله وهى تقول

ترفق يا غريب فكل حر * يمر بحاله سعة وضيق
وكل ملمة ان أنت فيها * صبرت لها أبيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ماهي الامواساات من قوت ورمت الى صدري بقرطاس واذا فيه عشرة دراهم فرجعت من فوري فوجدت صاحب الكراء قائما على الباب فدفعت اليه خمسة دراهم واستعنت بالباقي الى أن رقمت هذه القصة وهذا الامر الذى كافني وحملني على مافعلت وأنشأ يقول

لم آت فعلا غير مستحسن * جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكنني فى حالة أوجبت * ضرورة اتيان مستقبح

فأعجب المأمون أمره واستحسنه وأمر له بمائة ألف درهم يصلح بها شأنه وألحقه بمراتب المنادمة ورفعت منزلته عنده وصار أقرب الناس اليه وآخر خارج من عنده وأول داخل اليه وسمي طفيلي المعتصم وأنشد للمأمون يوما يقول

كانت لقلبي أهواء مفرقة * فاستجمعت اذ رأتك العين اهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذلك عن ديني ودنياءي
وصار يحسدني من كنت أحسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائي

فاستحسن المأمون الابيات وأمر بكتبها على الستارة وصار الفتى اذا حضر يوم سرور المأمون لم يكن للمأمون هم الا اقتراح هذه الابيات الى أن ينقضي المجلس ثم ان الفتى بعد أن حسنت حالته أرسل الى الدار التى أشرفت عليه منها الجارية فاذا هي لرجل من أهل بغداد من مباشريها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وماما ت حتى تضعضع حاله فاعلم المأمون بذلك فأمر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية فى نعمة عظيمة بقية عمرهما والله أعلم ويسرق شاب سرقة

فأتى به الى المأمون فأمر بقطع يده فتقدم لتقطع يده فانشد الشاب يقول

يدي يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك أن تلقى نكالا يشينها
فلا خير في الدنيا ولا راحة بها * اذا ما شمالا فارقتها يمينها

وكانت أم الشاب واقفة على رأسه فبكت وقالت يا أمير المؤمنين انه ولدي وواحدي ناشدتك الله الا رحمتني وهديت لوعتي وجدت بالعفو عما استحق العقوبة فقال المأمون هذا احد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التي تستغفر منها فرق لها المأمون وعفى عنه وفي حياة الحيوان قال رأيت في بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر أن المأمون أشرف يوما من قصره فرأى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المأمون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل وانظر ما كتب وائتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشؤم واللوم * متى يعشش في أركانك البوم
يوما يعشش فيك البوم من فرحي * أكون أول من ينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدي أمير المؤمنين وأعلم بما كتب فقال له المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال يا أمير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفرش والاواني والامتعة والجواري والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز عنه فهمي واني يا أمير المؤمنين قد مررت عليه الآن وأنا في غاية من الجوع

والفاقة فوقفت مفكرا فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لنا فيه ولو كان خرابا ومررت به لم اعدم رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه واتقوت بثمنه أو ما علم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرء * نصيب ولا حظ تمنى زوالها

وما ذاك من بغض له غير أنه * يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام أعطه ألف درهم ثم قال هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا بأهله مسرورا بدولته وأنشدوا فى معنى ذلك

اذا كنت فى أمر وكن فيه محسنا * فعما قليل أنت ماض وتاركه

فكم دحت الايام أرباب دولة * وقد ملكوا أضعاف ما أنت مالكه

ويحكى أنه تنبأ رجل فى أيام المأمون فقال ليحيى بن أكتم القاضى يا يحيى امض بنا مستترين حتى ننظر الى هذا المتنبي والى دعواه فركبا فى الليل مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستترا بثوبه فاستأذنا اليه فخرج اليهما فقال من أنتما فقالا رجلان يريدان أن يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال المأمون الى من بعثت قال الى الناس كافة قال فيوحى اليك أم ترى فى المنام أم ينكب فى قلبك قال بل أناجى وأكلم قال ومن يأتيك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال الساعة قبل أن تأتيانى بساعة قال فما أوحى اليك قال أوحى الى أنه سيدخل عليك رجلان فيجلس أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك والذى يجلس عن يسارك ألوط خلق الله تعالى فقال له المأمون أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وكان يحيى يعزى الى ما قال عنه المتنبي انتهى ودخل أبو نواس على القاضى يحيى بن أكتم ودخل معه غلام جميل

الوجه فقال الغلام هذا مرّ على وقبلنى كرهاً فافتتن به القاضى فانشد يقول

اذا كنت للتحنيش والبوس كارهاً * فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة * وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك أنشأ يقول

لقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا * فاعقبنى بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين يلوط

ويحكى انه كان عند المأمون يوما فقال له المأمون وهو يعرض له باللواط يا يحيى من ذا الذى يقول

قاض يرى الحد فى الزناء ولا * يرى على من يلوط من بأس

فقال له الذى يقول

ما أرى الجور ينقضى وعلى الا * لأمة وال من بنى العباس

ويقال ان المأمون شرب يوما ومعه القاضى يحيى بن أكتم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكران فامر المأمون أن يلقى عليه الورد والرياحين حتى يدفن فيها كأنه ميت وصنع بيتى شعر وقال لمغنيته خذى العود وغنى على رأسه فغنت وقالت

ناديته وهو حى لا حراك له * مزمّل فى ثياب من رياحين
فقلت قم قال رجلى لا تطاوعنى * فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى لرنة العود والجارية تغنى البيتين فقام وقال

يا سيدى وأمير الناس كلهم * قد جار فى حكمه من كان يسقينى
انى الراح لم تمزج سلافتها * حتى بقيت سليب العقل لا الدين

قال الواقدى كان ابراهيم بن المهدى ادعى لنفسه الخلافة بالرى وأقام مالكها سنة واحدى عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة

فمما حكاه قال لما دخل المأمون الري في طلبي أثقل على الطلب وجعل
لمن دل علي وأتاه بي مائة ألف درهم فخفت على نفسي وتحيرت في أمري
فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه
فمررت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله
وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على أثري يعلموا بي فرأيت في صدر
الزقاق عبدا أسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له أعندك
موضع أقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت
نظيف فيه حصير نظيفة وبسط ومخدات جلد ثم انه أغلق الباب علي
ومضى فخفت أن يكون سمع الجعالة في حقي وانه عرفني ومضى ليدلهم
علي فبقيت مثل الحبة في المقلاة قلقا يائسا من الخوف فبينما أنا كذلك
اذ أقبل ومعه حمال حامل كل ما احتاج اليه من لحم وخبز وقدر جديد
وجرة وكيزان جدد ثم التفت الي وقال جعلني الله فداك أنا رجل حجام
وأنا أعرف انك تنفر مني لما اتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه
يدي وكان لي حاجة الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت اني أكلت
مثلها قط فلما قضيت اربي قال لي هل لك أن تشرب شيأ فانه يسلي
الهم ويزيل الغم ويهيئ للنفس الفرح قلت ما أكره ذلك رغبة
في مؤانسته فاتى بقطرميز جديد وأحضرني نقلا وفاكهة في أواني جدد
من فخار ثم قال بعد ذلك ان أذنت لي جعلت فداك ان أقعد بناحية
منك وآتي بشراب فأشرب مسرورا بك فقلت افعل ففعل وشرب ثلاثا
ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا مصفحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري
أن أسألك أن تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان رأيت أن
تشرف عبدك بأن تغني لنفسك والعبد يسمع فافعل فقلت له ومن أين
لك اني أحسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله أنت اشهر من ذلك أنت

ابراهيم بن المهدى خليفتنا بالامس الذى جعل المأمون لمن يدل عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت مروءته عندى وعلمت أن نخوته أجل مما بذل فتناولت العود فاصلحته وقدم بخاطرى ذكر أهلى وولدى فقلت

وعسى الذى أهدى ليوسف أهله * وأعزه فى السجن وهو غريب
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * فالله رب العالمين قريب

فقال يا سيدى اجعل ما تغنيه مما اقتضبك اياه قلت نعم فقال غن لى

ان الذى عقد الذى انعقدت به * عقد المكاره فيك يملك حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة * فلعلها أن تنجلى فلعلها

فحسن عندى اقتراحه فشربت وشرب ثم قال غن لى

وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

ففرح وشرب وشربت وقال غن لى

اذا ما الحادثات بلغن النهى * وكادت لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزاء * فعند التناهى يكون الفرج

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضابه وأنست به واستظرفته ثم قال ان رأيت يا سيدى أن تأذن لى أن اغنى ما خطر ببالى وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة فى أدبك ومروءتك فأخذ العود ثم قال دستور ثم ضرب عليه وغنى يقول

شكونا الى أحبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما دنا الليل المضر بذى الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما * نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فقلت والله ذهب عني كل ماكان عندي من الهلع وسألته يغني فغني يقول

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلت لها ان الكرام قليل

وماضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وانا لقوم لانرى الموت سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فوالله لقد أجاد وذهب عني كل ما كان من الفزع والجزع واستأنست به وداخلني من الطرب مالامزيد عليه وعاجلني النوم قبل أوانه فنمت ولم أستيقظ الا بعد المغرب وجال فكري في هذا الحجام وأدبه وظرفه وكيف غناه وأدبه وارادته أن يسليني عما أنا فيه اشارة الى تخصيصه بالوفاء لضيفه ونصره لجاره فقعدت وغسلت وجهي وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير وهي مبلغ لها قيمة فدفعتها اليه وقلت له أنت في وداعة الله وحفظه فاني ماض عنك وأسألك أن تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي اذا أمنت المزيد فأعادها علي مبادرا وقال ياسيدي الصعلوك منا لاقيمة له عند أهل الرياسات ويظنون فيه الظنون الرديئة أفآخذ على ما وهبني الله من قربك وحلولك في منزلي ثمنا لا والله فالححت عليه فأخذ موسى له بيده وقال والله ان راجعتني لانحرن نفسي فخشيت عليه وأخذت الخريطة وأثقلني حملها فلما انتهيت الى باب الدار قال ياسيدي ان هذا الموضع أخفى لك من غيره وليس عندي في مؤنتك ثقلة فأقم عندي الى ان يفرج الله عنك فراجعته وسألته أن يكون منفقا من تلك الخريطة فلم يفعل وكان كل يوم يفعل بي مثل ما فعل في اليوم الاول قال فأقمت أياما في أطيب عيش وأهناه ثم سئمت من الاقامة عنده وخشيت

الثقل عليه فتركني ومضى يجدّ لساحالنا فلبست ثيابي وتزييت بزي النساء بالخف والنقاب وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والفزع أمر شديد ومشيت لأعبر الجسر واذا هوقد رش ورجل قائم فأبصرني بعض من كان في خدمتي من الجند فعلق بي وقال طلبة أمير المؤمنين فدفعته في صدره فوقع في الزلق وصار عبرة وتبادر الناس اليه فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت بابا وامرأة واقفة فيه فقلت ياسيدة النساء أحقني دمي فاني رجل خائف فقالت ادخل فدخلت فأطلعتني الى غرفة وفرشت لي وقدمت لي طعاما وقالت ليهدأ روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو أقمت سنة ما عليك بأس واذا بالباب يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي الذي دفعته على الجسر وهو مشدوخ الرأس ودمه يسيل على ثيابه فقالت له ما دهاك قال لما ان حدثني عجيب وأمري غريب ظفرت بالفتى وانفلت من يدي قالت وكيف قال ابراهيم بن المهدي لقيته فتعلقت به فدفعني فأصابني ماترين من حالي ولو حملته الى أمير المؤمنين لأخذت منه مائة ألف درهم قال فأخرجت له خرقا ودرورا وفرشت له بعد كبس جرحه فنام قليلا وطلعت وقالت لي أظنك صاحب القصة قلت نعم قالت لي اني خائفة عليك ثم جددت لي الكرامة وأقمت عندها ثلاثة أيام ثم قالت لي اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أمرك فينم عليك فانج بنفسك فسألتها امهالي الى الليل فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها وأتيت الى بيت مولاة لنا فلما رأتني بكت وتوجعت وحمدت الله تعالى على سلامتي وخرجت كأنها تريد كرامتي فتوجهت للسوق مظاهرة الاهتمام بالضيافة فظننت خيرا فلم أشعر الا بابراهيم الموصلي بخيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني

اليه فرأيت الموت عيانا وحملت مثل ما أنا الى أمير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وأمر بادخالى عليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه سلام الخلافة فقال لى لا سلمك الله ولا حفظك ولا رعاك فقلت يا أمير المؤمنين ان ولى الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته يد الاقدار بما أمدله من أسباب الرجاء ما يأمن معه عادية الدهر وقد جعلك الله فوق خلقه وأصبح عفوك فوق كل ذى عفو فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك وأنشدت أقول

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

قال فرفع رأسه الى فقلت مبتدرا

أتيت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

قال فرق المأمون واسترجع فرأيت روائح الرحمة فى شمائله ثم أقبل على أخيه أبى اسحاق محمد المعتصم وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته وقال ما ترون فى أمره فأشار الكل بقتلى الا أنهم اختلفوا فى القتل فقال المأمون لأحمد بن أبى خالد ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته فقد وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت لم نجد مثلك فى العفو فنكس المأمون رأسه وجعل يخط فى الارض بأصبعه ثم رفع رأسه وقال

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

ثم قال المأمون لا بأس عليك يا عم فقلت ذنبى يا أمير المؤمنين أعظم من ان أفوه معه بعذر وعفوك أعظم من ان أنطق معه بشكر ولكن

أقول شعر

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ماان عصيتك والغواة تمدنى * اسبابها الابنية طائع
عفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أشبالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع

فقال المأمون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فأنشدت أقول

رددت مالى ولم تبخل على به * وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
أمنت منك وقد خولتنى نعما * نعم الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدمى
وان جحدتك ما وليت من نعم * انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وأمر لى بمال وخلع على وقال يا عم ان أبا اسحاق والعباس أشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن فعلت ما أنت أهله ودفعت ما خفت أنا بما رجوت فقال المأمون لقد مات حقدى بحياة عذرك وقد عفوت عنك ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه ثم قال يا عم أتدرى لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما أوقع على وملكك اياى فى يدك تفعل بى ما تشاء فقال أخطأت ولكن شكر الله تعالى على ما ألهمنى من العفو عنك من قبل نفسى ثم قال وأعظم من عفوى عنك انى لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثنى بما كان من أمرك فشرحت له ما جرى لى مع الحجام والجندى وزوجته والمولاة التى أسلمتنى فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فلما حضرت قال لها المأمون ما حملك على ما فعلت

من تسليمك ابراهيم مع انعامه عليك قالت رغبة فى المال قال هل لك
من ولد أو زوج قالت لا فأمر بضربها مائة سوط وأمر بخلدها
فى السجن ثم أحضر الجندى وامرأته والحجام فسأل الجندى عن
السبب الذى حمله على مافعل قال رغبة فى المال فقال انك أولى
بأن تكون حجاما من ان تكون حداما ووكل من يلزمه الجلوس فى مكان
الحجام ليتعلم الحجامة وأحسن الى امرأة الجندى وجعلها قهرمانة قصره
وقال هذه امرأة أديبة تصلح للمهمات وسلم للحجام دار الجندى ومافيها
وخلع عليه وأثبته برزقه فى الديوان وزيادة ألف دينار فى كل سنة ولم
يزل كذلك الى أن مات والله أعلم * (وعن محمد بن عبد الله التميمى) *
قال حدثنا أحمد بن محمد الحريرى قال كان لحمنة بنت عبد الرحمن
الهاشمى من الاموال مالا يسعه الديوان ولا تأكله النيران لكثرته
وكانت آدب نساء بنى هاشم وأفصحهن لسانا وأقولهن شعرا فدخلت
على المأمون يوما وكانت تحبه غاية الحب سرا وكان المأمون جالسا
فى ايوان قد ابتدعه له لم يبتدعه أحد من الخلفاء قبله وكان قد تفوق
فى شأنه وكان فيه من كل صورة فى البر والبحر ممثلة من الذهب والفضة
وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر وأسبل عليه ستورا من الحرير
الصينى وقد أقام فيه أربعمائة وصيفة بقراقط الحرير وقلانس الوشى
بطرر وشعور وأصداغ وهن بقد واحد لا تزيد الواحدة منهن على
الاخرى أقام مائتين عن يمينه ومائتين عن يساره * فقال ياحمنة
هل كان لابيك أو لبعلك أو لاحد من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه
ومثل هؤلاء الجوارى مع زينتهن فقالت ياأمير المؤمنين متعك الله به
وعمرك فلقد أوتيت ملكا عظيما تستأهله لترفهك وشرفك فان أجبت
خادمتك حمنة أجلستك فى مجلس لم تجلس فى مثله قط وأصادتك صيدا

لم تصد مثله قط وأسقيتك شرابا لم تشرب مثله قط وكان عنده يحيى بن أكثم فقال لها يا جمنة قد أجبتك الى ما سألتيني ولكن لا ينفعني ولا يهنيني ذلك الا بتشهد من يحيى بن أكثم فانه لا يطيب لي مجلس الا به فقالت نعم يا أمير المؤمنين ثم ضربت يدها الى جيبها فأخرجت منه مخزنة من ذهب أحمر محشوة مسكا أذفر فدفعتها الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفي أجره وهذه أجرتك مني فكن مستحثا الى أمير المؤمنين غدا عند الزوال في المسير الى منزل خادمته فقال حبا وكرامة ثم خرجت من عنده فهيأت ما تحتاج اليه للمأمون وغيره فلما كان من الغد جلس المأمون في مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت في كبد السماء قال يحيى يا أمير المؤمنين الحاجة التي عرضت عليك بالامس ففطن المأمون لذلك وقام من مجلسه ولبس ثياب التبذل ولبس يحيى مثل ذلك ودعا بحمارين مصريين بغاشيتين وركباهما حتى أتيا دار جمنة فدقا الباب دقا خفيفا فسمعته فأقبلت بنفسها حتى فتحت الباب وأقبلا يمشيان جميعا حتى انتهوا الى بيت في بستان قد حمل على أربعة أعمدة من الرخام الاحمر المنقوش واذا في صدر البيت ثلاثة أسطر منقوشة بالدر وصنوف الجوهر وهي

ما سرني ان فؤادي ولا * ان لساني يوما خلا
وان لي ملك بني هاشم * يجيء الى أول أولا
ان لم أراك يا مالكي * تأتي الى كذا مقبلا
يا سائلي روحي بلا علة * أنت المعافى وأنا المبتلا

فقال المأمون يا يحيى ما لك أحد من الخلفاء مثل هذا البيت واذا فرشه أرمني محفور منقوش باللآلي واذا فوق الارمني مطارح من الديباج الاخضر حشوها حواصل الريش وفي البيت المسك والعنبر

والكافور والصندل والزعفران والندو العود مصفوف فى أوانى
الذهب والفضة وهى تفوح منه روائح لا يدرى ماهى من طيبها ثم
أخرجتهما الى أربعة ميادين فيها أنواع الرياحين حول البيت فقال
ان هذا الاسحر يؤثر ثم دعت لهما بمائدة من الجزع اليمانى قوائمها منها
قطعة واحدة فوضعت وقدمت عليها الالوان الغريبة فقال المأمون
ماطعمت مثل هذا الطعام قط * ثم دعت بالطشت والابريق فغسلا
أيديهما ثم أمرت فقدم اليهما قنانى الزجاج الشامية المرتفعة الصافية
والبلور فيها شراب قد أتت عليه الايام والاعوام فهى تحكى الهوى
لرقتها والياقوت لحمرتها والزنجبيل لحدتها ووضعت بين أيديهما مع
أقداح وانطال تشاكل ذلك فقال المأمون والله مارأيت مثل هذا قط
ثم أخرجت جاريتين عليهما جباب الوشى الكوفى المنسوج بالذهب
وعلى رؤسهما مقانع رشيدية وتيجان من الذهب مكللة بالجوهر فجلستا
وفى حجرهما العيدان المبسوطة الموزونة فحركتا الاوتار وغنتا بصوت
شجى مليح من أنواع الاغانى وغرائب الاصوات فقال المأمون هذه
الجنة مما ترى فيها من غرائب الطيب والجوهر فقال يحيى وقد بقى لنا
ياأمير المؤمنين شرط آخر فقال وماهو يايحيى قال الصيد ياأمير المؤمنين
قال صدقت يايحيى ثم قال ياجنة مافعل الصيد فقالت قوما اليه فقام
المأمون ويحيى حتى دخلا بستانا لم يرمثله وقد كانت زينت البستان
بأحسن ماتقدر عليه واتخذت فيه ألوان الطيور من الفاخت والقمرى
والهزار والطواويس فكانت الاطيار تغنى من رؤس الاشجار
وتغرد بالسر والاجهار وقد كانت زينت مائة جارية نواهد أبكارا
بطرر وشعور وخدود ومباسم ساطعات الانوار ترى كل واحدة منهن
أبهى من صاحبتها وأحسن وعليهن من ألوان الثياب مايعجز عنه

الوصف وفى أوساطهن مناطق الذهب الاحمر وتقدمت اليهن وقالت
لهن اذا رأيتن المأمون ويحيى تغادين مابين الاشجار فلما دخل المأمون
ويحيى البستان فعلن ما كانت أمرتهن فتضاعف السرور على المأمون
وأعجب المأمون بذلك اعجابا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد فقال يا أمير
المؤمنين رأيك فيه فقال المأمون لو كان لنا كلب لاصطدنا هؤلاء فقال
يحيى أنا كلبك يا أمير المؤمنين فعدا المأمون ويحيى فاصطادا منهن
صبية فقالت جمنة سألتك بحق أجدادك الا ما خليت عن الجوارى
لا أبخل أبخل بهن عليك وقد فهمت المعنى فيه وقد كانت جمنة تغار على
المأمون فخلى عن الجوارى وقال ليحيى دونك والصيد اذن أنت محل
فقال يحيى لو كان لى كلب لاصطدت من هؤلاء فقال المأمون أنا كلبك
فضحك يحيى وضرب بقلنسوته الارض فعدا خلفهن فأخذ منهن خمسة
فقالت جمنة يا يحيى لك الخمسة ولا غيرة لى عليك وانما أغار على المأمون
لحاجتى اليه فقال يحيى والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت الهوى الغالب
فى حمالیق عينيها ولا تتم لنا النعمة الا بتزويجك اياها ان رأيت ذلك
فقال المأمون أنا برىء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنتف من
جدى العباس ان ذهبت من البستان ولم أتزوجها ثم قال يا يحيى
أخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وأمهرها المأمون ألف ألف دينار
وأقطعها مائة من منتخبات الضياع فحمدت جمنة الله سرورا بما ظفرت
من تزويج المأمون اياها وأمرت ليحيى بعشرة آلاف دينار ورجع
المأمون الى منزله وزفت اليه فى تلك الليلة فواقعها فحملت بالعباس ابنه
انتهى وحكى ان المأمون كان مشغوفا بجارية يقال لها نسيم وكانت ذات
عقل وأدب وفضل وكمال وكان لا يفارقها فى الحضر ولا فى السفر ثم بعد
ذلك مال الى جارية أخرى أحسن منها وأعرض عنها فاغتممت ولم تجد

حيلة فى استعطافه وكانت ربت جارية رومية أحسن منها فى العقل والادب وكتمت أمرها عن المأمون فاتفق ان المأمون حصل له بعض ضعف ففصد فحصل له الشفاء فجعل الناس يدخلون عليه بأصناف التحف والهدايا فأهدت نسيم اليه الجارية المذكورة ومعها جام بلور وغطاته بمنديل دبيقى مكتوب عليه بالذهب هذه الابيات

فصدت عرقا تبتغى صحة ✽ ألبسك الله به العافية
فاشرب بهذا الجام ياسيدى ✽ مستمتعا فى هذه الجارية
واجعل لمن أهدا كها زورة ✽ تحظى بها فى الليلة الثانية

فأعجب المأمون مارأى من الجام والجارية ثم بعث لها يقول نعم وفى هذه الليلة ثم رضى على نسيم وأوصلها بعد ذلك والله أعلم (حكى) ان المأمون مر يوما على زبيدة أم الامين فرآها تحرك شفتيها بشئ لا يفهمه فقال لها يا أماه أتدعين على لكونى قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا أمير المؤمنين ✽ قال فما الذى قلتيه قالت يعفنى أمير المؤمنين فألح عليها وقال لابد أن تقوليه قالت لهقلت قبح الله الملاحة قال وكيف ذلك قالت لانى لعبت يومامع أمير المؤمنين الرشيد بالشطرنج على الحكم والرضى فغلبنى فأمرنى ان أتجرد من أثوابى واطوف القصر عريانة فاستعفيته وبذلت له أموالا لاتحصى فلم يعف عنى فتجردت من أثوابى وطفت القصر عريانة وأنا حنقة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فأمرته أن يذهب الى المطبخ فيطأ أقبح جارية وأشوهها خلقة فاستعفانى عن ذلك فلم أعفه فنزل لى عن خراج مصر والعراق فأبيت وقلت والله لتطأنها فالححت عليه وأخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم أر جارية أقبح ولا أقذر ولا أشوه خلقة من أمك مراجل فأمرته ان يطأها فوطئها فعلقت منه بك فكنت سببا لقتل ولدى وسلبه ملكه فولى المأمون

وهو يقول قاتل الله اللحاحة اى التى ألح عليها حتى أخبرته بهذا الخبر انتهى * واتى شاعر المأمون فقال لقد قلت فيك شعرا فقال أنشدنيه فقال

حياك رب الناس حياكا * اذ بجمال الوجه رقاكا

بغداد من نورك أشرقت * واورق العود بجدواكا

قال فأطرق المأمون ساعة * وقال يا اعرابى وانا قد قلت فيك شعرا وانشد يقول

حياك رب الناس حياكا * ان الذى املت أخطاكا

اتيت شخصا قد خلا كيسه * ولو حوى شيأ لأعطاكا

فقال يا أمير المؤمنين ان الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيأ يستطاب فضحك المأمون وأمر له بمال انتهى (وروى) ابن عامر الفهرى عن أشياخه قال أمر المأمون أن يحمل اليه من أهل البصرة عشرة رجال كانوا قد رموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فمر بهم طفيلى فرآهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل * وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق وقال لاشك انها نزهة فلم يكن الا يسيرا وقد قيدوا القوم وقيد معهم فعلم انه قد وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وساروا الى ان وصلوا الى بغداد وأدخلوا على المأمون فاستدعى بهم بأسمائهم واحدا بعد واحد وجعل يذكره بفعله وقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العشرة فقال المأمون للموكل من هذا فقال لا أعلم يا أمير المؤمنين غير انا رأيناه معهم فجئنا به فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من احوالهم شيأ ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم فضحك المأمون وقال اوقد بلغ من شؤم

التطفل ان يحل بصاحبه هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن يؤدب حتى لا يعود الى مثلها * وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا فقال يا أمير المؤمنين هبه لى وانا أحدثك عن نفسى فيما وقع لى فى التطفل من العجب فقال وهبته لك هات حديثك فقال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا يوما انظر الى سكك بغداد فاستهوى بى الطرب والتفرج فانتهى بى المسير الى موضع شممت فيه رائحة طعام وابازير قد فاحت وهفت نفسى اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشى فرفعت بصرى واذا بشباك خلفه كف بمعصم ما رأيت احسن منه فبقيت حائرا ونسيت رائحة الطعام بذلك الكف فأخذت فى عمل الحيلة الى الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا سيدى لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما اسمه فقال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم وأظن أن عنده اليوم أصحابه تجار مثله فبينما نحن فى الكلام اذ أقبل رجلان فقال لى هؤلاء ندماؤه فقلت له ما أسماؤهما وما كناهما فقال لى فلان الفلانى وفلان الفلانى فحركت ورائهما رجلى فلحقتهما فقلت جعلت فدا كما استبطا كما فلان أعزه الله ولم أزل معهما حتى أتيت البيت فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب البيت بينهم لم يشك الا انى معهما فرحب بى وأجلسنى فى افضل الاماكن ثم جىء بالمائدة ونقلت اليها الالوان فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جىء بالماء فغسلنا أيدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا به شكل مليح ما رأيت أحسن منه ولا أظرف ورأيت صاحب المكان يتلطف بى ويقبل على لظنه انى ضيف لأضيافه وهم على الحالة هذه الى ان شربنا اقداحا فخرجت علينا جارية كأنها

غصن بان

غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت من غير خجل ولا احتشام وجلست وأتى بعود فجسنه أحسن جس واذا هى حاذقة فى الصناعة وغنت تقول

توهمها فكرى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر

وصافحها كفى فآلم كفها * فمن ضم كفى فى أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلبالى فطربت لحسن شعرها وحذقها * ثم غنت تقول

أشرت اليها هل عرفتى مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد

فحادت عن الاظهار عمدا بسرها * وحادت عن الاظهار أيضا على عمد

فحسدتها يا أمير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر فضحكت لما أصابنى من الطرب الذى لم أملك نفسى معه ثم غنت تقول

أليس عجيبا ان بيتا يضمنا * واياك لا تلهو ولا نتكلم

سوى أعين تبدى سرائر أنفس * وتقطيع انفاس على النار تضرم

اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف يسلم

فزاد حسدى لها يا أمير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج عن المعنى وقلت بقى عليك يا جارية شئ فرمت العود من يدها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم كأنهم قد أنكروا على فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت وأحببت أن اتلافى قصتى فقلت أثم عود غير هذا قالوا نعم فأحضروا عودا فأصلحت ما أردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصممن أم قدم المدى فبلينا

فما أتممت شعرى حتى وثبت الجارية الى وانكبت على يدى تقبلها وتقول المعذرة اليك يا سيدى والله ما علمت مكانك ولا سمعت بهذه الصناعة

من أحد ثم زادوا اكرامي وطربوا غاية الطرب فشربت عدة أقداح ثم غنيتهم أبياتا فرأيت من طربهم شيأ عظيما حتى قلت ان أرواحهم فارقت أبدانهم فسكت عنهم ساعة حتى تراجعوا الى عقولهم فغنيتهم وقلت

هذا محبك مطوى على كمده * وجدا وتجرى مدامعه على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته * مما به واليد الاخرى على كبده
يا من يرى كلفا في حبه دنفا * كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله الغناء والذى كنا فيه ليس بشىء وشربوا القوم فلما جاءهم لبسط وأخذ المجلس منتهاه أمر صاحب البيت عبدين له أن يحفظا النديمين الى منزلهما وخلوت معه فقال والله يا سيدى ذهب ما مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومى هذا فبالله يا مولاى من أنت فجعلت أرد عليه وهو يقول ويقسم على الى أن أعلمته من أنا على الحقيقة فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت أن تكرن هذه المكارم الا لمثلك وقد أصابنى من الدهر نعم لا أقوم بشكرها ثم قال أترى هذا يقظة أم مناما أقسمت أنى لا أزال هذه الليلة قائما الى أن تأذن لى فانى أحقر من أن اجالس الملوك فأقسمت عليه بأن يجلس ثم أخذ فى الكلام وجعل يعرض على السبب الذى أوجب حضورى عنده بألطف تعريض فأخبرته بأمرى على الحقيقة ولم أخفه شيأ ثم قلت له الطعام قد نلت منه بغيتى وبقى الامر الآخر فوثب الى باب القاعة وقال كل منكن تلبس أفخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل يقول يا فلانة وهن يخرجن واحدة بعد واحدة وأنا لا أرى صاحبة الكف والمعصم الى أن أتت أربعون امرأة فقال والله ما بقى الا أختى وها أنا مخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة

ثم استدعاها فنزلت فرأيت يدها ومعصمها فاذا هي التي رأيتها فقلت هذه الحاجة فأمر غلمانه لوقته أن يأتوا بعشرة شهود ثم قام وأخرج عشرين ألف درهم وألفا أخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدي ابراهيم ابن المهدي يخطب اختي فلانة واشهدكم انى قد زوجتها اله وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع الالف التي كان أخرجها لهم فشكروا له وودعوا ثم انصرفوا ثم قال ياسيدي امهد لك بعض البيوت تنام مع أهلك فأعجبني ما كان من كرمه واستحييت أن أدخل بها في داره فقلت له بل أجعلها في عمارية وأحملها الى منزلى فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل معها من الفرش والاثاث ماضاقت به بيوتنا فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا أمير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل وقال لله دره ما أكرمه والله ماسمعت بمثله قط ثم أطلق الطفيلي وأمر باحضار الرجل واستنطقه فأعجبه حسن منطقه وعقله وأدبه فصيره من جملة خواصه ومنادميه والله أعلم

(ذكر خلافة ابراهيم المعتصم بن هارون الرشيد)

هو ثامن خلفاء بني العباس وكان شديد القوة ما كان في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والاقدام قيل انه أصبح ذات يوم وكان برده شديدا وثلجه عتيدا فلم يقدر أحد على اخراج يده ولا امساك قوسه فأوتر المعتصم في ذلك اليوم أربعة آلاف قوس وكان يدعى المثمن وأنشد أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمتدح المعتصم بن هارون الرشيد يقول

ان حس عودا رأيت الخيل راقصة * كأنها من سماع هزها نغم
أو حركت يده اليمنى له وترا * على أعاديه غنى البوم والرخم

وكان يقول بخلق القرآن وضرب على ذلك أحمد بن حنبل على أن يقول ذلك فلم يقل رضي الله عنه وله معه كلام طويل فانظره في حياة

الحيوان * (ومن لطائف الحكايات) * ماروى عن أحمد بن دواد القاضى انه قيل جىء بتميم بن جميل الى المعتصم أسيرا وكان قدخرج عليه قال فمارأيت رجلا عرض عليه الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه نظر اليه وأعجبه حسنه وقده ومشيه الى الموت غير مكترث وأطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر أين عقله ولسانه من جماله فقال ياتميم ان كان لك عذر فأت به فقال أما اذا أذن أمير المؤمنين فى الكلام فانى أقول الحمد لله الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولم بك شعث المسلمين واخمد بك نار الباطل وأنار بك سبل الحق ان الذنوب تخرس الالسنة وتصدع القلوب وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن الا فيك وهو أشبه بك وأليق ثم أنشد

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظنى من حيث لا اتلفت

وأكبر ظنى انك اليوم قاتلى * وأى امرىء مما قضى الله يفلت

ومن ذا الذى يأتى بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت

يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل على السيف فيه ويصلت

وماجزعى من ان أموت وانى * لاعلم ان الموت شئ مؤقت

ولكن خلفى صبية قد تركتهم * واكبادهم من حسرة تتفتت

كأنى أراهم حين أنعى اليهم * وقد لطموا احمر الوجوه وصوتوا

فان عشت عاشوا فى سرور ونعمة * ازود الردا عنهم وان مت موتوا

فكم قائل لاأبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ياتميم كاد والله أن يسبق السيف العذل قد غفرت لك

الهفوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية على عمله وأعطاه خمسين ألف دينار انتهى من زهرة الكمام فى قصة يوسف عليه السلام * وذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخارق المغنى قال تطفلت تطفيلة قامت على أمير المؤمنين المعتصم بتسعين ألف درهم قيل له وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما أصبحنا قلت له يا أمير المؤمنين ان رأيت ان أخرج الى الرصافة فأتنسم الى وقت انتباه أمير المؤمنين قال نعم فأمر البوابين أن يتركوني فخرجت أتمشى فى الرصافة واذا بجارية كان الشمس تشرق من جبينها فتتبعتها ورأيت معها زنبيلا فوقفت على فاكهانى واشترت سفرجلة بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فرأتنى فقالت يا ابن الفاعلة الى أين قلت خلفك يا سيدتى فقالت ارجع يا ابن الزانية لئلا يراك أحد فيقتلك فتأخرت ومشيت وتمشت أمامى ثم التفتت فرأتنى فشتمتنى شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيها وجلست أنا عند الباب وقد ذهب عقلى ونزلت على الشمس وكان يوما حارا فلم ألبث ان جاء فتيان كأنهما بدران على حمارين فلما وصلا الى الباب أذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا ان صاحب المنزل قد دعانى وجىء بالطعام فأكلنا وغسلنا أيدينا فقال لنا صاحب المنزل هل لكم فى فلانة فقالوا ان تفضلت قال فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هى صاحبتى ووراءها وصيفة تحمل عودها فوضعته فى حجرها فغنت فشربوا وطربوا وهى تلحظنى وتشك فى فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدى مخارق فلم ألبث ان قلت يا جارية شدى يدك فشدت أوتارها وخرجت عن ايقاعها الذى تقول عليه قال فاستدعيت بدوارة قضيب وغنيت الصوت الذى قالته الجارية فقاموا الىّ وقبلوا رأسى * وقال وكان مخارق من أحسن الناس صوتا وكان يوقع بالقضيب

توقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني والثالث فكادت عقولهم تطير فقالوا بالله من أنت يا سيدي فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك قلت طفيلي أصلح الله شأنكم وأخبرتهم بخبري فقال صاحب البيت لصديقيه أما تعلمان اني أعطيت في هذه الجارية ثلاثين ألف درهم فامتنعت من بيعها قالا نعم قال هي له فقال صديقاه علينا عشرون ألف درهم وعليك عشرة آلاف قال مخارق فملكوني الجارية وجلست عندهم الى العصر وانصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها أقول لها يا مولاتي أعيدي كلامك فتستحي مني فأحلف عليها لتعيدنه فتعيده حتى وصلت الى أمير المؤمنين فقيل لي انه انتبه فطلبك في منازل أبناء القواد فلم يجدك وتغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه ويدي في يدها فلما رآني سبني وشتمني فقلت يا أمير المؤمنين لا تعجل وحدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافئهم عنك فأحضرهم وامر لكل واحد منهم بثلاثين الف درهم والله اعلم انتهى

* (حكاية غريبة عن محلها) *

قال الاصمعي دعاني بعض العرب الكرام الى قراء الطعام فخرجت معه الى البرية فأتوا بباطية باذنين وعليها السمن غارق فجلسنا للاكل واذا باعرابي ينسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل يأكل والسمن يسيل على كراعه فقلت لاضحكن الحاضرين عليه فقلت بيت

كأنك أله في أرض هش * أتاها وابل من بعد رش

فالتفت الى بعين مغلقة وقال الى الكلام أنثى والجواب ذكر وأنت

كأنك بعرة في أست كبش * مدلاة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيأ من الشعر او تدريه فقال كيف لا أقول الشعر وأنا أمه وأبوه فقلت له ان عندي قافية تحتاج الى غطاء فقال هات

ما عندك فغطست فى بحور الاشعار فما وجدت قافية أصعب من الواو المجزومة فقلت

قوم بنجد عهدناهم * سقاهم الله من النو

أتدرى النو ماذا فقال

نوتلألأ فى دجا ليلة * حالكة مظلمة لو

فقلت له لو ماذا فقال

لوسار فيها فارس لانثنى * على بساط الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطوى الكشح هضيم الحشا * كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جو السماء والريح تعلو به * اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره * فصار نحو القوم ينعو

فقلت له ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للفنا شرعت * كفيت ما لاقوا وما يلقو

قال فعلمت انه لاشئ بعد الفنا ولكن أردت أن أثقل عليه فقلت له ويلقو ماذا فقال

ان كنت ماتفهم ماقلته * فأنت عندى رجل بو

قال فقلت له البو ماذا فقال

البو سلخ قد حشى جلده * يا ألف قرنان تقوم أو

قال فقلت له أو ماذا فقال

أو أضرب الرأس بصوانة * تقول فى ضربتها قو

فخفت أن أقول له قو ماذا فيضربنى و يكمل البيت فقلت له أنت ضيفى

الليلة فقال لا يأبى الكرامة الا لئيم * فقلت لزوجتي اصنعي لنا دجاجة ففعلت فأتيته بها وجئته أنا وزوجتي وابناى وبنتاى وقلت له فرق يابدوى فقال الرأس للرأس وأعطاني الرأس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان والبنتان لهما الرجلان والمرأة العجز لها العجز وأنا زائر لى الزور وأكل الدجاجة ونحن ننظر اليه وبتنا فحدث فلما أصبحنا قالت لزوجتي اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت وأتيته بالدجاج وقلت له اقسم يابدوى فقال تريد شفعا أو وترا فقلت ان الله وتر يحب الوتر فقال كأنك تريد بالفرد فقلت نعم فقال أنت وزوجتك ودجاجة وابناك ودجاجة وابنتاك ودجاجة وأنا ودجاجتان فقلت لا أرضى بهذه القسمة فقال كأنك تريد شفعا فقلت نعم فقال أنت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها ودجاجة وأنا وثلاث دجاجات والله لا أحول عن هذه القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة في الشعر ومرة في الدجاج ثم انصرف انتهى

(خلافة أمير المؤمنين الواثق بالله)

قال ابنه محمد الذى يقال له المهدى بالله كان أبى الواثق بالله اذا أراد أن يقتل رجلا أحضرنا فى ذلك المجلس فبينما نحن عنده ذات يوم اذ أتى بشيخ مقيد فقال ائذنوا لابى عبد الله يعنى ابن دواد وأصحابه وادخل الشيخ فى مصلاه فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك المؤدب قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وأنت والله ما حييتني بها ولا بأحسن منها فقال ابن أبى دواد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم فقال الواثق كلمه فقال للشيخ ما تقول فى القرآن فقال الشيخ لم ينصفنى ولى السؤال فأسأله فقال له الامير سله فقال الشيخ لابن أبى دواد

ماتقول

ماتقول فى القرآن فقال ابن أبى دواد مخلوق فقال الشيخ هذا شىء علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين والخلفاء الراشدون أم شىء لا يعلمونه فقال شىء لا يعلمونه فقال سبحان الله شىء لا يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الصحابة ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت قال فخجل وقال أقلنى قال قد فعلت والمسألة بحالها قال نعم قال ماتقول فى القرآن فقال مخلوق قال هذا شىء علمه النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه قال علموه ولم يدعوا الناس اليه قال أفلا وسعك ما وسعهم قال ثم قام أبى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى رجليه على الاخرى وهو يقول هذا شىء لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء الراشدون وعلمته أنت سبحان الله انتهى *(وذكر الحافظ أبو نعيم فى حليته)* قال الحافظ أبو بكر الآجرى بلغنى عن المهدى رحمه الله انه قال ماقطع أبى يعنى الواثق الا شيخ جىء به من المصيصة فمكث فى السجن مدة ثم ان أبى ذكره يوما فقال على بالشيخ فأتى به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم عليه فلم يرد عليه السلام فقال له يا أمير المؤمنين ماسلكت بى أدب الله ولا أدب رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها وأمر النبى صلى الله عليه وسلم برد السلام فقال أبى وعليك السلام ثم قال لابن أبى دواد سله فقال يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد أصلى فى الحبس بتيمم منعت الماء فمر بقيودى تحل ومر بماء أتوضأ به وأصلى ثم سلنى فأمر به فحلت قيوده وأمر له بماء فتوضأ وصلى ثم قال لابن أبى دواد سله فقال الشيخ المسألة لى فمره ان يجيبنى فقال سل فأقبل

الشيخ على بن أبى دواد فقال له أخبرنى عن هذا الامر الذى تدعو الناس
اليه أشىء دعا اليه النبى صلى الله عليه وسلم قال لا قال أفشىء دعا اليه
أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعده قال لا قال أفشىء دعا اليه عمر بن
الخطاب بعدهما قال لا قال أفشىء دعا اليه عثمان بن عفان بعدهم
قال لا قال أفشىء دعا اليه على بن طالب بعدهم قال لا قال الشيخ
أفشىء لم يدع اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر
ولا عثمان ولا على تدعو أنت الناس اليه ليس يخلو أن تقول علموه
أو جهلوه فان قلت علموه وسكتوا عنه توسعا وسعنا واياك من السكوت
ما وسع القوم وان قلت جهلوه وعلمته أنت فيالكع ابن لكع شىء يجهله
النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وتعلمه
أنت وأصحابك قال المهدى فرأيت أبى وثب قائما ودخل الحجرة
فجعل ثوبه فى فيه وجعل يضحك ثم جعل يقول صدق الشيخ الى آخر
ما تقدم وقال المهدى مازلت أقول القرآن مخلوق صدرا من خلافة
الواثق حتى أقدم علينا أحمد بن أبى دواد شيخا من أهل الشام فأدخل
الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة
فرأيت الواثق قد استحى منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب
منه فسلم عليه الشيخ وأحسن السلام ودعا فأبلغ الدعاء وأوجز فقال
له الواثق اجلس ثم قال يا شيخ ناظر ابن أبى دواد على ما يناظرك فقال
الشيخ يا أمير المؤمنين ابن أبى دواد يقول ويصبو ويضعف عن المناظرة
فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبا وقال أبو عبد الله بن أبى دواد
يقول ويصبو ويضعف عن مناظرتك أنت قال الشيخ هون عليك
يا أمير المؤمنين ما بك وأذن لى فى مناظرته فقال الواثق ما دعوتك
الا للمناظرة فقال الشيخ يا أحمد يا ابن أبى دواد الى ما دعوت الناس

ودعوتني اليه فقال ان تقول القرآن مخلوق لان كل شيء دون الله مخلوق
فقال الشيخ يا أمير المؤمنين اني رأيت أن تحفظ علي وعليه ما نقول
فقال افعل فقال الشيخ يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه أواجبة داخلة
في عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال نعم
فقال الشيخ أخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله
عز وجل الى عباده هل ستر شيأ مما أمره الله به في دينه فقال لا قال
الشيخ أفدعى رسول الله صلى عليه وسلم الى مقالتك هذه فسكت ابن
أبي دواد فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ الى الواثق فقال يا أمير
المؤمنين قل واحدة فقال الواثق واحدة فقال الشيخ يا أحمد أخبرني
عن الله عز وجل حين أنزل القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم
فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا أكان الله صادقا في اكماله أم انت الصادق في نقصانه فلا
يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه ويكون كاملا فسكت ابن أبي
دواد فقال الشيخ أجب يا أحمد فلم يجبه فقال الشيخ يا أمير المؤمنين
قل اثنتان فقال اثنتان فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن مقالتك هذه
أعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم أم جهلها فقال ابن أبي دواد علمها
فقال أفدعا الناس اليها فسكت ابن أبي دواد فقال الشيخ يا امير
المؤمنين قل ثلاثة فقال الواثق ثلاثة فقال الشيخ يا احمد أفتسع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كما زعمت ولم يطالب أمته بها قال نعم فقال الشيخ
واتسع لابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن
أبي طالب رضي الله عنهم فقال ابن أبي داود نعم فأعرض الشيخ عنه
وأقبل على الواثق فقال يا أمير المؤمنين قد قدمت ان احمد يقول ويصبو
ويضعف عن المناظرة يا أمير المؤمنين ألم يتسع لك من الامساك عن

هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى بكر وعمر وعثمان
وعلى رضى الله عنهم فلا وسع الله على من لم يتسع له منا ما اتسع لهم من
ذلك فقال الواثق نعم ان لم يتسع لنا من الامساك عن هذه المقالة
ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابى بكر وعمر وعثمان وعلى
رضى الله عنهم فلا وسع الله علينا ثم قال اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع
ضرب الشيخ بيده فأخذ القيد فوضعه فى كمه فقال الواثق لم فعلت هذا
فقال الشيخ لانى نويت أن أقدمه* الى من أوصى اليه اذا مت أن يجعله
بينى وبين كفنى حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل يوم القيامة
وأقول يارب سل عبدك هذا لم قيدنى وروع أهلى وولدى واخوانى بلا
حق أوجب ذلك على وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا ثم سأله
الواثق أن يجعله فى حل وسعة مما ناله منه فقال الشيخ ياأمير المؤمنين لقد
جعلتك فى حل وسعة من أول يوم اكراما لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اذ أنت رجل من أهله فقال الواثق لى اليك حاجة فقال الشيخ
ان كانت ممكنة فعلت فقال الواثق تقيم عندنا تنتفع بك فتياننا فقال
الشيخ ياأمير المؤمنين ان ردك اياى الى الموضع الذى أخرجنى منه هذا
الظالم أنفع لك من مقامى عندك فقال ولم ذلك فقال لاسير الى أهلى
وولدى وأكف دعاءهم عنك فقد خلفتهم على ذلك فقال الواثق
أفتقبل مناصلة تستعين بها على دهرك فقال الشيخ ياأمير المؤمنين أنا
غنى وذو ثروة قال أفتسألنا حاجتك قال أوتقضيها قال نعم قال تخلى
سبيلى الى السفر الساعة وتأذن لى قال أذنت لك فسلم عليه الشيخ
وخرج قال صالح قال المهتدى بالله فرجعت عن هذه المقالة من ذلك
اليوم والله أعلم *(فائدة)* روى الدارقطنى وشيخه الحاكم وابن
عدى عن عمران النبى صلى الله عليه وسلم كان فى محفل من أصحابه

اذ جاء اعرابي من بني سليم قد امه طاد ضبا وجعله في كمه ليذهب به الى رحله فرأى جماعة محتفين بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال على من هؤلاء قالوا على هذا الذي يزعم أنه نبي فأتاه فقال يا أحمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك ولولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال واللات والعزى لا آمنت بك حتى يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كمه وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ضب فتكلم الضب بلسان فصيح عربي صريح يفهمه القوم جميعا فقال لبيك وسعديك يا رسول رب العالمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا والله لقد أتيتك وما على وجه الارض أحد هو أبغض مني اليك والله لانت الساعة أحب الى من نفسي ومن ولدي فقد آمن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله تعالى الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقراءة قال فعلمني فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله وقل هو الله أحد فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا

كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله أحد ثلاثا أو قال ثلاث مرات فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي ان الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير انتهى باختصار من حياة الحيوان الكبرى ووقف رجل على الواثق فقال يا أمير المؤمنين صل رحمك وارحم اقاربك وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فاني لا اعرفك قبل اليوم قال ابن جدك آدم فقال يا غلام أعطه درهما فقال يا أمير المؤمنين وما أصنع بالدرهم قال ارأيت لو قسمت المال بين اخواتك اولاد جدي اكان ينوبك منه حبة فقال لله درك ما اذكى فهمك فأمر له بعطاء وانصرف مكرما

(خلافة المتوكل على الله)

حكى عنه أنه قال ذات يوم لابي العيناء ما أشد ما عليك في ذهاب عينيك فقال فقد رؤيتك يا أمير المؤمنين فاستحسن منه هذا الجواب وأمر له بجائزة نفيسة ومما حكاه أبو القاسم علي بن محمد الذهبي عن أبي عبد الله النحوي قال لما حج محمد بن عبد الله بن طاهر رأى في الطواف جارية في نهاية الحسن فسأل عنها فقيل انها لرجل من الادباء قد رواها الاشعار والاخبار والنحو والعروض وقد أحسنت ضرب العود وطريق الغناء فاشتراها بمائة ألف درهم فلما قدم بها مدينة دار السلام شغف بها شغفا شديدا وأخفى أمرها وما يجده منها تخوفا من أمير المؤمنين المتوكل وكان من شدة وجده بها يحتبس عندها أياما لا يظهر للناس فيظنون انه زمن وأمره معها مستور ففطن به سويد بن أبي العالية صاحب البريد وكان بينه وبين محمد منافرة فلم يجد سويد ما يكيده به الا ان كتب الى المتوكل وهو نازل على أربعة فراسخ من بغداد كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أمير المؤمنين فان محمد بن عبد الله اشترى جارية بمائة ألف درهم فهو يصطبح معها ويغتبق زمانه

كله معها وقد اشتغل بها عن النظر فى امور المسلمين وعن التوقيع فى قصص المظلومين ولا يأمن أمير المؤمنين أن تخرب عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب أمير المؤمنين فى اصلاحها وقد أنهى المملوك ذلك الى أمير المؤمنين أيده الله وهو أعلى رأيا والسلام عليه ورحمة الله وبركاته قال فلما قرأ المتوكل الكتاب رفع رأسه الى نرجس الخادم وقال له امض الساعة الى محمد بن عبد الله بن طاهر وادخل عليه داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته فلانه وأت بها من غير تأخير فمضى نرجس من ساعته وكان محمد قد اصطبح معها فى ذلك اليوم فدخل عليهما نرجس من غير استئذان فلم يشعر محمد الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه ودمعت عيناه وارتعدت فرائصه لعلمه أن نرجسا ما دخل عليه من غير اذن الا وقد اضمر له السوء وقال له يا نرجس ما الذى أقدمك قال أمير المؤمنين أمرنى أن آخذ جاريتك هذه قال يا نرجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى ما نحن فيه وأنا لا أخالف ما أمر به أمير المؤمنين ثم أمر للخادم بكرسى فجلس عليه بعد ان امتنع ساعة وقال ان مثلى لا يجلس مع مثلك ثم ان محمدا انظر الى الجارية وبكى بكاء شديدا وقال لها غنى لا تزود منك فأخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

الله بين معذبين رماهما * بشماتة العذال والحساد
أما الرحيل فحين جد تحملت * مهج النفوس به من الاجساد
من لم يبت والبين يصدع شمله * لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعلنا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق لهما حين عاين ما حل بهما فقال أيها الاميران رأيت أن أمضى وأدعكما على ما أنتما عليه وأتعلل عنكما لامير المؤمنين فعلت فقال يا نرجس من

خالفه مثل أبي الاسود كيف يمكنه التعلل ولكن ارفق بنا فقالت
الجارية والله ياسيدي لا ملكني غيرك أبدا ولئن دفعتني اليه لاقتلن
نفسي فقال لها محمد لو كان غير أمير المؤمنين لكان لي في ذلك أوسع
حيلة ولقد وددت أن يأخذ مني أمير المؤمنين جميع ما أملك ويعزلني
عن عملي ويقيلك علي ولكن هذا قضاء الله وقدره ثم التفت الى نرجس
وقال لقد شاهدت مني ومن هذه الجارية ما شهد قلبك علينا بالمحبة
والمودة والالفة وليس يخفى عن علمك أن صنائع المعروف تقي مصارع
السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها الى أمير
المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروءتك ثم التفت اليها وقبلها وبكى
وبكت وبكى نرجس ثم أخذها وخرج وهي تبكي وتخمش خدها
ووجهها ثم حملها نرجس على بغلة أمير المؤمنين وسار حتى دخل على
المتوكل فلما رآه قال ما وراءك يا نرجس قال وراءي يا أمير المؤمنين كل
بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما ولم يخف منه شيأ فقال
المتوكل وكل هذا الوجد يجده محمد من هذه الجارية فقال يا أمير المؤمنين
والذي خفي أكثر مما ظهر وما أظنه يعيش بعدها فرق عليه قلب
المتوكل وقال يا نرجس ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وأدركه
قبل أن تزهق روحه وقد أمرت له بمائة ألف درهم ولها مع ذلك مثله
وجعلت أمر أبي سويد اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك
ودفعه الى نرجس فرجع الخادم بالجارية والتوقيع ولم يمهل حتى دخل
عليه فوجده عريانا يتقلب على حصر سامان من شدة الكرب والوجد
قد أحدقن به الجواري يروحنه بالمراوح فقال أبشر يا محمد ان أمير
المؤمنين قد رد جاريتك عليك من غير أن يوقع نظره عليها وقد حكمك
في أبي سويد ثم ناوله التوقيع بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليها

وعانقه وقبلها ساعة ثم خرج فجلس على باب داره وبعث الى أبي سويد فلما حضر دفع اليه التوقيع فلما قرأه قال أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وان تهدم مني ركنا أنت شيدته وان تضيع صنيعة اصطنعتها الى مثلي فمثلي من هفا ومثلك من عفا ثم قام وقبل البساط وقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفرا ثم أمر له بخمسين ألف درهم فقالت الجارية وأنا أيضا اهب له خمسين الف درهم مما وهبه لي أمير المؤمنين شكرا لله تعالى على ذلك ثم أقره على ما كان عليه وأمر أن يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية الى ما كانا عليه في أطيب عيش وأحسن حال متظاهرا بذلك غير مستتر ولا خائف انتهى وأتى المتوكل بمحمد بن النصيب ووزيره ابن الديرواني وكان محمد هذا قد خرج على المتوكل واستوزر ابن الديرواني فلما مثل بين يدي المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا محمد قال الشقوة وحسن الظن بعفوك يا أمير المؤمنين وأنشد يقول

أبي الناس الا انك اليوم قاتلي * امام الهدى والعفو بالحر أجمل

تضاءل ذنبي عند عفوك قلة * فجد لي بعفو منك فالعفو أفضل

فقال المتوكل خلوا سبيله ثم قدم ابن الديرواني فقال اضربوا عنقه فقال سبحان الله يا أمير المؤمنين تعفو عن الرأس وتقطع الذنب فضحك المتوكل وعفى عنه انتهى وكتب محمد بن عبد الملك بن الزيات وهو في السجن وقد اشتد به الحال رقعة الى المتوكل يستعطفه على نفسه من شدة ما قاسا من الاهوال والعذاب في السجن يقول فيها هذين البيتين

هي السبيل فمن يوم الى يوم * كفرحة النائم الفرحان بالنوم

لا تعجلن رويدا انها دول * دنيا تنقل من قوم الى قوم

قال فلما قرأها المتوكل رق له وبكى وأمر باطلاقه فذهبوا الى السجن

دوجدوه ميتا رحمه الله

(خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله احمد)

كان يسمى السفاح الثانى لانه جدد ملك بنى العباس بعد أن أخلقه الاتراك وأذلته وفى ذلك يقول على بن العباس الرومى

كما بأبى العباس انشئ ملككم * كذا بأبى العباس أيضا يجدد

ولقد اتفق فى أيامه على ما حكى أمر فظيع كشف الله له هيبته فى نفوس الناس فانه كان لا يتجرأ أحد منهم أن يكتم ما فى نفسه مخافة صولته لانه كان لشدة حذقه يتخيل لهم انه يعلم ما فى نفس الانسان من الضمير فاتفق ان أحد وزرائه وأكبر قواده بنى بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه فلم يعارضه أحد فيه من جيرانه لمكانته من سلطانه وعزه وكان يجلس كثيرا فى ذلك البناء فرأى يوما من الايام فى دار من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فأولع بها فسأل عنها فأخبر أنها بنت أحد التجار فأرسل الى والدها خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار لست ازوجها الا من تاجر مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وأنت ان ظلمتها لم أقدر لها على النصفة منك ولا على الحيلة لنصرتها فلم يزل برومه فى ذلك بكل أمر وتوسط اليه الاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه أن يجيبه شكى الى أحد خواصه فقال له ألف مثقال يقوم لك هذا فقال كيف ذلك والله لو علمت انى أنفق عليها مائتى ألف مثقال أو أكثر وتأتينى به لفعلت قال له عليك أن تحضر لى ألف دينار فأمر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضى فى شهاداتهم وذكر لهم الامر وقال هذا امر ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا ألفا وأعلى لهم المهر وانكم تحيون نفسا أشرفت

على الهلاك ويكون لكم عنده مع هذا من الجاه ما ترغبون ابوها انما هو عضل لها في الزواج والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان في جلالة قدره ومكانة امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يأبى هل هذا الا عضل بين ولكن لكم الف مثقال لكل واحد منكم مائة وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اذا علم أبوها بأنكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا اذ ليس فيه الا الخير والخيرة فأخذ الشهود كل واحد منه مائة وشهدوا أن أباها زوجها على صداق مبلغه كذا ورفعوا في الصداق الى غاية ما ترفع اليه صداقات الملوك فلما علم أبوها بذلك زاد نفارا واباء فمشى الوزير وذلك الفتى الى القاضي وقال انى تزوجت فلانة ابنة فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهدوا عليه ثم قد ناكرني وأنكر الشهود وقد أردت ان ادفع له حق ابنته وآخذها فأمر القاضي باحضار الشهود فشهدوا عنده وأحضر مال النقد بين يدي القاضي والرجل على انكاره متماد يا فأمر القاضي بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه أحب أو كره وأمر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية عند الوزير لم يزل ابوها يروم الوصول الى المعتصم وكان المعتصم غليظ الحجاب لا يصل اليه أحد من غير الخاصة فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان له بقصره فان استطعت ان تكون مع جملة رجال الخدمة تصل اليه وتكلمه بما أردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان في ذلك الوقت الذي كانت عادة أمير المؤمنين المعتصم يقف على ذلك البناء خرج ذلك الرجل فترامى الى الارض وجعل يحث التراب على رأسه ويستغيث فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فأرسل المعتصم في ذلك المقام خلف ذلك القائد وأغلظ عليه في القول فحملته هيبته له وقلة اقدامه

على الكذب له ان وصف له الصورة على ما كانت عليه ودعوى يصح أن يعذره فى ذلك اذ قد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وأمر باحضار الشهود فصنعوا مثل صنيع صاحبهم وذلك كله رهبة له واجلالا أن يخاطبوه بكذب مع تخيلهم انه يصفح لهم عن هذه الزلة اذ قد أرادوا احياء نفس ذلك الوزير وأيضا قد دفع له بين يدى القاضى نقدا لا يكون الا فى صداقات الملوك وقد جعل لها من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها فكأنه قد اخذها بحقها أو بأكثر من حقها فلما تحققت عنده جلية الخبر امر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره وأن يوضع ذلك الوزير فى جلد ثور طرى السلخ ويضرب بالمرازب حتى يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم امر به لما صنع به ذلك أن يفرغ بين يدى نمور كانت عنده فلما اكلت تلك النمور ذات ادم أمر الرجل صاحب البنت أن يأخذ ابنته ويأخذ كل ما ذكروا لها على ذلك الوزير فى صداقها من عقار ودور ومال ثم مات المعتضد وولى ابنه المقتدر وكان صبيا صغير السن فعادت الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك والله تعالى أعلم (ويقرب من شهامة هذا الملك) ما ذكره فى حياة الحيوان فى ترجمة يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن صاحب بلاد المغرب بينه وبين الارقش نصرانى طليطلة مكاتبات قال بعث الارقش الى الامير يعقوب يتوعده ويتهدده ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره ابن الفخار وهى باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الفصيح أما بعد فانه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ولا ذى عقل لازب انك أمير الملة الحنيفية كما انى أمير الملة النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتكول والتكاسل واهمالهم أمر الرعية واخلادهم الى الراحة والامنية وأنا أسوسهم بحكم القهر

واخلاء الديار وسبي الذرارى وأمثل بالرجال وأذيقهم عذاب الهوان وشديد النكال ولا عذر لك في التخلف عن نصرتهم اذا أمكنتك القدرة وساعدك من عساكرك وجنودك كل ذى رأى وخبرة وأنتم تزعمون ان الله تعالى قد فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم والآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا ولقد حكى عنك انك أخذت فى الاحتفال وأشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة بعد أخرى تقدم رجلا وتؤخر أخرى فلا ندرى أكان الجبن أبطأك أم التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لى انك لا تجد الى الجواز سبيلا ولعله لا يسوغ لك التقحم فيه ميلا وها أنا أقول لك ما فيه الراحة وأعتذر عنك ولك على أن تفى بالعهود والمواثيق والاستكثار من البرهان والاجنت بجملتى اليك وأقاتلك فى أعز الاماكن عليك فان كانت غنيمة كبيرة جاءت اليك وان كانت لى كانت يدى العليا عليك والله الموفق للاتفاق لا رب غيره ولا خير الا خيره قال فرق بعقرب الكتاب وكتب على قطعة منه ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون الجواب ما ترى لا ما تسمع واستشهد ببيت المتنبي

ولا كتب الا المشرفية عنده * ولا رسله الا الخميس العرمرم

ثم أمر بكتب الاستنفار واستدعاء الجيوش من الامصار وضرب السرادقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل الى بلاد الافرنج فكسرهم كسرة شنيعة وعاد بغنائمهم والله أعلم *(ومن غرائب المنقول وعجائبه)* عن الامير بدر الدين أبى المحاسن يوسف المهمندار المعروف بمهمندار

العرب انه قال حكى لى الامير محمد شجاع الدين الشيرازى متولى القاهرة فى أيام الكامل سنة ثلاثين وستمائة قال بتنا عند رجل بالصعيد فأكرمنا وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له أولاد بيض الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء أولادك قال نعم ثم قال كأنكم أنكرتم على بياضهم وسوادى قلنا نعم فقال هؤلاء كانت أمهم افرنجية أخذتها أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب فقلنا وكيف أخذتها قال حديثى فيها عجيب وأمرى غريب فقلنا أتحفنا به فقال زرعت كتانا فى هذه البلدة وقلعته ونفضته فصرفت عليه خمسمائة دينار ثم لم يبلغ الثمن أكثر من ذلك فحملته للقاهرة لم يصل أكثر من ذلك فأشير على بحمله الى الشام فحملته فلم يزد على تلك القيمة شيأ فوصلت به الى عكة فبعت بعضه لاجل والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى أن تنقضى المدة فبينما أنا أبيع اذ مرت بى امرأة افرنجية ونساء الافرنج يمشون فى الاسواق بلا نقاب وأتت تشترى منى كتانا فرأيت من جمالها ما ابهرنى فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وأتت لى بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من المرة الاولى فتكررت الى وعلمت انى أحبها فقلت للعجوز التى كانت معها انى قد تلفت بحبها وأريد منك الحيلة فقالت لها العجوز ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وانت وهو فأعادت على الجواب فقلت لها أما أنا فقد سمحت بروحى فى حبها واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت نحن الليلة عندك قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الافرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل ولم يبق غير النوم فقلت فى نفسى أما تستحى من الله وأنت غريب تعصى الله مع نصرانية اللهم انى أشهدك انى قد عففت عنها

في هذه الليلة حياء منك وخوفاً من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت من السحر وهي غضبانة ومضت ومضيت الى حانوتي فجلست فيه فاذا هي قد عبرت علي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت في نفسي ومن هو أنت حتى تترك هذه البارعة في حسنها ثم لحقت العجوز وقلت لها ارجعي فقالت وحق المسيح ما أرجع لك الا بمائة أخرى فقلت نعم بسم الله فمضيت فوزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي لحقتني الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها حياء من الله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت علي بعد ذلك وقالت وحق المسيح ما عدت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت على اني أصرف ثمن الكتان جميعه فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة فانقطعت عني وأخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكة وفي قلبي من الافرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة بأوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله علي بكسب وافر وأخذت أتجر في الجواري لعل يذهب ما بقلبي من الافرنجية فمضت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر فأحضرت له جارية حسناء فاشتراها مني بمائة دينار وأوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت العشرة دنانير عنده فلم يجدوها في خزانة الملك في ذلك اليوم لانه أنفق جميع الاموال فلما حضرت الغنيمة جاؤا للملك فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخيمة التي فيها السبي من نساء الافرنج فخيروه في واحدة منهن

يأخذها بالعشرة دنانير التي بقيت له فأتيت الخيمة فعرفت غريمتي فقلت أعطوني هذه الجارية فأخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت بها وقلت لها أتعرفيني قالت لا فقلت لها أنا صاحبك التاجر الذي جرى لي معك ماجرى وأخذتي مني الذهب وقلت ماعدت تراني عندك الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ماجرى فتعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة عندي فحملت مني ثم رحل العسكر وأتينا دمشق فبعد مدة يسيرة أرسل الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا من كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني فأحضرتها بين يدي الملك الناصر والرسول فقلت هذه أسلمت وصارت امرأتي فقال الملك الناصر بحضرة الرسول أترجعين الى بلادك أو الى زوجك فقد فككنا أسرك وأسر غيرك فقالت يامولانا السلطان أنا قد أسلمت وحملت وها بطني كما ترونه وليس لي رغبة في الرجوع الى بلادي ما رغبتي الا في الاسلام وزوجي فقال لها الرسول أيما أحب اليك هذا المسلم أو زوجك الافرنجي فأعادت عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الافرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ زوجتك وتوجه فوليت بها فطلبني ثانيا وقال ان أمها أرسلت معي كسوة وقالت ان ابنتي أسيرة وأشتهي أن توصل لها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار ففتحت القماش فاذا هو قماشها بعينه قد سيرته لها أمها ووجدت داخله الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينارا كما هي بربطتي

ولم

ولم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام والله أعلم *(ويحكى ان بعض الملوك)* أرسل رجلا من بطانته الى بعض الجهات ليعرف خبر عاملها ويطالعه بأخبار الرعية فلما وصل الرجل فطن له العامل فأرسل اليه بمال وتحف ثم قال عرفت ما جئت له وأنا أرغب اليك في كتاب تكتبه الى الملك تذكر فيه اني حسن السيرة وسالك طريق العدل فان أنت فعلت ذلك فلك مني ما تشتهي رغبتك اليه من الخير والعطاء وان أبيت ذلك أمرت الشرطيين أن ينهوا الى من أمرك في الملأ ما يوجب قتلك اما حدا واما سياسة فأقتلك بمحضر من ماضي البلد ووجوه الناس فتذهب كأمس الماضي فلما لم يجد الرجل بدا من موافقته ولم يكن ليخون مرسله كتب بحضرته كتابا الى الملك أما بعد أعز الله الملك وأكرمه فاني قدمت الى مدينة كذا وكذا فوجدت العامل فلانا آخذا بالحزم عاملا بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضيته وأرضى بعضهم عن بعض وجعل طاعته عليهم فرضا وأنزلهم منزلة الاولاد وأذهب ما بينهم من الاحقاد وأراحهم من السعي في الدنيا وفرغهم للعمل في الاخرى أغنى القاصد وأرضى الوارد فجميع أهل عمله داعون للملك يودون النظر الى وجهه الكريم والسلام فلما وصل الكتاب منه الى الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلانا لم يكن عندي بمتهم فان كتابه هذا يدل على ظلم العامل فالتمس لي رجلا يصلح لعمله فاني قد عزلته فقال الوزير أصلح الله الملك وكيف ذلك قال لان قوله آخذا بالحزم عاملا بالعزم أي انه خائف مني لما اعتمده في الولاية وأما قوله ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضيته فمعناه انه لم يخص أحدا بظلمه بل الجميع سواء وقوله وأرضى بعضهم عن بعض أي ذهبت أحقادهم لان الشدائد تذهب الاحقاد وقوله أنزلهم منزلة الاولاد

معناه أخذ أموالهم ورأى انها له أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك وقوله وأراحهم من السعي في الدنيا معناه انه أخذ أموالهم ولم يترك لهم ما يسعون به ولا ما به يتجرون وقوله نرغبهم للعمل في الاخرى معناه انهم لزموا المساجد والعبادة لفقرهم وقوله أغنى الوارد وأرضى القاصد فانه يعني نفسه أي انه أعطاه مالا ليكتب الى بذلك وأما قوله جميع أهل محله داعون لنا معناه أن يبصرنا الله بأمرهم ونطلع على ماهم فيه وقوله يودون النظر لوجهنا أي يشكون الينا مالقوه منه ويستغيثون بنا ثم ان الملك طلب العامل وأحضره الى بابه وأنصف الناس منه ورد عليهم ماكان العامل ظلمهم فيه واقتص منه فيما وجب عليه فيه القصاص وقابله على أفعاله والله أعلم

(وهذه القصيدة الزينبية)

صرمت حبالك بعد وصلك زينب * والدهر فيه تصرم وتقلب
فشرت ذوائبها التي تزهو بها * سود ورأسك كالثغامة أشيب
واستنفرت لما رأتك وطالما * كانت تحن الى لقاك وترغب
وكذاك وصل الغانيات فانه * آل ببلقعة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه * وازهد فعمرك مرمنه الاطيب
ذهب الشباب فماله من عودة * وأتى المشيب فأين منه المهرب
دع عنك ماقد كان في زمن الصبا * واذكر ذنوبك وابكها يامذنب
واذكر مناقشة الحساب فانه * لابد يحصي ماجنيت ويكتب
لم ينسه الملكان حين نسيته * بل أثبتاه وأنت لاه تلعب
والروح فيك وديعة أودعتها * ستردها بالرغم منك وتسلب
وغرور دنياك التي تسعى لها * دار حقيقتها متاع يذهب
والليل فاعلم والنهار كلاهما * أنفاسنا فيها تعد وتحسب

وجميع ما خلفته وجمعته * حقا يقينا بعد موتك ينهب
تبا لدار لايدوم نعيمها * ومشيدها عما قليل يخرب
فاسمع هديت نصيحة أولاكها * بر نصوح للانام مجرب
صحب الزمان وأهله مستبصرا * ورأى الامور بما ثؤب وتعقب
لا تأمن الدهر الخؤون فانه * مازال قدما للرجال يؤدب
وعواقب الايام في غصاتها * غصص يذل لها الاعز الانجب
وعليك تقوى الله فالزمها تفز * ان التقي هو البهي الاهيب
واعمل بطاعته تنل منه الرضا * ان المطيع لديه مقرب
فاقنع ففي بعض القناعة راحة * واليأس عما فات فهو المطلب
فاذا طمعت كسيت ثوب مذلة * فلقد كسي ثوب المذلة أشعب
وتوق من غدر النساء خيانة * فجميعهن مكائد لك تنصب
لا تأمن الانثى حياتك انها * كالافعوان يراع منه الانيب
لا تأمن الانثى زمانك كله * يوما ولو حلفت يمينا تكذب
تغري بلين حديثها وكلامها * واذا سطت فهي الصقيل الاشطب
وابدأ عدوك بالتحية ولتكن * منه زمانك خائفا تترقب
واحذره ان لاقيته متبسما * فالليث يبدو نابه اذ يغضب
ان العدو وان تقادم عهده * فالحقد باق في الصدور مغيب
واذا الصديق رأيته متملقا * فهو العدو وحقه يتجنب
لا خير في ود امرئ متملق * حلو اللسان وقلبه يتلهب
يلقاك يحلف انه بك واثق * واذا توارى عنك فهو العقرب
يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب
وصل الكرام وان جفوك بهفوة * فالصفح عنهم بالتجاوز أصوب
واختر قرينك واصطفيه تفاخرا * ان القرين الى المقارن ينسب

ان الغنى من الرجال مكرم * وتراه يرجى ماليديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه * ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه * حقا يهون به الشريف الانسب
واخفض جناحك للاقارب كلهم * بتذلل واسمح لهم ان أذنبوا
وذر الكذوب فلا يكن لك صاحبا * ان الكذوب يشين خلا يصحب
وزن الكلام اذا نطقت ولاتكن * ثرثاره فى كل ناد تخطب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه * فالمرء يسلم باللسان ويعطب
والسر فاكتمه ولا تنطق به * ان الزجاجة كسرها لا يشعب
وكذاك سر المرء ان لم يطوه * نشرته ألسنة تزيد وتكذب
لاتحرصن فالحرص ليس بزائد * فى الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
ويظل ملهوفا يروم تحيلا * والرزق ليس بحيلة يستجلب
كم عاجز فى الناس يأتى رزقه * رغدا ويحرم كيس ويخيب
وارع الامانة والخيانة فاجتنب * واعدل ولا تظلم يطيب المكسب
واذا أصابك نكبة فاصبر لها * من ذا رأيت مسلما لا ينكب
واذا رميت من الزمان بريبة * أو نالك الامر الاشق الاصعب
فاضرع لربك انه أدنى لمن * يدعوه من حبل الوريد وأقرب
كن ما استطعت عن الانام بمعزل * ان الكثير من الورى لا يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه * يعدى كما يعدى السليم الاجرب
واحذر من المظلوم سهما صائبا * واعلم بأن دعاءه لا يحجب
واذا رأيت الرزق عز ببلدة * وخشيت فيها أن يضيق المذهب
فارحل فأرض الله واسعة الفضا * طولا وعرضا شرقها والمغرب
ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتى * فالنصح أغلى ما يباع ويوهب
انتهى من حياة الحيوان وما أحسن قول صالح بن عبد القدوس

المرء يجمع والزمان يفترق * ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولان يعادي عاقلا خير له * من أن يكون له صديق أحمق
فارغب بنفسك ان تصادق احمقا * ان الصديق على الصديق مصدق
وزن الكلام اذا انطقت فانما * يبدي عقول ذوي العقول المنطق
ومن الرجال اذا استوت أحلامهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجيل بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول وينطق
لا ألفينك ثاويا في غربة * ان الغريب بكل سهم يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل * قدمات من عطش وآخر يغرق
لو يرزقون الناس حسب عقولهم * الفيت أكثر ما ترى يتصدق
لكنه فضل المليك عليهم * هذا عليه موسع ومضيق
واذا الجنازة والعروس تلاقيا * ورأيت دمع نوائح يترقرق
سكت الذي تبع العروس مبهتا * ورأيت من تبع الجنازة ينطق
واذا امرء لسعته افعى مرة * تركته حين يجر حبل يفرق
بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا * ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

(وذكر ابن الجوزي في الاذكياء وغيره) أن عمران بن حطان كان أحدا لخوارج وهو القائل يمدح عبد الرحمن بن ملجم المرادي لعنهما الله تعالى على قتل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه

يا ضربة من تقي ما أراد بها * الا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره يوما فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا
أكرم بقوم بطون الارض أقبرهم * لم يخلطوا دينهم بغيا وعدوانا

فبلغت القاضي أبا الطيب الطبري رحمه الله هذه الابيات فقال مجيبا له

اني لابرء مما أنت قائله * في ابن ملجم الملعون بهتانا
اني لاذكره يوما فالعنه * دنيا والعن عمران بن حطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلا * لعائن الله اسرارا واعلانا
فأنتم من كلاب النار جاء لنا * نص الشريعة برهانا وتبيانا

أشار أبو الطيب رحمه الله الى قوله صلى الله عليه وسلم الخوارج كلاب النار انتهى من حياة الحيوان ومنه ماروى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال جاؤا برجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فشهدوا عليه أنه سرق ناقة لهم فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم أن يقطع فولى الرجل وهو يقول اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شئ وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شئ وسلم على محمد حتى لا يبقى من سلامك شيء فتكلم الجمل وقال يا محمد انه بريء من سرقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بالرجل فابتدره سبعون من أهل بدر فجاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا هذا ما قلت آنفا فأخبره بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك نظرت الملائكة يخترقون سكك المدينة حتى كادوا يحولون بيني وبينك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لتردن على الصراط ووجهك أضوء من القمر ليلة البدر انتهى

وهذه القصيدة يقال انها لامير المؤمنين الراضي بالله

زيادة المرء في دنياه نقصان * وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له * فان معناه في التحقيق فقدان
يا عامرا لخراب العمر مجتهدا * بالله هل لخراب الدهر عمران
ويا حريصا على الاموال يجمعها * أنسيت أن سرور المال أحزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها * فصفوها كدر والوصل هجران
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم * فطال ما استعبد الانسان احسان
وكن على الدهر معوانا لذى أمل * يرجو نداك فان الحر معوان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة * اليه والمال للانسان فتان

من كان للخير مناعا فليس له * عند الخليقة أخدان واخوان
لا تخدشن بمطل وجه عارفه * فالبر يخدشه مطل وامتنان
حسب الفتى عقله خلا يعاشره * اذا تحاماه اخوان وخلان
لا تستشر غير شخص حازم فطن * قد استوت منه اسرار واعلان
وللتدابير فرسان اذا ركضوا * فيها أبروا كما للحرب فرسان
وراف الرفق في كل الامور فلم * يندم رفيق ولم يذممه انسان
ولا تكن عجلا للامر تطلبه * فلم تحمد قبل نجز العجز بحران
هما رضيعا لبان حكمة وتقى * وساكنا وطن مال وطغيان
من مد طرفا بفرط الجهل نحو هوى * غطى على الحق يوما وهو حرمان
من استشار صروف الدهر قام له * على حقيقة طبع الدهر برهان
من عاشر الناس لاقى منهم نصبا * لان طبعهمو بغي وعدوان
ومن يفتش عن الاخوان مجتهدا * فجل اخوان هذا الدهر خوّان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه * ندامة ولحصد الزرع أبان
من استنام الى الاشرار نام وفي * قميصه منهم صل وثعبان
من سالم الناس يسلم من غوائلهم * وعاش وهو قرير العين فرحان
وان أساء مسيء فليكن لك في * عروض زلته عفو وغفران
اذا نأى بكريم موطن فله * وراءه في بسيط الارض أوطان
لا تحسبن سرورا دائما أبدا * من سره زمن ساءته أزمان
يا ظالما فرحا بالعز ساعده * ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضي سيرته * أبشر فأنت بغير الماء ريان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها * فكل حر لحر الوجه صوان
لا تحسب الناس طبعا واحدا فلهم * غوائر ليس يحصيهن انسان
من استعان بغير الله في طلب * فان ناصره عجز وخذلان

فاشدد يديك بحبل الله معتصما * فانه الركن ان خانتك أركان
لا ظل للمرء يغني عن تقى ورضى * وان أظلته أوراق وأفنان
يا رافلا في ثياب المال منتشيا * من كاسه فاقد المرشد نشوان
لا تغترر بشباب فاخر خضر * فكم تقدم قبل الشيب شبان
ويا أخا الشيب لو ناصحت نفسك لم * يكن لمثلك في الاشراق اخوان
هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها * ما بال شيبك يستهويه شيطان
كل الذنوب فان الله يغفرها * ان شيع المرء اخلاص وايمان
وكل كسر فان الله يجبره * ومالكسر قناة الدين جبران
خذها سرائر أمثال مهذبة * فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها * ان يصغها في قريع الدهر حسان

وذيل عليها بعضهم فقال

وكن لسنة خير الخلق متبعا * فانها لنجاة العبد أعوان
فهو الذي شملت للخلق أنعمه * وعمهم منه في الدارين احسان
ومن أتى أبصرت عمي القلوب به * سبل الهدى ووعت للحق آذان
جبينه قمر قد زانه خفر * وثغره درر غر ومرجان
فالبدر يخجل من أنوار بهجته * والشمس من حسنه الوهاج تزدان
به توسلنا في محو زلتنا * لربنا انه ذو الجود منان
يا رب صل عليه ما همى مطر * فأينعت منه أوراق وأغصان
وابعث اليه سلاما زاكيا عطرا * والآل والصحب لا يفنيه أزمان

وعن حماد الراوية قال كنت صحب الوليد بن عبد الملك فلما ولي أخوه يزيد الخلافة هربت الى الكوفة فبينما أنا في المسجد الاعظم اذ أتاني رسول محمد بن يوسف الثقفي وقال أجب الامير فدخلت عليه فقال ورد كتاب أمير المؤمنين علي بحملك اليه وبالباب نجيبان فاركب أحدهما ودفع اليه

كيسا فيه ألف دينار وقال هذه نفقة لمنزلك فدخلت دمشق فى اليوم الثامن واستأذن على الرسول فدخلت عليه فاذا هو جالس فى دار مبلطة بالرخام الاحمر وفيها سرادق خز أحمر فى وسط قبة حمراء من حر وفرشها وكل ما فيها أحمر وعلى رأسه جاريتان عليهما ثياب حمر بيد واحدة منهما ابريق وفى احدى يدى الاخرى نبيذ أحمر وفى اليد الاخرى نبيذ أبيض فلما واجهته سلمت عليه بالخلافة فرد على السلام وقال ادن يا حماد أتدرى فيما بعثت اليك قلت لا يا أمير المؤمنين قال فى بيت شعر ذهب عنى أوله قلت من أى عروض أو قافية قال لا أدرى الا أنه بيت فيه ابريق فقلت فى نفسى ان لم تعصمن الرواية يوما فالآن ففكرت ساعة ثم قلت نعم يا أمير المؤمنين لعله قول التبع اليمانى

بكر العاذلون فى وضح الصبح * يقولون لى ألا تستفيق

ويلومون فيك يا ابنت عبد الله * والقلب عندكم موثوق

لست أدرى اذا كثر العذل فيه * أعدو يلومنى أم صديق

ودعوا بالصبوح صبحا فقامت * قينة فى يمينها ابريق

فصاح يزيد وقال هو والله الشعر بعينه وشرب وقال يا جارية أسقيه فسقتنى كأسا أذهب ثلث عقلى ثم استعاد الشعر وشرب وقال أسقيه فسقتنى فقلت يا أمير المؤمنين ذهب ثلثا عقلى فقال سل حاجتك قبل أن يذهب الثلث الاخير فقلت احدى الجاريتين فقال هما لك وما لهما وما عليهما ومائة ألف تحسن بها سيرك ثم ناولتنى الجارية كأسا فشربتها وانصرفت ونهضت وقد ذهب عقلى فعدل بى الى دار الضيافة فانتبهت آخر الليل واذا بشمع يقد والجاريتان برصان الامتعة والبغال تحمل ما لهما من أثاث وغيره وأصبحت قبضت المال وانصرفت وأنا يسر أهل الكوفة انتهى ولما وقف الشيخ تقى الدين بن حجة رحمه الله

على هذه الحكاية قال انظر أيها المتأدب الى انفاق عظيم الادب في ذلك الارب وبشهادة الله أن البيت الذى طلب حماد الرواية بسببه من العراق الى دمشق وأجيز عليه الجاريتين والمائة ألف تأنف نفسى أن أنظمه فى سلك قصيدة من قصائدى وهو هذا البيت

ودعوا بالصبوح صبحا فقامت * قينة فى يمينها ابريق

وكنت أريد أن أكون فى ذلك العصر ويسمع يزيد بن عبد الملك من نظمى فى هذا الباب وهو قولى

فى ليلة رقم البدر المنير لها * طارا له بعصى الجوزاء نقرات
وبان لى من لماها حين تبسم لى * فوق الاثام در وعقيقات
والراح دبت على فهمى فصورها * لكن لها صاغ فى الكاسات نفحات
كانت علامات تحقيقى فقال فى * هى المنازل لى فيها علامات
مذ أنشأت ناسعنا فى محاسنها * مغردين وللانشاء سجعات
هذا وأفواه كاساتى قد ابتسمت * لماحبتها ثغور لؤلؤيات
ومن يقل حركات الدهر ما سكنت * فللحباب على التسكين حزمات

وألطف من ذلك ما حكاه محمد بن يزيد المبرد قال كان أبو عثمان المازنى قد جاء اليه يهودى وسأله أن يقرءه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع أبو عثمان من ذلك فقلت له سبحان الله ترد مائة دينار مع فاقتك وحاجتك الى درهم واحد فقال نعم يا أبا العباس اعلم أن كتاب سيبويه يشتمل على ثلاثمائة آية من كتاب الله ولا أرى أن أمكن منها كافرا فسكت ولم أتكلم قال المبرد فما مضت الايام حتى جلس الواثق يوما للشرب وحضر ندماؤه فغنت جارية فى المجلس هذا الشعر

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فنصبت رجلا فلحنها بعض الحاضرين من الندماء وقال الصواب الرفع

لانه خبران فقالت الجارية ماحفظته من معلمي الا هكذا ثم وقع النزاع
بين الجماعة فمن القائل الصواب معه ومن القائل الصواب معها فقال
الواثق من بالعراق من أهل العربية ممن يرجع اليه فقالوا بالبصرة
أبوعثمان المازني وهو اليوم واحد عصره في هذا العلم فقال الواثق
اكتبوا الى والينا بالبصرة بسيره الينا معظما مبجلا فما كان الا أيام حتى
وصل الكتاب الى البصرة فأمر الوالي أبا عثمان بالتوجه وسيره على
بغال البريد فلما وصل دخل على الواثق فرفع مجلسه و زاد في اكرامه
وعرض عليه البيت فقال الصواب مع الجارية ولا يجوز في رجل غير
النصب لان مصاب مصدر بمعنى الاصابة ورجلا منصوب به والمعنى ان
أصابتكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم فظلم خبران ولا يتم الكلام
الا به ففهم الواثق كلام أبي عثمان وعلم أن الحق ماقاله وأعجب به
وانقطع الرجل الذي كان أنكر على الجارية ثم أمر الواثق لابي عثمان
المازني بألف دينار وأتحفه بتحف وهدايا كثيرة لاهله ووهبت له
الجارية جملة أخرى ثم سيره الى بلده مكرما فلما وصل جاءه المبرد فقال له
أبوعثمان كيف رأيت يا أبا العباس تركت لله مائة فعوضني ألفا فقال
المبرد من ترك شيأ لله عوضه الله خيرا منه انتهى وعن أنس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله الاسم الاعظم
فجاءني جبريل به مختوما وهو اللهم اني أسألك بالاسم المخزون المكنون
الطهر الطاهر المطهر المقدس المبارك الحي القيوم قالت عائشة بأبي
وأمي علمنيه فقال يا عائشة نهينا عن تعليمه النساء والصبيان والسفهاء
انتهى فائدة كان أبو محمد عبد الله بن يحيى الصنيعي من أصحاب الامام
الشافعي وكان اماما صالحا عالما من أهل اليمن من أقران صاحب البيان
من تصنيفه احترازات المهذب والتعريف في الفقه روى أن ناسا ضربوه

بالسيوف ولم تقطع سيوفهم فيه فسئل عن ذلك فقال كنت اقرأ ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم فالله خير حفظا وهو أرحم الراحمين له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وحفظناها من كل شيطان رجيم وحفظا من كل شيطان مارد وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ان كل نفس لما عليها حافظ ان بطش ربك لشديد الى آخر السورة وينبغى أن يزاد فيها ان ربى على كل شئ حفيظ ثم قال كنت خرجت يوما مع جماعة فرأيت ذئبا يلاعب شاة عجفاء ولا يضرها بشئ فلما دنونا منه نفر منا الذئب فوجدنا فى عنق الشاة كتابا مربوطا فيه هذه الآيات المقدمة انتهى (فائدة) قال معاذ بن جبل احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا نترائى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما أنتم ثم انفتل الينا فقال أما انى سأحدثكم ماحبسنى عنكم الغداة انى قمت من الليل فتوضأت وصليت ماقدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت فاذا أنا بربى تعالى فى أحسن صورة فقال يامحمد فقلت لبيك يارب قال فيم يختصم الملأ الاعلى قلت رب لا أدرى قال تعالى فى الكفارات والدرجات وفى رواية قلت فى الكفارات والدرجات قال فماهن قلت مشى الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء على المكروهات قال ثم فيم قلت اطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام قال سل قلت اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفرلى وترحمنى واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنى الى حبك فقال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حق فادرسوها ثم تعلموها قال
أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى من حياة الحيوان فى حرف
النون قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك فقال هو أخفى
فيكم من دبيب النمل وسأدلك على شئ اذا فعلته أذهب الله عنك صغار
الشرك وكباره تقول اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيأ وأنا أعلم
وأستغفرك لما لا أعلم انك أنت علام الغيوب تقولها ثلاث مرات
انتهى (فائدة) اذا علقت عين الهدهد على صاحب النسيان ذكر
ما نسيه ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين أذهبه وروى أحمد
والبزار ورجال أحمد ثقات من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأى رجلا يشرب قائما فقال أيسرك أن يشرب معك الهر
قال لا قال فقد شرب معك الشيطان وفى تاريخ ابن النجار فى ترجمة
محمد بن عمر الحنبلى عن أنس بن مالك قال كنت جالسا عند عائشة
رضى الله عنها أبشرها بالبراءة فقالت والله لقد هجرنى القريب والبعيد
حتى هجرتنى الهرة وما عرض على طعام ولا شراب فكنت أرقد وأنا
جائعة فرأيت فى منامى فتى فقال مالك حزينة فقلت مما ذكر الناس
فقال ادعى بهذه يفرج الله عنك فقلت وما هى قال قولى دعاء الفرج
يا سابغ النعم ويا دافع النقم ويا فارج الغمم ويا كاشف الظلم ويا أعدل
من حكم ويا حسيب من ظلم ويا ولى من ظلم ويا أول بلا بداية ويا آخر
بلا نهاية ويا من له اسم بلا كنية اجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا قالت
فانتبهت وأنا ريانة شبعانة وقد أنزل الله براءتى وجاءنى الفرج انتهى
من حياة الحيوان وهذا الدعاء روى الطبرانى باسناد صحيح قطعة منه
عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بأعرابى وهو يدعو فى صلاته
يقول يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون

ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر يعلم مثاقيل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الامطار وعدد ورق الاشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار ولا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضا ولا بحر الا ويعلم ما فى قعره ولا جبل الا يعلم ما فى وعره اجعل اللهم خير عمرى آخره وخير عملى خواتيمه وخير أيامى يوم لقائك ووكل النبى صلى الله عليه وسلم بالاعرابى رجلا فقال اذا صلى فأتنى به فلما صلى أتاه به وقد كان أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم ذهب من بعض المعادن فلما أتى الاعرابى وهب له الذهب وقال ممن أنت أيها الاعرابى قال من بنى عامر بن صعصعة فقال صلى الله عليه وسلم هل تدرى لم وهبت لك هذا الذهب قال للرحم التى بيننا وبينك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم ان للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل انتهى من حرف الطاء وفى كتاب ثمار القلوب للثعالبى فى الباب الثالث عشر منه أن الملك بهرام جور لم يكن فى العجم أرمى منه (ومن غريب ما اتفق له) أنه خرج يوما يتصيد على جمل وقد أردف جارية يعشقها فعرضت له ظباء فقال للجارية فى أى موضع تريدين أن أضع هذا السهم من هذه الظباء قالت أريد أن تشتبه ذكرانها بأناثها وأناثها بذكرانها فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين أثبتهما فى موضع القرنين ثم سألته أن يجمع ظلف الظبى وأذنه بنشابة واحدة فرمى أذن الظبى ببندقة فلما أهوى بيده الى أذنه ليحك رماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه ثم أهوى الى الجارية مع هواه بها فرمى بها الى الارض وأوطأها الجمل بسبب ما اشترطت عليه وقال ما أردت الا اظهار عجزى فلم تلبث الا يسيرا وماتت انتهى (حكاية فى القطا) يقال نزل عمرو بن أمامة على قوم من مراد فطرقوه ليلا فأثاروا

من أماكنهم سافرأتهم امرأة يقال لها حذام فلما رأت القطا طار ليلا نبهت زوجها مع رجال من قومها فقالت لهم لو ترك القطا ليلا لنام فلم يلتفتوا الى قولها وأخلدوا الى مضاجعهم فقام رجل منهم وقال

اذا قالت حذام فصدقوها * فان القول ما قالت حذام

فنفر القوم والتجؤا الى واد قريب منهم واعتصموا به حتى أصبحوا وامتنعوا من عدوهم فضرب به المثل انتهى بتقديم وتأخير وعن أبى جعفر الخالدى قال ودعت أبا الحسن الصغير المدنى فقلت له زودنى شيأ فقال اذا ضاع منك شئ وأردت أن يجمع الله بينك وبين ذلك الشئ أو ذلك الانسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بينى وبين كذا فان الله تعالى يجمع بينك وبين ذلك الشئ أو ذلك الانسان انتهى من حرف الالف وهذه أبيات

لصيد اللخم فى البحر * وصيد الاسد فى البر

وقضم الثلج فى القر * ونقل الصخر فى الحر

واقدام على موت * وتحويل الى القبر

لاشهى من طلاب العز * فى من عاش فى الفقر

قوله اللخم بضم اللام واسكان الخاء المعجمة ضرب من السمك ضخم يقال له الكوسج وهو القرش انتهى من حياة الحيوان فى حرف اللام

(وذكر بعض أهل التواريخ) ان ملكا من الملوك خرج يدور فى مملكته فوصل الى قرية عظيمة فدخلها منفردا فأخذه العطش فوقف بباب دار من دور القرية وطلب ماء فخرجت اليه امرأة جميلة بكوز ماء وناولته اياه فلما نظر لها افتتن بها فراودها عن نفسها وكانت المرأة عارفة به فعلمت أنها لا تقدر على الامتناع منه فدخلت وأخرجت له كتابا وقالت له انظر فى هذا الكتاب الى أن أصلح من أمرى ما تحب

وأعود فأخذ الملك الكتاب ونظر فيه وإذا فيه الزجر عن الزنا وما أعدّ الله تعالى لفاعله من العذاب الاليم فاقشعر جلده ونوى التوبة وصاح بالمرأة وأعطاها الكتاب ومرذاهبا وكان زوج المرأة غائبا فلما حضر أخبرته الخبر فتحير في نفسه وخاف أن يكون قد وقع غرض الملك فيها فلم يتجاسر على وطئها بعد ذلك ومكث على ذلك مدة فأعلمت المرأة أقاربها بحالها مع زوجها فرفعوه الى الملك فلما مثل بين يدى الملك قال أقارب المرأة أعز الله مولانا الملك ان هذا الرجل قد استأجر منا أرضا للزراعة فزرعها مدة ثم عطلها فلا هو يزرعها ولا هو يتركها لنؤجرها لمن هو يزرعها وقد حصل الضرر للارض ونخاف فسادها بسبب التعطيل لان الارض اذا لم تزرع فسدت فقال الملك لزوج المرأة ما يمنعك من زرع أرضك فقال أعز الله مولانا الملك انه قد بلغني ان الاسد قد دخل أرضى وقد هبته ولم أقدر على الدنو منها لعلمى بأنه لا طاقة لى بالاسد ففهم الملك القصة فقال له يا هذا ان أرضك طيبة صالحة للزراعة فازرعها بارك الله لك فيها فان الاسد لن يعود اليها ثم أمر له ولزوجته بصلة حسنة وصرفه انتهى من حرف الالف (فائدة) الفرزدق اسمه همام بن غالب والفرزدق لقب غلب عليه والفرزدق قطع العجين الواحدة فرزدقة ولقب به لغلظه وقصره انتهى (فائدة عظيمة) قال الاطباء اذا أردت أن تعلم ان المرأة عقيم أم لا فمرها أن تحمل بثومة في قطنة وتمكث سبع ساعات فان فاح من فمها رائحة الثوم فعالجها بالادوية فانها تحمل باذن الله تعالى والا فلا مجربة في ذلك والله أعلم (فائدة) قال شيخ الاسلام محيي الدين النووى فى أذكاره فى باب أذكار المسافر عند ارادته الخروج من بيته يستحب له عند ارادة الخروج أن يصلى ركعتين لحديث المطعم بن المقدام الصحابي رضى الله

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما خلف أحد عند أهله
أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد السفر رواه الطبرانى وقال
فى تتمة أخرى قال الشيخ قطب الدين القسطلانى مما حفظت من والدتى
أم محمد آمنة وكانت وفاتها فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة اللهم
بتلألؤ نور بهاء حجب عرشك من أعدائى احتجبت وبسطوة الجبروت
ممن يكيدنى استترت وبطول حول حجب عرشك من أعداءى احتجبت
وبشديد قوتك من كل سلطان تحصنت وبديوم قيوم دوام أبديتك
من كل شيطان استعذت وبمكنون السر من سر سرك من كل هم وغم
تخلصت ياحامل العرش عن حملة العرش ياشديد البطش ياحابس
الطير والوحش احبس عنى من ظلمنى واغلب من غلبنى كتب الله
لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز انتهى وقال الشيخ قطب الدين
ومما حفظته من دعاء والدى من الأدعية التى تنفع فى الحجب عن
الاعداء اللهم بسر الذات وبذات السر هو أنت أنت هو لا إله الا أنت
احتجبت بنور الله وبنور عرش الله وبكل اسم لله من عدوى وعدو
الله بألف ألف لا حول ولا قوة الا بالله ختمت على نفسى ودينى وأهلى
ومالى وولدى وجميع ما أعطانى ربى بخاتم الله القدوس المنيع الذى
ختم به أقطار السموات والارض حسبنا الله ونعم الوكيل حسبنا الله
ونعم الوكيل حسبنا الله ونعم الوكيل وقال الكسائى دخلت على
الوليد ذات يوم وهو فى ايوانه وبين يديه مال كثير قد أمر بتفرقته على
خدمه الخاصة وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله وكان كثيرا
ما يحدثنى فقال هل علمت أول من سن هذه الكتابة فى الذهب والفضة
قلت هو ياسيدى عبد الملك بن مروان قال فما كان السبب فى ذلك قلت
لا أعلم غير انه أول من أحدث هذه الكتابة قال سأخبرك كانت

القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر نصرانيا على دين ملك الروم
وكانت تطرز بالرومية وكان طرازها أبا وابنا وزوجة وبقتا فلم يزل
كذلك صدر الاسلام كله يمضى على ما كان عليه الى ان ملك عبد الملك
فتنبه له وكان فطنا فبينما هو ذات يوم جالس اذ مر به قرطاس فنظر الى
طرازه فأمر أن يترجم بالعربية ففعل ذلك فأنكره وقال ما أغلظ هذا
فى دين الاسلام أن يكون طراز القراطيس هكذا وهى تعمل فى الاوانى
والثياب وهما يعملان بمصر وغير ذلك مما يطرز من ستور وغيرها من
عمل هذا البلد فأمر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان وكان عامله بمصر
بابطال تلك الطراز الذى يعمل على الثياب والقراطيس والستور وغير
ذلك وأن تعمل صناع القراطيس صورة التوحيد وشهد الله انه لا اله
الا هو وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت ولم ينقص ولم يزد ولم
يتغير وكتب الى عمال الآفاق جميعا بابطال ما فى أعمالهم من القراطيس
المطرزة بطراز الروم ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهى شئ منه
بالضرب الوجيع والحبس الطويل بعد ما أثبت القراطيس بالطراز
المحدث بالتوحيد وحمل الى بلاد الروم منها وانتشر خبرها ووصل الى
ملكهم فترجم له ذلك الطراز فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظا
فكتب الى عبد الملك انى أعلى القراطيس بمصر وسائر ما يطرز هناك
للروم ولم تزل تطرز بطراز الروم الى ان ابطلته فان كان من تقدمك من
الخلفاء قد أصاب فقد أخطأت وان كنت قد أصبت فقد أخطأوا فاختر
من هاتين الخلتين أيهما شئت وأحببت وقد بعثت اليك بهدية تليق
بمحلك وأحببت أن ترد طراز تلك القراطيس الى ما كان عليه وجميع
ما كان يطرز أولا لاشكرك عليها وتأمر بقبض الهدية وكانت عظيمة
القدر فلما قرأ عبد الملك كتابه رد الرسول وأعلمه انه لا جواب له

ورد الهدية فانصرف بها الى صاحبه فلما وافاه أضعف الهدية ورد الرسول الى عبد الملك وقال انى ظننت انك استقللت الهدية فلم تقبلها ولم تجبنى الى كتابى فأضعفت الهدية وأنا أرغب اليك الى مثل مارغبت فيه أولا من رد الطراز الى ما كان عليه أولا فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه ورد الهدية فكتب اليه ملك الروم كتابا يقتضى أجوبة كتبه ويقول انك قد استخففت بجوابى وهديتى ولم تسعفنى بحاجتى فتوهمتك استقللت الهدية فأضعفتها فجديت فى سبيلك الاول وقد أضعفتها لك ثالثا وأنا أحلف بالمسيح لتأمرن برد الطراز الى ما كان عليه أولا أو لآمرن بنقش الدراهم والدنانير فانك تعلم انه لا ينقش شئ منها الا ما ينقش فى بلادى ولم ترد الدنانير والدراهم نقشت فى بلاد الاسلام فننقش عليها شتم نبيك فاذا قرأته ارفض جبينك عرقا فأحببت أن تقبل هديتى وترد الطراز الى ما كان عليه أول الامر وكانت هدية بر رتنى بها ويبقى الامر بينى وبينك فلما قرأ عبد الملك الكتاب صعب عليه وعظم وضاقت به الارض وقال أحسبنى أشأم مولود ولد فى الاسلام لانى جنيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من شتم هذا الكافر ما يبقى الى أبد الدهر ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب اذا كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم فجمع أهل الاسلام واستشارهم فلم يجد عندهم رأيا يعمل به فقال له روح بن زنباع انك لتعلم المخرج من هذا الامر ولكنك متعمد تركه فقال ويحك من قال عليك بالباقر من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم قال صدقت ويمكنه يا روح الرأى فيه قال نعم فكتب الى عامله بالمدينة أن أرسل الى على بن الحسين مكرما ومتعه بمائة ألف درهم لجهازه وثلاثمائة درهم لنفقته وأرح عليه فى جهازه وجهاز من يخرج معه من أصحابه وجيش الرسول قبله الى

موافاة على فلما وافاه أخبره الخبر فقال له على رضى الله عنه لا يعظم على هذا ولا عليك فانه ليس بشىء من جهتين أحدهما ان الله عز وجل لم يكن ليطلق ما يهدد به صاحب الروم فى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعو فى هذا الوقت بصناع يضربون سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها صورة التوحيد وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما فى وجه الدرهم أو الدينار والاخرى فى الوجه الثانى وتجعل فى وجه الدرهم أو الدينار ذكر البلد الذى يضرب فيه والسنة التى تضرب فيها سكك الدراهم والدنانير وتعمد الى وزن ثلاثين درهما عددا من الثلاثة أصناف التى العشرة منها وزن عشرة مثاقيل وعشرة منها وزن ست مثاقيل وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل فتكون أوزانها جميعا احدى وعشرين مثقالا فتجزئها من الثلاثين فيصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل وكانت الدراهم فى ذلك الوقت انما هى الكسروية التى يقال لها اليوم البغلية لان رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب رضى الله عنه بسكة كسروية فى الاسلام مكتوب عليها صورة الملك وتحت الكرسى مكتوب بالفارسية بوس خرامى كل هنيأ وكان الدرهم قبل الاسلام مثقالا والدرهم الذى كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل والعشرون التى وزنها خمسة مثاقيل هم السمرية الخفاف والمثقال نقشها نقش فارس ففعل ذلك عبد الملك وأمر على بن الحسين رضى الله عنه أن يكتب السكة فى جميع بلدان الاسلام وأن يتقدم الناس بالتعامل وأن يتهدد بقتل من تعامل بغير هذا من الدراهم والدنانير وغيرهما وان تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكة الاسلامية ففعل عبد الملك ذلك ورد رسول ملك الروم اليه بذلك ويقول ان الله عز وجل مانعك مما قد أردت أن تفعله وقد نفذت الى عمالى

فى أقطار البلاد بكذا وكذا وبابطال السكك والطراز الرومية فقيل لملك الروم افعل ما كنت تهدد به ملك العرب فقال انما أردت أن أغيظه بما كتبت اليه لانى كنت قادرا عليه بالمال وغيره ورسوم الروم فاما الآن فلا أفعل لان ذلك لا يتعامل به أهل الاسلام وأمتنع من الذى قال وثبط مما أشار به على بن الحسين رضى الله عنهما الى اليوم ثم رمى يعنى الوليد بالدرهم الى بعض الخدم انتهى من حياة الحيوان وقال نصر الله بن مجلى وكان من الثقات وأهل السنة رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين ماتم فقال أما سمعت أبيات ابن الصيفى فى هذا قلت لا قال اسمعها منه ثم انتبهت فبادرت الى دار حيص بيص فذكرت له الرؤيا فشهق وبكى وحلف بالله لم تخرج من فيه أوخطه لاحد ومانظمها الا فى ليلته ثم أنشدنى

ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الاسارى وطال ما * غدونا عن الاسراء نعفو ونصفح

واسم حيص بيص سعيد بن محمد أبو الفوارس التميمى الشاعر المشهور ويعرف بابن الصيفى ولقب بحيص بيص لانه رأى الناس يوما فى حركة مزعجة وأمر شديد فقال ما للناس فى حيص بيص فبقى هذا اللقب عليه ومن محاسن شعره

يا طالب الرزق فى الآفاق مجتهدا * أقصر عناك فان الرزق مقسوم
الرزق يأتى الى من ليس يطلبه * وطالب الرزق يسعى وهو محروم

وله أيضا

يا طالب الطب من داء أصيب به * ان الطبيب الذى أبلاك بالداء
هو الطبيب الذى يرجى لعافية * لا من يذيب لك الترياق فى الماء

وله أيضا

الهُ عما استأثر الله به * أيها القلب ودع عنك الحرق
فقضاء الله ليس يدفعه * حول محتال اذا الامر سبق

وله أيضا

أنفق ولا تخش اقلالا فقد قسمت * على العباد من الرحمن أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية * ولا يضر مع الاقبال انفاق

(ومما جاء فى الذكاء والفهم) ما حكى عن المأمون انه غضب على عبد الله بن طاهر وشاور أصحابه فى الايقاع به وكان قد حضر فى ذلك المجلس صديق له فكتب اليه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ياموسى فلما فضه ووجد ذلك تعجب وجعل يطيل النظر اليه ولا يفهم معناه وكانت له جارية واقفة على رأسه فقالت له ياسيدى انى أفهم معنى هذا فقال وما هو قالت انه أراد قوله تعالى ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكان قد عزم على الحضور الى المأمون فثنى العزم عن ذلك واعتذر للمأمون فى عدم الحضور فكان سبب سلامته وأحسن من ذلك ما ذكره ابن خلكان قال ان بعض الملوك غضب على بعض عماله فأمر وزيره أن يكتب له كتابا يشخصه به وكان للوزير بالعامل عناية فكتب اليه كتابا وكتب فى آخره ان شاء الله تعالى وجعل فى صدر النون شدة فتعجب العامل كيف وقعت هذه الحركة من الوزير اذ من عادة الكتاب ان لا يشكلوا كتبهم ففكر فى ذلك فظهر له أنه أراد ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك وكشط الشدة وجعل مكانها ألفا وختم الكتاب وأعاده فلما وقف عليه الوزير سر بذلك وفهم انه أراد انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها انتهى وفى تاريخ بغداد ووفيات الاعيان أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان له جار اسكافى يعمل نهاره فاذا رجع الى منزله ليلا

تعشى ثم شرب واذا دب الشراب فيه غنى وقال

أضاعوني وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوت كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس من ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى الى دار الامير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الامير من مجلسه وقال ما حاجتك قال أشفع فى جارى فقال الامير أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة فحلوهم أيضا وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج الاسكافى يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة يافتى هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت جزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد الى ما كان يفعل وقال الشافعى قلت لمالك هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته (فائدة) اذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب لها بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون (فائدة أخرى للصداع) ذكر فى حياة الحيوان أن مسلمة بن عبد الملك لما حاصر عمورية حصل له صداع فلم يركب فى الحرب فقال أهل عمورية للمسلمين ما لاميركم لا يركب فقالوا عرض له صداع فأخرجوا البرنسا وقالوا ألبسوه له يزول عنه ما يجد فلبسه فشفى ففتشوا فيه فلم يجدوا فيه شيأ غير بطاقة مكتوب فيها هذه الآيات بسم الله الرحمن الرحيم ذلك تخفيف من ربكم ورحمة بسم الله الرحمن الرحيم يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا بسم الله

الرحمن الرحيم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا بسم الله
الرحمن الرحيم كهيعص بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق بسم الله
الرحمن الرحيم واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع
اذا دعان بسم الله الرحمن الرحيم ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولوشاء
لجعله ساكنا بسم الله الرحمن الرحيم وله ماسكن فى الليل والنهار وهو
السميع العليم فقال المسلمون من أين لكم هذا انما نزل على نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا هذا محفوظا فى حجر فى كنيستنا قبل أن
يبعث نبيكم بسبعمائة عام انتهى قال الحافظ ابن عساكر ويكتب
للصداع أيضا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمت ربك عبده
زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ألم ترالى ربك كيف مد الظل ولوشاء
لجعله ساكنا كهيعص حمعسق كم لله من نعمة على عبد شاكر
وغير شاكر وكم لله من نعمة فى قلب خاشع وغير خاشع وكم لله من نعمة
فى كل عرق ساكن وغير ساكن اذهب أيها الصداع بعز عز الله بنور
وجه الله وله ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ولا حول
ولا قوة الا بالله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله
وصحبه أجمعين فانه نافع وعن أبى الدرداء قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فمر بنا كلب فما بلغت رجله يده حتى مات فلما فرغ
صلى الله عليه وسلم قال من الداعى على هذا الكلب آنفا فقال رجل
من القوم أنا يا رسول الله قال فما قلت قال قلت اللهم انى أسألك بأن لك
الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذوالجلال
والاكرام اكفنا هذا الكلب بما شئت فقال صلى الله عليه وسلم لقد
دعا الله بالاسم الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى
وهذا الحديث فى السنن الاربعة ومسند أحمد وكتاب الحاكم وابن

حبان

حبان قيل وكانت صلاة العصر يوم الجمعة وان الرجل الداعي سعد بن أبي وقاص انتهى من حياة الحيوان (فائدة منه أيضا) تكتب هؤلاء الكلمات وتجعل في أنبوبة وتدفن في الزرع والكرم فانه لا يؤذيه الجراد باذن الله تعالى وهي بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم اللهم اهلك صغارهم واقتل كبارهم وافسد بيضهم وخذ بأفواههم عن معايشنا وارزاقنا انك سميع الدعاء اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم واستجب منا يا أرحم الراحمين وهو عجيب مجرب (فائدة) قال القرافي اتفق الناس على تكفير ابليس بقضيته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود والا لكان كل من أمر بالسجود وامتنع منه كان كافرا وليس كذلك ولا كان كفره بكونه حسد آدم عليه السلام على منزلته من الله تعالى والا لكان كل حاسد كافرا ولا كان كفره بعصيانه وفسوقه والا لكان كل عاص وفاسق كافرا وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء وينبغي أنه انما كفر بنسبة الحق جل جلاله الى الجور والتصرف الذي ليس بمرضي ويظهر ذلك من فحوى قوله تعالى أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ومراده أن الزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم وهذا وجه كفره لعنه الله تعالى وقد أجمع المسلمون على أن من نسب الله تعالى لذلك فهو كافر انتهى من حياة الحيوان ومنه قول الشاعر

خليلي ان قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها

سهى وهو مشغول لعظم الذي به

ومن بات طول الليل يرعى السها سهى

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم يبق يوما بهاؤها
لها مقلة كحلاء وخد مورد * كأن أباها الظبى أو أمها مها
دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالمزج من ودها دها

هى من مزج النغف بنون وغين معجمتين مفتوحتين ثم فاء دود يكون فى أنف الابل والغنم الواحدة نغفة انتهى عن الاصمعى وقال أبو عبيدة هو الدود الابيض يكون فى النوى وماسوى ذلك الدود ليس بنغف وروى مسلم عن النواس بن سمعان فى حديثه الذى رواه فى الدجال ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيرسل عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ومعنى قوله فرسى قتلى وقيل للواحدة فريس من فرس الذئب الشاة وافترسها قول الهامة روى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال كنت عند كعب الاحبار وهو عند عمر بن الخطاب فقال كعب الاحبار يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شئ قرأته فى كتب الانبياء أن هامة جاءت الى سليمان بن داود عليهما السلام فقالت السلام عليك يا نبى الله فقال وعليك السلام ياهامة أخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع قالت يانبى الله ان آدم أخرج من الجنة بسببه قال فكيف لاتشربين الماء قالت لانه غرق فيه قوم نوح فمن أجل ذلك لاأشربه فقال لها كيف تركت العمران وسكنت الخراب قالت لان الخراب ميراث الله فأنا أسكن ميراث الله تعالى قال الله تعالى وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت أقول أين الذين كانوا يتنعمون فيها قال سليمان فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها قالت أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد قال سليمان عليه السلام

فما بالك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فأخبرني ما تقولين في صياحك قالت أقول تزودوا يا غافلين وتهيئوا لسفركم سبحان خالق النور فقال سليمان ليس في الطيور طير أنصح لبني آدم ولا أشفق عليه من الهامة وما في قلوب الجهال أبغض منها والهامة بتخفيف الميم على المشهور طير الماء انتهى من حياة الحيوان (وفي كتاب فردوس الحكم) قال آية من كتاب الله تعالى من قرأها يأمن من الهوام اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم (فائدة) اليحمور حمار الوحش وفي كتاب العرائس لابي الفرج بن الجوزي ان بعض طلبة العلم خرج من بلاده فرافقه شخص في الطريق فلما كانا قريبا من المدينة التي قصداها قال له ذلك الشخص قد صار لي عليك حق وذمة وأنا رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا أتيت مكان كذا وكذا فانك تجد فيه دجاجات بينهن ديك أبيض فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه فهذه حاجتي اليك فقلت له يا أخي وأنا أيضا أسألك حاجة قال وما هي قلت اذا كان للانسان مارد لا تعمل فيه العزائم وألح بالآدمي منا ما دواؤه قال يؤخذ له وتر قدر شبر من جلد اليحمور ويشد به ابهاما المصاب من يده شدا وثيقا ثم يؤخذ له من دهن السداب البري ويقطر في أنفه الايمن أربعا وفي الايسر ثلاثا فان الماسك به يموت ولا يعود الى أحد بعده قال فلما دخلت المدينة أتيت الى ذلك المكان فوجدت الديك لعجوز فسألتها بيعه فأبت فاشتريته منها بأضعاف ثمنه فلما اشتريته وملكته تمثل لي من بعيد وقال لي بالاشارة اذبحه فذبحته فخرج علي عند ذلك رجال ونساء فجعلوا يضربونني ويقولون يا ساحر فقلت لست بساحر فقالوا انك منذ ذبحت الديك أصيبت شابة عندنا

بجنى وانه منذ مسكها الى فارقها فطلبت منهم و تراقد رشبر من جلد يحمور وشيأ من دهن السداب البرى فأتوانى بهما فشددت ابهامى يدى الشابة شدا وثيقا فلما فعلت بها ذلك صاح وقال أنا علمتك على نفسى ثم قطرت من الدهن فى أنفها الأيمن أربعا وفى الايسر ثلاثا فخر من وقته ميتا وشفى الله تلك الشابة ولم يعاودها بعده شيطان (فائدة) دم اليربوع يؤخذ ويطلى به الشعر الذى ينبت فى الجفن بعد أن ينتف يذهب باذن الله تعالى (فائدة) عين الهدهد اذا علقت على صاحب النسيان ذكر مانسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب على خصمه وقضيت حوائجه وظفر بما يريد ولحمه اذا أكل مطبوخا نفع من القولنج ودمه اذا قطر فى البياض العارض فى العين أذهبه وان بخر بجنحه برج حمام لم يقربه شئ يؤذيه والله أعلم (وحكى القاضى شهاب الدين بن فضل الله) فى كتابه مسالك الانصار فى ممالك الامصار فى ترجمة الحاكم بأمر الله أبى على منصور قال فبينما هو فى موكبه قبلى بركة الحبش اذ مر برجل على بستان له وحوله عبيده فاستقاه ماء فسقاه ثم قال يا أمير المؤمنين قد أطمعتنى فى السؤال فان رأى أمير المؤمنين أن يكرمنى بنزوله لاحظى بتمام السعد فأجابه لذلك فنزل بجيشه فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية فبهت الحاكم وقال أيها الرجل خبرك عجيب هل علمت بنا فأعددت هذا قال لا والله يا أمير المؤمنين وانما أنا تاجر من رعيتك لى مائة محضية فلما أكرمتنى بالنزول عندى أخذت من كل واحدة شيأ من فرشها وزائدأ كلها وشربها فان لكل واحدة فى كل يوم طبق طعام وطبق فاكهة وجام حلوى وزبدية شراب فسجد أمير المؤمنين شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذى جعل فى رعايانا

من

من يسمع حاله هذا ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم المضروبة في تلك السنة فكانت ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ولم يركب حتى أحضرها وأعطاها الرجل وقال له استعن بهذا على حالك ومروءتك ثم ركب وانصرف * (وحكى اسحاق بن ابراهيم الموصلي) * قال دعاني يحيى بن خالد فدخلت عليه فوجدت الفضل وجعفرا ولديه جالسين بين يديه فقال لي يا أبا اسحاق أصبحت اليوم مهموما فأردت الصبوح لاتسلى فغنني صوتا لعلي أرتاح له فغنيته

اذا نزلوا بطحاء مكة أشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم * وما خلقوا الا لاعواد منبر

فسر وارتاح وأمر لي بمائة ألف وأمر لي كل واحد من ولديه بمائة ألف فحمل المال جميعه بين يدي فأخذته وانصرفت انتهى * (وحكى عن مخارق) قال أصبحت السماء مغيمة وأصبح الرشيد مع حريمه فأمرنا بالانصراف وأذن لنا أن نقيم في منازلنا ثلاثة أيام فمضى الجلساء أجمعون الى منازلهم فقلت والله لاذهبن الى أستاذي ابراهيم الموصلي فأعرف خبره ثم أعود وأمرت من عندي أن يهيئوا لي مجلسا الى وقت رجوعي فجئت الى دار ابراهيم وقلت للبواب أخبر استاذك فأخبره فقال أدخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق وبين يديه قدر تغرغر وأباريق تزهر وستارة منصوبة والجواري خلفها فقلت ما بال الستارة لا أسمع من ورائها صوتا فقال اقعد ويحك اني أصبحت على ما ترى فأتاني خبر ضيعة بجواري وقد كنت طلبتها زمانا وتمنيتها فلم أملكها وقد أعطاني فيها الا ن مائة ألف فقلت وما يمنعك منها وقد أعطاك الله أضعاف هذا المال قال صدقت ولكن نفسي غير طيبة باخراج هذا المال وقال خذ هذا القضيب

ونقر بقضيب في يده على المدورة وألقى عليه

نام الخليون من وهم ومن سقم * وبت من كثرة الاحزان لم أنم
يا طالب الجود والمعروف مجتهدا * اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

قال فأخذته وأحكمته ثم قال امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد وادخل عليه وحدثه بما رأيت واذكر الضيعة وعرفه اني صنعت له هذا الصوت وأعجبني ولم أجد من يستحقه الا جاريته دنانير وانني ألفيته عليك لتلقيه عليها وائتني بما يكون من الخبر قال فجئت الى الباب واستأذنت وأعلمه فأمر بنصب الستارة وألقيت الصوت على الجارية مرارا حتى أحكمته فقال لي تقيم عندنا أو تنصرف قلت أنصرف أطال الله بقاء مولانا الوزير فقال يا غلام احمل معه عشرة آلاف واحمل الى ابراهيم مائة ألف فحملت مالي وأتيت الى منزلي فنثرت على من عندي من الجواري دراهم من تلك البدرة وأكلت وشربت بقية يومي ولما أصبحت قلت والله لأذهبن الى أستاذي وأعرفن خبره فأتيت ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه بالامس فقلت له ما الخبر ألم يأتك المال قال نعم غير انه لما دخل منزلي بخلت نفسي باخراجه وألقى علي صوتا آخر أتيت به الفضل بن يحيى وحدثته بما كان من أبيه بالامس فأمر أن يحمل معي عشرون ألفا ولابراهيم مائتا ألف وفعلت مثل ما فعلت بالامس وغدوت اليه لما أصبحت فوجدته على مثل حاله يذل عذره وألقى علي صوتا غيره أتيت به جعفر بن يحيى وأخبرته بما كان من أبيه وأخيه فأمر أن يحمل معي ثلاثون ألفا والى ابراهيم ثلاثمائة ألف فحملت معي اليه فبكى ابراهيم وقال وصلت الى ستمائة ألف وأنا جالس في مجلسي لم أبرح منه فعلى مثل هؤلاء يبكى فرحم الله أرواحهم أجمعين * (وقال اسحاق) * غدوت يوما وأنا منحصر من ملازمة

أمير المؤمنين فعرضت نفسي على أن أطوف في الصحراء والفرج وقلت لغلماني اذا جاء رسول الخليفة أو غيره فلا تعرفوه مكاني فطفت وعدت وقد حمى النهار فوقفت في فناء أستريح فلم ألبث أن جاء خادم يقود حمارا فارها وعليه جارية راكبة عليها افاخر الثياب ورأيت لها اقوا ماحسنا وظرفا فائقا فحدثت نفسي أنها مغنية ثم دخلت الدار التي أنا واقف عليها ثم لم ألبث أن جاء شابان جميلان واستأذنا فأذن لهما فدخلا ودخلت معهما فظنا أن صاحب الدار دعاني وظن صاحب البيت انني معهما وجلسنا فأتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوضع ودخلت الجارية وفي يدها عود فغنت وشربنا فسألهما صاحب المنزل عني فأخبراه أنهما لا يعرفاني فقالوا هذا طفيلي لكنه ظريف فأجلوا عشرتي فشربنا ودار الكاس فغنت الجارية تقول

ذكرتك اذ مرت بنا أم شاذن * امام المطايا وهي بالشرب تسمح
من المولعات الرمل قد أبد ثغرها * شعاع الضحى من وجهها يتوضح

فأديته أداء حسنا ثم غنت أصواتا من القديم والحديث تقول

قل لمن صدّ عاتبا * ونأى عني جانبا
قد بلغت الذي أرد * ت وان كنت لاعبا

فاستعدته منها لاصححه عليها فأقبل على أحد الرجلين يعنفني ويقول ما رأينا طفيليا أصفق وجها منك لم ترض بالتطفيل حتى اقترحت وهذا غاية المثل طفيلي ويقترح فأطرقت وجعل صاحبه يكفه وهو لا يلتفت ثم قاموا الى الصلاة وتأخرت بعدهم قليلا وأخذت عود الجارية وشددت طبقته وأصلحته اصلاحا محكما وعدت الى موضعي وعادوا وأخذ ذلك الرجل في عربدته علي وأنا صامت وأخذت الجارية العود وجسته فأنكرت حاله وقالت من جس عودي قالوا ما جسه أحد

قالت بلى والله لقد حسبه حاذق متقدم وشد طبقته وأصلحه اصلاح متمكن من الصناعة قلت لها أنا فقالت بالله خذ واضرب فأخذته وضربت ضربا عجيبا فيه نقرات محركة فما بقى منهم أحد الا وثب وجلس بين يدى وقال صاحب المجلس أقسم بالله ان لك فى هذه الصناعة أصواتا غريبة فبالله عليك الا عرفت بنفسك فقلت أنا اسحاق الموصلى والله انى لأتيه على الخليفة اذا طلبت وأنتم ترون صاحبكم هذا يسمعنى ما أكره لكونى تأدبت معكم وحللت عندكم والله لا نطقت بحرف ولا جلست حتى تخرجوا هذا الممقوت فقال له صاحبه من مثل هذا خفت عليك وأخذوا بيده وسحبوه وأخرجوه وعادوا فبادرت وغنيت الاصوات التى غنتها الجارية من صنعتى فقال لى الرجل هل لك فى خصلة قلت ما هى قال تقيم عندنا أسبوعا والمكافأة الجارية والجهاز لك قلت نعم أفعل وأقمت عنده أسبوعا لا يعرف أحد أين أنا والمأمون يطلبنى فى كل حين وكل موضع ولم يقع أحد على خبرى فلما انقضت الايام تسلمت الجارية والجهاز والخادم وجئت بذلك الى منزلى وركبت من وقتى الى المأمون فلما رآنى قال يا أبا اسحاق ويحك أين كنت فأخبرته الخبر فقال على بالرجل الساعة فدللتهم على موضعه فأحضره وسأله المأمون فأخبره القصة فقال أنت ذو مروءة وسبيلك أن تعان عليها وأمر له بمائة ألف وقال له لا تعاشر ذلك النذل المعربد انتهى ومن كلام الاحوص فى حضرة يزيد غنته جارية بين يديه

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحسن ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها فى مضمر القلب والحشا * سريرة حب يوم تبلى السرائر

فطرب يزيد وقال لمن الشعر قالت لا أدرى قال ابعثوا الى الزهرى وكان قد ذهب من الليل شطره فأتى به فلما صعد اليه قال لا بأس عليك لن

ندعوك الالخير فجاس وسأله عن قائل هذا الشعر فقال الاحوص قال ما فعل به قال قد طال حبسه فأمر بتخلية سبيله وأن يدفع له أربعمائة دينار ثم قدم عليه بعد ذلك فاجازه وأحسن اليه احسانا جزيلا وكانت المغنية جارية يزيد بن عبد الملك انتهى (وحكى مسرور الخادم) أن الرشيد قصد الركوب فى غير وقت عادته فقلت له أين تريد يا امير المؤمنين فى هذا الوقت قال الى منزل ابراهيم الموصلى قال فمضى حتى انتهى الى منزل ابراهيم الموصلى فخرج وتلقاه وقبل حافر حماره وقال يا أمير المؤمنين فى مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرق بى اليك ثم نزل وجلس فى طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدى استنبط شيأ تأكله قبل الشراب قال نعم فجاء بطعوم كأنما كان معدا له فأصاب منه يسيرا ثم عاد بشراب حمل معه فقال له الموصلى يا سيدى أغنيك أم تغنيك اماؤك قال بل الجوارى فخرجن جوارى ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال ابراهيم أيضربن كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضربن اثنتان اثنتان وواحدة واحدة تغنى قال فضربت اثنتان وغنت واحدة منهن فقالت

ادا دعا باسمها داع يحدثنى * كادت لها مهجتى من حرها تقع

لو أن لى صبرها أو عندها جزعى * لكنت أعقل ما آتى وما أدع

لا أجمل اللوم فيها والغرام بها * ما كلف الله نفسا غير ما تسع

ثم غنت أخرى فقالت

طرقتك زائرة فحيي خيالها * بيضاء تخلط بالجمال دلالها

هل يطمسون من السماء نجومها * بأكفهم أو يطمسون هلالها

شهدت من الانفال آخر آية * فأردتمو بجهالكم ابطالها

ثم غنت أخرى فقالت

شطت سعاد وأضحى البين قد أبدى * وأورثتك سقاما تصدع الكبدا
فما احتيالك اذ جد الرحيل بهم * وخلفوك غداة البين منفردا
لا أستطيع لهم صبرا ولا جلدا * ولا تزل أحاديثي بهم جددا

قال فقام حتى وصل صدر الايوان وأخذ بجانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشئ من غنائهن الى أن غنته صبية من صدر الايوان من حاشية الصفة هذين البيتين لابي نواس

ياموري الزند قد أعيت قوادحه * أقبس بما شئت من قلبي بمقباس
ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم * اذا نظرت فلم أنظرك في الناس

فطرب الرشيد لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب ارطالا وسأل الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتناعست فأمرها فأقبلت بين يديه فأخبرته بشئ أسرته اليه فدعا بحماره فركبه ثم التفت الى ابراهيم الموصلي فقال له ماضرك أن تكون خليفة فكادت روحه تخرج حتى دعاه بعد ذلك وأدناه قال وكان الذي أخبرته به سرا أن الصنعة في الصوت لاخته عليا بنت المهدي وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم الموصلي يطارحها ومن قول أبي نواس

دع عنك لومي فان اللوم أغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر * لها محبان لواط وزناء
قامت بابريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها في البيت لالاء
فأرسلت من فم الابريق صافية * كأنما أخذها للعقل اخفاء
رقت على الماء حتى لايلائمها * لطافة وخفي من شكلها الماء
فلو مزجت بها نورا لمازجها * حتى تولد أنوار وأضواء
دارت على فتية ذل الزمان لهم * فما يصيبهم الا بما شاؤا

فقل

فقل لمن يدعي في العلم توسعة * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

وقال الشاعر

كعصفورة في كف طفل يهينها * تذوق طعم الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها * ولا الطير مطلوق الجناحين يهرب

وروى البيهقي في الشعب عن مالك بن دينار قال مثل قراء هذا الزمان مثل رجل نصب فخا فجاء عصفور فوقع في فخه فقال مالك متغيبا في التراب فقال للتواضع قال فيم حنيت قال من طول العبادة قال فما هذه الحبة التي في فيك قال أعددتها للصائمين فلما أمسى تناول الفخ في عنقه فقال العصفور ان كان العباد يخنقون خنقتك فلا خير في هذه العبادة اليوم انتهى قال الشافعي رضي الله عنه أربعة أشياء تزيد في الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل الكبير وأكل الفستق وأكل الجرجير (وأربعة أشياء تزيد في العقل) ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعمل بالعلم (وأربعة تقوي البدن) أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الغسل من غير جماع ولبس الكتان (وأربعة توهن البدن) كثرة الجماع وكثرة الهم وكثرة شرب الماء على الريق وكثرة أكل الحموضة انتهى من حرف العين ودخل ابن الخياط المكي على المهدي ومدحه فأمر له بخمسين ألف درهم فسأله أن يأذن له في تقبيل يده فأذن له فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرقها جميعا فعوتب في ذلك فأنشد يقول

لمست بكفي كفه أبتغي الغنا * ولم أدر ان الجود من كفه يعدي
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنا * أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

فنمي بهما المهدي فأمر له بخمسين ألف دينار انتهى ولبعضهم تغزل في مليح

أقول لمقلتيه حين نامت * وسهر النوم في الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بالليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

(الامام أحمد بن حنبل ومناقبه رضى الله عنه)

مات سنة مائتين واحدى وأربعين وحرر من حضر في جنازته فكانوا ثمان مائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته رضى الله عنه عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال الامام النووى في تهذيب الاسماء واللغات ان المتوكل أمر أن يقاس الموضع الذى وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد فبلغ مقام ألفى ألف وخمسمائة ألف وقد حزن عليه رضى الله تعالى عنه المسلمون واليهود والنصارى والمجوس وقال محمد بن خزيمة لما بلغنى موت الامام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه اغتممت غما شديدا فرأيته في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت يا أبا عبد الله ما هذه المشية فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى غير مخلوق ثم قال الله تبارك وتعالى يا أحمد ادعنى بتلك الدعوات التى بلغتك عن سفيان التى كنت تدعوهن في دار الدنيا فقلت يارب أسألك بقدرتك على كل شئ أن لا تسألنى عن شئ واغفر لى كل شئ فقال جل وعلا يا أحمد هذه الجنة فادخل فيها وأنشد بعضهم في تاريخ موت الائمة الاربعة ومولدهم الامام أبى حنيفة والامام مالك والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم أجمعين

تاريخ نعمان يكن سيف سطا * ومالك في قطع جوف ضبطا
والشافعى صين ببرند * وأحمد بسبق أمر جعد
فخذ على ترتيب نظم الشعر * ميلادهم فموتهم فالعمر

وكذا

وكذا فى تاريخ الائمة الخمسة المحدثين الامام الترمذى وأبو داود والامام مسلم والنسائى والامام البخارى وقد جمع ذلك بعضهم فى بيت واحد فقال

اذا رمت الحديث فلذ بخمس * تكن مثل المشافه فى الحياة
تعطر درعه مارص نسج * بنور للمحدث للوفاة

بيان ذلك التاء اشارة للترمذى والدال اشارة لابى داود والميم اشارة للامام مسلم والنون للنسائى والباء للبخارى والله أعلم

ويحكى انه أتى برجل مدنى سكران الى بعض الولاة فأمر باقامة الحد عليه وكان الرجل طويلا والجلاد قصيرا فلم يتمكن من ضربه فقال الجلاد للمدنى تقاصر لينالك الضرب فقال ويلك انى أكل الفالوذج تدعونى والله لوددت ان أكون أطول من عوج بن عنق وأنت أقصر من يأجوج ومأجوج فاستظرفه الامير وخلى سبيله انتهى من حلبة الكميت ومن قول ابن المعتز ل

وجاءنى فى قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء صباح كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

ولبعضهم عفا الله عنه

جرى دمعى من الحال الذى بى * كجرى الماء فى أول أبيب
ومع هذا فلا أقطع رجاى * لان الله ألطف من أبى بى

ومن كلام الشافعى رضى الله عنه

لم يدر الفقر من هو فى غنى * ومصحح الاعضاء ليس كمبتلى
كم فاقة مستورة بمروءة * وضرورة قد غطيت بتجمل
وتبسم من تحته قلب شجى * قد صادفته غمة لا تنجلى

والناس جمعا عند كل كفؤه * والهم مفترق وما أحد خلى
لو سود الهم الملابس لم تجد * بيض الثياب على امرء فى محفل
واذا أراد المرء يجلو همه * عن نفسه من نفسه لا ينجلى

ومن كلام العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرحيم البرعى رحمه الله فارضى اليمن

رياض نجد بكم جنان * فضية نورها حسان
وترب واديكمو بنجد * مسك وحصباؤها جمان
والروض من شعبكم عبير * والزهر ورد وزعفران
والجار فى ربعكم عزيز * والحر فى أرضكم يصان
فكم سفكتم دمى ودمعى * أما على القاتل الضمان
ورمت أخفى الهوى ودمعى * من شدة الوجد ترجمان
يا لائمون أقصروا ملامى * رفقا بمن قلبه ملآن
لا تذكروا الظاعنين عندى * فلى وللظاعنين شان
قالوا هواهم عليك حتم * قلت عهد الهوى يصان
قالوا فكم تكتم التصابى * قلت المعنى بهم معان
قالوا فقد فارقوك ربعا * قلت هم الناس حيث كانوا
قالوا فدعهم فقلت كلا * لعل دهرا قسى فلانوا
ليت الصبا الحاجرينى * عن جيرة البان يوم بانوا
هل عهدهم عهدهم بنجد * باق أم استؤمنوا فخانوا
يا محسنا بالزمان ظنا * هل تدرى ما يفعل الزمان
لا تتبع النفس فى هواها * ان اتباع الهوى هوان
واخجلتى من عتاب ربى * ان قيل أسرفت يا فلان
الى متى أنت فى الملاهى * تصير مرخى لك العنان

لوخوفتك الجحيم بطاشى * وشوقت قلبك الجنان
عندى لك الصفح وهو برى * وعندك السيف والسنان
ما تستحى كاتبا كريما * يحصى به الفعل واللسان
واستحى شيبة تراها * فى النار مسحوبة تهان
أنت شجاع على المعاصى * وأنت عن طاعتى جبان
لم ينهك الشيب عن حدودى * ولا رسولى ولا القرآن
ترضى بأن تنقضى الليالى * وما انقضى حربك العوان
أى أوان تتوب فيه * هل بعد قطع الرجا أمان
آثرت غيرى على لسكن * مابين الفتى يدان
ياسيدى هذه عيوبى * وأنت فى الخطب مستعان
يامن له فى العصاة شان * البر والعطف والحنان
يامن ملا بره النواحى * لم يخل من بره مكان
عفوا فانى رهين ذنب * حاشاك أن تغلق الرهان
فاغفر لعبد الرحيم والطف * بخا ئف ما له أمان
وسامح الكل من ذنوب * غدا بها يشهد البنان
وصل ياذا العلا وسلم * على من أخلاقه حسان

وهذه قصيدة الامام الولى العارف بالله تعالى أبى محمد بن أبى عمران اليشكرى نفعنا الله به قال العلامة بدر الدين بن فرحون أحد أصحاب ناظمها ان بعض الصالحين رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام قال البدر واشك هل كان هو الشيخ أو غيره وأنشد هذه القصيدة فلما بلغ آخرها قال النبى صلى الله عليه وسلم رضيناها رضيناها وهى هذه

دار الحبيب أحق أن تهواها * وتحن من طرب الى ذكراها
وعلى الجفون اذا هممت بزورة * يا ابن الكرام عليك أن تغشاها

فلأنت أنت اذا حللت بطيبة * وظللت ترتع فى ظلال رباها
معنى الجمال من الخواطر والتى * سلبت عقول العاشقين حلاها
لاتحسب المسك الزكى كتربها * هيهات أين المسك من رياها
طابت فان تبغى لطيب ياقتى * فأدم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح تقررا * ان الاله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها * واختارها ودعا الى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها * شرفا حلول محمد بفناها
خصت بهجرة خير من وطئ الثرى * وأجلهم قدرا وأعظم جاها
كل البلاد اذا ذكرن كأحرف * فى اسم المدينة لاخلا معناها
حاشا مسمى القدس فهى قريبة * منها ومكة انها اياها
لافرق الا أن ثم لطيفة * مهما بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بأن خير الارض ما * قد حاز ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت * كالنفس حين زكت زكا مأواها
وبهذه ظهرت مزية طيبة * فغدت وكل الفضل فى معناها
حتى لقد خصت بهجرة حبه * الله شرفها به وحباها
مابين قبر للنبى ومنبر * حيا الاله رسوله وسقاها
هذى محاسنها فهل من عاشق * كلف شجى ناحل شواها
انى لارهب من توقع بينها * فيظل قلبى موجعا أواها
ولقلما أبصرت حال مودع * الا رثت نفسى له وشجاها
فلكم أراكم قافلين جماعة * فى اثر أخرى طالبين سواها
قسما لقد كسى فؤادى بينكم * جزعا وفجرت مقلتى مياها
ان كان يزعجكم طلاب فضيلة * فالخير أجمعه لدى مثواها
أو خفتم ضرا بها فتأملوا * بركات بلغتها فما أزكاها

أف لمن يبغي الكثير لشهوة * ورفاهة لم يدر ماعقباها
فالعيش مايكفي وليس هو الذي * يطغي النفوس الى خسيس مناها
يارب أسأل منك فضل قناعة * بيسيرها وتحصنا بحماها
ورضاك عني دائما ولزومها * حتى توافي مهجتي أخراها
فأنا الذي أعطيت نفسي سؤلها * فقبلت دعواها فيابشراها
بجوار أوفى العالمين بذمة * وأعز من بالقرب منه يباها
من جاء بالآيات والنور الذي * داوى القلوب من العمى فشفاها
أولى الانام بخطة الشرف التي * تدعى الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون شرف جوده * يس اكسير المحامد طاها
حسبي فلست أفي ببعض صفاته * لو أن لي عدد الورى أفواها
كثرت محاسنه فأعجز حصرها * فغدت وماتلقى لها أشباها
اني اهتديت من الكتاب بآية * فعلمت أن علاه ليس يضاها
ورأيت فضل العالمين محددا * وفضائل المختار لاتتناها
كيف السبيل الى تقصي مدح من * قال الاله له وحسبك جاها
ان الذين يبايعونك انما * يقال انما يبايعون الله
هذا الفخار فهل سمعت بمثله * واها لنشأته الكريمة واها
صلوا عليه وسلموا فبذلكم * تهدي النفوس لرشدها وغناها
صلى عليه الله غير مقيد * وعليه من بركاته أنماها
وعلى الأكابر آله سرج الهدى * أكرم بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم * وعلى صحابته التي زكاها
أعني الكرام أولي النهى أصحابه * ثقة التقى ومن اهتدى بهداها
والحمد لله الكريم وهذه * نجزت وظني أنه يرضاها
وهذه آخرها والحمد لله وحده ولبعضهم شعر

لله فى ملكه خاتم * تجرى المقادير على نقشه
لا تنبش الشر تبلى به * واحذر على نفسك من نبشه
مصارع الدهر لها سطوة * تنزل السلطان عن عرشه
اذا طغى الكبش بلحم الكلا * أدرج رأس الكبش فى كرشه
اذا بغى المرء على جنسه * لابد أن ينكب فى فرشه

قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لابيك ذكر العلامة الشمس العلقمى فى حاشيته على الجامع الصغير عن جابر قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى أخذ مالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم للرجل اذهب فأتنى بأبيك فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاء الشيخ فاسأله عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته أذناه فلما جاء الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال يارسول الله هل أنفقه الا على احدى عماته أو خالاته أو على نفسى فقال له عليه الصلاة والسلام أيها الشيخ دعنا من هذا أخبرنى عن شئ قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يارسول الله ما يزال الله عز وجل يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيأ ما سمعته أذناى فقال له قل فأنا أسمع فقال

غذوتك مولودا وعلتك يافعا * أعل بما أجنى عليك وينهل
اذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت * لسقمك الا ساهرا أتململ
كأنى أنا المطروق دونك بالذى * طرقت به دونى وعيناى تهمل
تخاف الردى نفسى عليك وانها * لتعلم أن الموت شئ مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التى * لها مدة قد كنت فيك أؤمل
جعلت جزائى غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل

فليتك اذلم ترع حق أبوتي * جعلتك كالجار المجاور يفعل
قال فحينئذ أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال له أنت ومالك لابيك انتهى وحكى الاصمعي قال خرجت في طلب الاعاجيب من الاحاديث فلاحت لي بلد بيضاء كأنها حمامة فدخلتها فاذا هي خراب وليس بها ديار ولا أنيس فبينا أنا أدور في نواحيها إذ سمعت كلاما فطار قلبي فأنصت فاذا به كلام موحش فسللت سيفي ودخلت ذلك المكان فاذا أنا برجل جالس وبين يديه صنم وفي يده قضيب وهو يبكي وينكت به الارض ويقول
أما ومسيح الله لو كنت ءاشقا * لمت كما ماتت وماضمني لحدي
وكم أتسلى بالحديث وبالمنى * وبالعبرات السائلات على خدي
واني وان لم يأتني الموت سرعة * لامسي على جهد وأضحي على جهد
قال فلما سمعت ذلك منه هجمت عليه فلم يشعر بي الا ان قلت له السلام عليك فرفع رأسه وقال وعليك السلام من أين أنت ومن جاءبك الى هذا المكان فقلت الله جاءبي قال صدقت وهو الذي أفردني في هذا المكان فقلت له ما بالك تشير الى هذا الصنم الذي بين يديك فقال لي ان حديثي عجيب وأمري غريب فقلت له حدثني به ولا تخف منه شيأ فقال لي اعلم اننا كنا قوما من بني تميم وكنا على دين المسيح وكان دعاؤنا مستجابا وكانت هذه الصنمة ابنة عمي وكنت أنا واياها فلما كبرت حجبها عمي عني فكنت أحبها سرا فبينما أنا ذات ليلة وأنا عندها اذ سمعت عمي يدق الباب فأدخلتني سردابا وقامت هي ففتحت الباب ودخل عمي فقال لها أين عبد المسيح فقالت اني لم أره فقال لها اني سمعت كلامه عندك فقالت لم تسمع شيأ وانما خيل لك فقال لها والله ان لم تصدقيني الا دعوت عليك ان كنت كاذبة فيمسخك الله حجرا فقالت له اذا

كنت كاذبة فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم يارب الاولين والآخرين ان كنت تعلم ان ابنتي هذه كاذبة في قولها فامسخها حجرا فمسخها الله حجرا ولي أربعون سنة في هذا المكان وأنا أتقوت من نبات الارض وأشرب من هذه الانهار وأتسلى بالنظر الى هذه الصنمة الى أن يحكم الله بالموت ثم بكى وأنشد يقول

وحق الذي أبكى وأضحك والذي * أمات وأحيي والذي خلق الخلقا
لئن قلت ان الحب يقتل الفتى * وان الفتى بعد التفرق لا يبقى
لقد قلت حقا واسأل العبرة التي * تسيل وسيل الدمع لا يرقى

قال الاصمعي ثم قام ذلك الشاب وتوارى عني بجدار من تلك الجدر ونزع المسح الذي كان عليه ولم يبق عليه الاما يوارى سوءته فتأملته فاذا عيناه تدور في أم رأسه فقلت في نفسي هذا أراد أن يطلعني على نحول جسده ثم أقبل علي وهو عريان وقال لي يافتى اني قائل ثلاث أبيات وكان مني ماكان فاذا أنامت فكفني أنا واياها في هذه الجبة وادفنا في هذا الجون وضمنا بالتراب واكتب على قبرنا هذه الابيات وأنشد يقول

من لم يكن يحسب ان الهوى * قاتل فلينظرن الى مضجعي
لم يبق لي حيل ولا قوة * الا خيال الشمس في موضعي
أشكو الى الرحمن جهد البلا * اشارة بالطرف والاصبع

قال الاصمعي هذا وأنا أنظر اليه واسمع شعره وأتعجب منه ومن أمر الصنمة واذا به وقع على الارض مستلقيا على قفاه وشهق شهقة فارقت روحه جسده قال الاصمعي فكفنتهما ودفنتهما في ذلك الجون وكتبت على قبرهما تلك الابيات وتركتهما وانصرفت وأنا متعجب غاية العجب انتهى ولما عزم احمد بن طيلون على بناء الجامع المعروف به في مصر القاهرة أنفق عليه مائة الف دينار ورتب فيه للعلماء والقراء وأرباب

الشعائر والبيوت في كل شهر عشرة آلاف دينار والصدقة في كل
يوم مائة دينار وكان مشتملا على خصال حميدة منها ان فقيرا كان
بجواره وله امرأة وبنت وكانا يغزلان الصوف للسوق لتجهيز البنت وان
البنت لم تفارق البيت وما نظرت الى السوق قط ولا خرجت فسألت
أمها وأباها أن تخرج معهما الى السوق فواعداها بذلك فلما قصدا بيع
الغزل خرجت معهما الى السوق فمروا بباب الامير المسمى بالفيل
وتمادى الاب والام وتركاها ولم يشعرا بوقوفها فبقيت البنت حائرة
لا تدرى أين تذهب وكانت ذات جمال عظيم فخرج الامير المسمى بالفيل
فلما رآها افتتن بها فمسكها ودخل بها ثم أمر الجوارى أن يغسلوها
وينظفوها ويلبسوها أحسن الملبوس ويطيبوها بأنواع الطيب
ويجلوها له ففعلن ذلك فدخل عليها وأزال بكارتها هذا وأبواها قد حزنا
عليها ولم يزالا يطوفان عليها جميع الاماكن فلم يقعا لها على خبر فلم يزالا
يبكيان عليها فلما جن الليل واذا بشخص يطرق الباب فخرج أبوها وفتح
الباب فقال الرجل لابيها ان الامير المسمى بالفيل أخذ ابنتك وأزال
بكارتها فلما سمع ذلك كاد يجن وكان لأحمد بن طيلون مؤذن وكان قد
عاهده على انه اذا حدثت فاحشة من الفواحش يؤذن في غير الوقت
ليحضره ويستفهم منه الواقعة وكان المؤذن بينه وبين أبي البنت صداقة
فجاء اليه وأخبره بخبره فصعد وأذن فسمعه أحمد بن طيلون فأرسل
خلفه فأخبره بالقضية فاستدعى بأبوى البنت وخبأهما في خزانة وكان
وقت مجيء الفيل للخدمة فلما دخل على عادته قال له نهنئك بالعروس
الجديدة فقال ومن أين لي عروس جديدة قال أتنكرني وهذا
أبو الجارية وأمها وأخرجهما اليه فلما رآهما نكس رأسه خجلا من الامراء
الحاضرين فقال له أحمد بن طيلون ارفع رأسك ثم قال لابيها تزوج

ابنتك مملوكي هذا على صداق قدره ألف دينار مقدمة وخمسمائة دينار مؤجلة فقال نعم فأمر باحضار الشهود وعقد العقد بينهما ووضعوا خطوطهم ثم بعد انصراف الشهود أمر السياف بضرب عنق الفيل فرماه بين يديه وقطع رأسه وقال أحمد بن طيلون لأبي الجارية ابنتك ورثت زوجها وقد مكنتها مما بقي من تركته فامضوا مع السلامة فانصرفوا شاكرين لانعامه داعين له على أفعاله فانظر الى هذا العدل العظيم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومما نقل عن بعضهم

توق رعاك الله تسعا من البشر * فصحبتهم تفضي الى البؤس والضرر
وهم أحول مع أعرج ثم أحدب * كذاك وسيج يتلونشا طامع الكدر
واياك والانف الطويل وأصفرا * فانهم بيت الخيانة والخطر
كذا غائر الصدغين خارج جبهة * كذا أزرق العينين فالحذر الحذر
توقاهم وتحيي سليما من الردا * وباعدهم يا ذا الفراسة والنظر

قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب بمطبعة ملتزمه الواثق بربه المعين * الشيخ محمد شاهين * بمحروسة مصر * وقاها الله كل ضير وشر * وذلك بمعرفة الفقير الى ربه الدايم * المدعو بالسيد أحمد قاسم * وذلك في أوائل شهر ربيع الآخر سنة ١٢٧٩ تسع وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له غاية العز والشرف * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

على يد رئيس تشغيله الواثق بربه المعين * مصطفى شاهين